فصول

في الأدب الأندلسي

في القرنين الثاني والثالث للهجرة

تأليف

الدكتور حكمة علي الأوسي

ساعدت جامعة بغداد على طبعه

مطبعة سلمان الاعظمي – بغداد

مُقدِّمَة

ان البداية الاساسية لكل عمل هي قناعتك باهميته وضرورته . فاذا كان الامر كذلك فيجدر بنا ، قبل أن نخوض في موضوع الادب الاندلسي ، أن نتفهم أهميته بالنسبة للدراسات العربية والاسلامية بشكل عام .

ان الادب الاندلسي هو جزء مهم من تاريخ الادب العربي والانتاج الفكري العربي بعامة . فهو امتداد طبيعي للادب العربي في المشرق . حتى ان بعض المستشرقين يسمي الأدب الاندلسي « كم السترة العربية » . وان هذا الامتداد والاتساع في الأدب العربي ، اضافة الى أهميته التاريخية والقومية والانسانية ، فان له ، من ناحية أخرى ، ميزاته الخاصة به التي تجعله في كثير من الجوانب ذا اهمية أكبر وأخطر .

ان الفكر العربي الاسلامي يمتاز بصفة أساسية لها أهمية بالغة في تاريخ الحضارات الانسانية ، هي انفتاحه على ما لدى الاقوام الاخرى من ثقافات وعلوم .

فلم يتخذ الفكر العربي من الاسلام حجة يتذرع بها ليضرب ستارا بينه وبين ثقافات الاقوام الاخرى ، متعللا بأن : لديه ما يغنيه عما لدى الآخرين جميعا : كتاب الله الذي حوى كل شيء . وتلك حجة لا نزال نسمع صداها يتردد في جوانب مجتمعاتنا العربية المعاصرة . لم يتخذ الفكر العربي الاسلامي من ذلك حجة ليحجب نفسه عن ثقافات الدنيا المحيطة به آنذاك ، وانما تحمس مفكروه ، وشجع على ذلك قادته ، فانكبوا على دراسة أفكار الأمم الاخرى فاستوعبوها ونقلوها الى لغتهم العربية ونقدوها وميزوا بين خطئها وصحيحها ، وأضافوا اليها من أصالتهم شيئاً كثيرا ، فتكونت من ذلك كله عناصر الحضارة العربية الاسلامية . لهذا كان الطابع الغالب على الفكر العربي في المشرق ، في أدواره الاولى ، هو الأخذ .

فقد خرج العرب من الصحراء وهم لا يحملون الا الشيء القليل من الزاد العلمي ، ولكنهم كانوا يحملون ، من التعاليم الاسلامية ، زادا روحيا وفكرياً غنيا . على أن هذه التعاليم ليست علماً من العلوم الطبيعية ، ولا فلسفة كغيرها من الفلسفات ، وانما هي من العلوم الروحية والدينية . وما لبثوا ، باتصالهم بالآداب الاخرى ، ان تأثروا بمناهج جديدة ، وتصدوا لافكار جديدة ، وكان هذا مثيراً للفكر العربي .

أما في الاندلس فالامر يختلف . وذلك ان الفكر العربي كان قد استقرت له أسسه وبدأ طورا من الابداع الذاتي . وكان اذا استمد شيئاً من غيره فانما يستمد من جذوره الممتدة في المشرق العربي . وهكذا ، فبعد

أن استوعب العلوم أخذ يطبعها بطابعه العربي بعد تفنيد ما فيها من أخطاء وتمييز ما فيها من محاسن · فهو يتقبل العلوم ويفرض عليها شخصيته ·

من هذا نتج شيء أساسي يميز الفكر الاندلسي هو ان فاعليته أصبحت قوية وتأثيره في الفكر الاوربي الوسيط صار بارزا · وهنا تبرز أهمية الأدب العربي في الاندلس من فاعلية الفكر الذي يصدر عنه وقدرته التأثيرية ·

وفي اعتقادنا ان تأثيره امتد الى الفكر العربي الحديث عن طريق ما يوحيه فتح الاندلس الى أجيالنا الحديثة من قوة الارادة العربية وصلابة تصميمها ودقة خططها وبراعة تنفيذها مستفيدة من كل الظروف الصعبة التي كانت تحيط بالعرب في تلك الارض الاوربية الغريبة النائية عبر البحر ، فأحالت ، بعبقريتها ، الصعوبة يسرا ، والغربة الفة ، عن طريق دراسة تلك البلاد الجديدة ومعرفة ظروفها ونقاط ضعفها وقوتها فأفادت بعملها ذاك ما جعلها تسيطر على تلك الجزيرة الوعرة الممتدة الاطراف في القارة الاوربية في غضون سنوات قليلة ، واستطاعت ان تسبغ شخصيتها العربية وفكرها الاسلامي على تلك البقاع اسباغاً لا يزال أثره وسحنته يلون البيئة الاسبانية الى اليوم ، بقوة ووضوح ، ويضفي على شخصيتها اصالة وطعماً يميزانها عن غيرها من أقطار أوربا ·

وفي الشعر العربي الحديث يطالعنا تأثير الموشح الاندلسي بوضوح وجلاء ، متمثلا بتنوع القوافي والخروج على أعاريض اشعار العرب ·

ويبدو التأثير الاندلسي في أجيالنا الحديثة مما نلاحظه بين شبابنا وطلاب جامعاتنا من حنين الى ذلك المجد وتعلق بكل ما يمت بصلة الى اسم الاندلس ·

ولقد اعتدت أن أقوم ، كل عام ، باستفتاء شفهي بين طلبة قسم آداب اللغة العربية في جامعة بغداد في الشعب والصفوف التي يوكل الي تدريسها الأدب الاندلسي · فكنت ولا زلت أوجه اليهم سؤالا بالمضمون التالي واطلب الاجابة عليه بكل صراحة وصدق : يشعر كل منكم بحب عميق لكل ما يتصل بالاندلس ، فهل هذا صحيح ؟ فكانت الاجابة نعم دائماً دون استثناء · ثم اسألهم عن السبب في هذا الشعور فلا أجد اجابة لديهم · فهم يشعرون شعوراً قوياً عميقاً بتعاطف شديد مع الاندلس وما يتصل بها دون ان يحاولوا لذلك تعليلا · فأحاول ، حينئذ ، أن أقدم لهم تعليلات أراها سببا لهذا الشعور والتعاطف فأجد لديهم لها قبولا وتأييداً ·

مما يمكن أن نعلل به هذا الشعور العام بينهم هو هذا التشابه الذي يحسون به ولا يتبينونه بين المأساة الاندلسية والمأساة الفلسطينية ، وما يوحيه السلطان العربي في الاندلس واتصاله على امتداد ثمانية قرون حافلة بالثراء الفكري والابداع الحضاري ما يوحيه هذا ويبثه في نفوسهم من قوة وما يقيمه أمامهم من مثال على القدرة العربية وامكانياتها · ثم ما يشعرون به أيضاً ، ولا يتبينونه ، من اصالة الفكر الاندلسي وابداعه متمثلا بما

يستمعون اليه من موشحات أندلسية ، وما يعلق بأذهانهم من أمجاد العرب في قرطبة واشبيلية وغرناطة وما حدثتهم بعض الكتب التاريخية عنه مما بقي من آثار عربية هناك كالمسجد الجامع في قرطبة ومنار اشبيلية وقصر الحمراء في غرناطة ٠

ان هذا التعلق الغامض بالتراث الاندلسي وذاك التعاطف غير المعلل معه يمكن أن يمنح شبابنا الجامعي ثقة لا حد لها بالنفس وبالامة اذا ما ثبتناه في أنفسهم بالوضوح القائم على درس هذا التراث دراسة علمية تحدد له مواطن العبقرية في فكر أجداده وجوانب الروعة والابتكار فيه ٠ والثقة بالنفس ، على وجه تاريخي علمي ، أساس مكين ودعامة صلبة للشخصية القومية والشخصية الفردية على السواء ٠

فنحن حينما ندرس الفكر الاندلسي انما ندرس جانباً مشرقاً شديد الفاعلية من تراثنا القومي الذي هو جزء مهم من التراث الانساني ٠ وفي الحين الذي نلاحظ فيه ان التراث العربي في المشرق يتصف ، في أدواره الاولى ، بالاخذ أكثر من العطاء ، نجد التراث الاندلسي ، منذ القرن الثاني للوجود العربي هناك ، يتصف بالابداع والاصالة ، الى جانب تعلقه بجذوره المشرقية وتمثله ما فيها من غذاء فكري ٠

فلقد استطاع الفكر العربي في الاندلس أن يطبع ما حصل عليه واستوعبه من تراث الانسانية، بالروح العربية الاصيلة ، فاصبح الاندلسيون اساتذة للاوربيين في العصور الوسطى ٠ فقد كان الاوربيون يرسلون ابناءهم الى قرطبة واشبيلية للدراسة والتخصص فيعودون بما كسبوا من علم ومعرفة ليعلموا أبناء قومهم ما تعلموا ٠ وفي ذلك الحين الذي كان فيه الاطباء الاوربيون يعتمدون على الادعية وبركات الملائكة ، كان الاندلسيون يعتمدون على التشريح والمشرط وغيرهما من الوسائل العلمية في الطب ، وعلى العلوم المنهجية المنظمة ٠

بدأت الشخصية العربية ، في الاندلس ، تنتج من ذاتها ٠ بدأت تشعر بالنضج وتعطي من أصالتها عطاء جديداً ٠ وأدى هذا النضوج الفكري الى سلسلة من التأثيرات الفعالة في الفكر الاسباني ثم في الفكر البروفنسي والفكر الايطالي ثم في الفكر الاوربي بشكل عام ٠

ويتجلى هذا التأثير الاندلسي في الفلسفة الاوربية في القرون الوسطى وأوائل العصر الحديث ، وهو أوضح في الشعر الغنائي الاوربي ٠ ان هذا الشعر تعرض لتطورات مهمة نتيجة لتأثره بالموشح الاندلسي ٠

وبدراستنا الفكر الاندلسي نتعرف على أصالته ونشاطه منذ القرن الثاني للوجود العربي في الاندلس أي منذ القرن الثالث الهجري ٠ وتبدو هذه الاصالة واضحة في اختراع الموشحات من قبل مقدم بن معافى القبري الضرير في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ٠

وتتجلى ، أيضاً ، هذه الاصالة العربية الاندلسية ، في الابداعات والمخترعات التي أتى بها عباس بن فرناس متمثلة في صنعه الميقاتة لقياس الوقت ، واستنباطه الزجاج من الحجارة وعمله نموذجاً آلياً للسماء بنجومها وأقمارها وغيومها ورعودها وشمسها ، ثم بالعديد من الآلات العجيبة الاخرى ، ثم بطيرانه في الجو بعد ان كسا جسمه بالريش واتخذ له جناحين ٠

ومن مظاهر هذه الاصالة ، أيضا ، انتشار فكرة كروية الارض واعتقاد جماعة من المفكرين الاندلسيين بها في هذا العصر بالذات ٠

ان هذا التراث المبدع الاصيل لا ينبغي أن يهمل بأي حال من الاحوال لان في اهماله اهمالا للجانب المشرق المبدع من الشخصية العربية ٠ وفي الفصول التالية محاولة للاسهام المتواضع في الكشف عن خصائص الفكر العربي الاندلسي في مجال الادب ، ودراسة للظروف الموضوعية التي أحاطت به ٠

ولكي نفهم تلك الظروف فهماً صحيحاً ، ولكي نعرف الوضع العام في اسبانيا تحت الحكم العربي وعوامل الفتح وظروفه وتأثيراتها في المجتمع الاندلسي ، فلا بد لنا من أن نلم بالاوضاع العامة التي كانت سائدة في اسبانيا قبل الفتح العربي ٠ ثم لابد من أن نتعرف على المجتمع الاندلسي ونقف على طبيعته وعناصره ووضعه اللغوي العام ٠ لذلك رأيت أن أبدأ هذه الفصول بالمامة تاريخية تتناول ، بايجاز ، المواضيع التي ذكرت ٠ وكان اعتمادي فيها ، اضافة الى المصادر العربية القديمة ، على الدراسات القيمة التي قام بها الدكتور حسين مؤنس والمستشرقون دوزي وليفي بروفنسال وخوليان ريبيرا وبالينثيا ٠

وعلى الرغم من أن هذه الفصول قد كتبت في أوقات مختلفة الا انها تخضع لمنهج واحد هو المنهج التاريخي ، وتعالج فترة محددة من تاريخ الادب الاندلسي هي القرن الثاني والثالث للهجرة ، وهي فترة تكوين البذور الاولى للشخصية الاندلسية ٠

ونظرا لما للموشح من أهمية كبيرة في تاريخ الشعر العربي وتطوره فقد عنيت به عناية خاصة وعرضت للآراء التي قيلت في نشأته ثم أتيت برأي جديد في الموضوع ٠

ثم اختتمت الكتاب بفصل عن مظاهر التأثير العربي في الثقافة الاسبانية في محاولة لتوضيح ما تتمتع به الثقافة العربية من فاعلية وتأثير جعلاها تسهم اسهاما كبيرا في العلوم المختلفة التي عرفتها العصور الوسطى ٠

فاذا استطاعت هذه الفصول ان تثير اهتماماً ، بيننا ، بالدراسات الاندلسية فان ذلك سيكون مجزياً لما بذل فيها من جهد ٠

المؤلف

الفصل الأول

نظرة سريعة

في الأحوال الاسبانية العامة قبل الفتح العربي

كان المجتمع الاسباني ، قبيل الفتح العربي ، يتألف من عناصر قومية متعددة ، فكانت جماعات من القوط الشرقيين مستقرة في جنوب جبال البرت (التي تعرف خطأ بالبرانس)[1] وذلك في الشمال الشرقي من شبه جزيرة ايبيريا وكان هناك عناصر أخرى من السويف والوندال ، قد استوطنت في الاقليم الشمالي الغربي من شبه الجزيرة والذي يعرف بجليقية واشتورياس أو (اشتريس) وبسط الوندال سيطرتهم على شرق اسبانيا ووسطها • وكانت هذه الطوائف من السويف والوندال والآلان والهون متبربرة لا تستقر على حال وكانت لا تنفك عن الاغارة على ما يجاور مواطن سكناها ولا سيما على جنوب غالة (أي فرنسا) وحوض الرون • وما كانت تأتيه هذه الجماعات المتبربرة من أعمال التخريب كان يشتد على مر الايام حتى أوشكت أن تسحق كل ذكر للحضارة في الجزيرة كلها •

ولما استقر القوط الغربيون في شبه الجزيرة شرعوا بملاحقة طوائف المتبربرين فيها فكان ذلك سبباً في انقطاع شرهم • أما الوندال فعلى الرغم من محاولتهم المقاومة ، فانهم اضطروا أخيراً الى الانسحاب نحو الجنوب في الطرف المعروف باسم بيطي (بتيكا Betica) وهي منطقة أغريقية قديمة • وكان هذا القسم من أسبانيا لا يزال يحتفظ ببقايا من آثار حضارية جليلة من حضارة اليونان فلم يلبث الوندال ، بما اشتهر عنهم من عتو وهمجية ، ان أحالوا هذا الاقليم العامر خرابا •

وحينما تقلص سلطان القوط حتى اقتصر على شبه جزيرة ايبريا فقط ، لجأوا الى توحيد أسبانيا كلها تحت حكمهم ، فأصبحت أسبانيا بذلك ، ولاول مرة في تاريخها ، وحدة واحدة في السياسة والجنسية • وجعلوا طليطلة عاصمة لحكمهم •

على أن البلاد الاسبانية بقيت ، خلال القرن السادس كله ، مسرحاً لحروب أهلية عنيفة وذلك بسبب الخلافات الدينية التي شجرت بين حكامها

القوط وبين أهل البلاد الاصليين من الايبيريين ، من ناحية وبسبب ما نشب بين أمراء القوط أنفسهم من خلافات من ناحية أخرى فقد كان القوط مسيحيين آريين لا يعتقدون بألوهية المسيح ولا يرون للقساوسة حقاً في الوساطة بين الله والناس وكان هذا سبباً مهماً من أسباب نفور السكان الاصليين من حكمهم ، وغذاه القساوسة في نفوس الايبيريين لان القوط كانوا يحاربون سلطان القساوسة الروحي على البشر •

فلما جاء الى الحكم ريكاريدو (Recaredo) تيقن انه لا يمكن ان تستقر لدولة القوط أركان في أسبانيا الا اذا ترك ملوكهم معتقدهم الآري واعتنقوا ديانة أهل البلاد ، وهذا ما فعله هذا الملك رسمياً سنة **٥٨٧** فاعتنق الكاثوليكية هو وأفراد عائلته ، وتبعه بذلك الامراء والكبراء • فأصبحت بذلك الكاثوليكية هي الدين الرسمي في أسبانيا منذ ذلك الحين • وصار لهذا الحدث التأريخي أثر عميق في التاريخ الاسباني وفي حياة الاسبان جميعاً ، وكان من نتائجه رسوخ جذور الكاثوليكية في أهل البلاد رسوخاً تاما • واعتبرت اللغة اللاتينية ، على أثر ذلك ، لغة البلاد الرسمية ، وازدادت علاقات أسبانيا بالبابوية وثوقاً ، وامتد نفوذ البابوات الديني والسياسي في كل البلاد •

وكان هناك عاملان يعملان على تقويض أركان الدولة القوطية في أسبانيا :

١ ـ احتفاظ القوط لانفسهم بمركز الشعب الحاكم ، الشيء الذي كان يثير في نفوس الايبريين الضغينة والبغضاء الى جانب السخط والنقمة •

٢ ـ نظام الانتخاب الذي كانت تتبعه المملكة القوطية • فقد كان الملك القوطي يتم انتخابه بعد وفاة سلفه ، من بين أمراء البيت المالك وكبار أهل المملكة فكان هذا سبباً في بث الفرقة والتنافس بين الامراء وكبار القوط •

لهذا كله فقد كانت أمور المملكة مضطربة أشد الاضطراب حين تسنم العرش غيطيشه (Witiza) سنة ٧٠٠ والمعلومات التي وصلتنا عن هذا الملك متناقضة أشد التناقض فذهب ، لذلك ، بعض المؤرخين الى اعتباره مسؤولا عن التسيب والفوضى اللذين شاعا في اسبانيا أواخر أيامه وبعد موته ، فكانا سبباً في تمهيد السبيل أمام العرب للقضاء على الحكم القوطي ٠

وعندما توفي غيطيشة سنة ٧٠٨ أو أوائل ٧٠٩ كانت البلاد ممزقة أحزابا متناحرة وكان أفراد البيت المالك أنفسهم أشد انقساماً من غيرهم ٠ فقد ترك غيطيشة زوجته الطامعة في العرش وأخاه أبه (Oppa) الذي لم يكن أقل منها طمعاً ، وثلاثة بنين هم :

أخيلا (رملة ، وقلة) والمند (Olmundo او Alamundo) كما يرسمه (Julian Ribera) [٢] وارطباس أو ارطبان (Artobas) .

ولم يقبل جماعة من كبار القوط بصبي مثل أخيلا ملكاً عليهم فاستقل كل منهم بناحيته ونشبت بين المتنافسين الحرب ، فشاعت الفوضى والاضطراب في البلاد ٠ وبعد ان دام هذا الحال المضطرب حوالي سنة ونصف ، اجتمع نفر من كبراء القوط وكونوا منهم (مجلس شيوخ وكبراء) فانتخبوا واحداً من بينهم اسمه رودريكو (لوذريق أو رذريق) (Rodrigo) وأعلنوه ملكاً خلفاً لغيطيشة ٠

وتختلف الاقوال التي وصلتنا عن طريق المراجع الاسبانية القديمة ، في أصل لوذريق هذا ، وان كانت تجمع على انه كان ذا مقدرة وكفاءة وانه كان حاكماً لولاية بيتيكا قبل ان ينتخب ملكاً ٠ وان المدينة التي انتخب فيها وجعلها عاصمة ملكه هي قرطبة ٠

أما في كتاب افتتاح الاندلس لابن القوطية فقد ورد انه كان قائداً

من قواد الملك غيطيشه ، وانه انحرف بمن كان معه من رجال الجيش فاحتل قرطبة ، عقب وفاة غيطيشه . فلما دخل طارق بن زياد الاندلس كتب لوذريق الى أولاد غيطيشه يدعوهم لمناصرته لكي يقفوا يداً واحدة بوجه العدو المداهم فاظهروا له التأييد ولكنهم اتفقوا على الغدر به بانضمامهم الى جانب طارق(٣) .

لم تنعم اسبانيا تحت حكم لوذريق القصير بالهدوء ، فقد كان طوال أيام حكمه يتصدى للثائرين عليه ، في كل نواحي الجزيرة . وقام بحملات عديدة على طوائف الثائرين في الشمال والشرق والجنوب . ولا ندري حقيقة من كان ثائراً عليه في الجنوب ، ولكن يبدو ان المؤيدين لاولاد الملك غيطيشه كانوا هم الثائرين .

ظل القوط طوال مدة حكمهم لاسبانيا يستأثرون لانفسهم بمركز الشعب المسيطر الحاكم ولانهم كانوا قلة بالنسبة للشعب الاسباني فقد ظلوا لذلك غرباء عنه . ولم يستطيعوا ان يغيروا كثيراً من نظام المجتمع الاسباني الذي كان الشعب يعاني منه منذ العصر الروماني فقد ظلت الارستقراطية الرومانية القديمة مسيطرة على طبقات المجتمع ، وبقي عامة أهل البلاد اقنانا مشدودين الى الارض أو عبيدا يخدمون الاقلية المهيمنة على مصائر الناس . وما بين أولئك وهؤلاء بقيت الطبقة المتوسطة المتكونة من التجار والمزارعين الصغار وسكان المدن وهي في حال وسط بين الحرية والعبودية(٤) .

وقد كان الاضطراب الطابع العام للعصر كله لا في اسبانيا فحسب ، بل في الدول الاوربية الاخرى أيضاً . وكان حكم القوط في اسبانيا عسكرياً يقوم على الانتخاب لحكومة تتمتع بتأييد الاشراف وكبار ملاك الارض . وكان هناك مجلس صوري من النبلاء المفروض فيه انه يساعد الملك في أمور

الحكم ، الا أن الملوك ، في الواقع ، كانوا يحكمون حكماً استبدادياً لا يعبأ بمشورة الآخرين ، وانما يمضي في الاحكام على ما تشتهي انفسهم •

وقد اختلف المؤرخون في حكمهم على المجتمع الاسباني في أيام القوط اختلافاً شديداً • فتبدو العصبية شديدة للقوط بين معظم المؤرخين الاسبان • فهم يرون ان الرخاء كان منتشراً خلال هذا العصر في كل مرفق من مرافق الحياة الا أن النهضة الاسبانية المسيحية كانت الصفة العامة لـه • على ان مبالغتهم هذه في اطراء العصر القوطي انما هي بسبب ميلهم الى اظهار النهضة الفكرية الواسعة التي حدثت تحت الحكم الاسلامي العربي ، في اسبانيا ، بعد الحكم القوطي ، بمظهر يوحي بأنها لم تأت مع العرب ولم تكن بسببهم وانما هي ابنة تربتها وثمرة الفكر الوطني ، وان المجتمع الاسباني كان في طريقه الى تلك النهضة حتى لو لم يدخل العرب اسبانيا • الا ان المنصفين من المؤرخين الاسبان انفسهم لا يؤيدون هذا الرأي ، ويقررون للثقافة العربية فضلا لا يمارى وأثراً لا يجحد في الفكر الاسباني(٥) •

والشيء الذي وصلنا عن حكم ملوك القوط ليس فيه ما يشير الى اهتمام أحد منهم بعمل يعود بالخير على عامة الناس • ولم يصلنا أي خبر عن اصلاحات معينة قام أحد من ملوكهم بها ، كانشاء قنطرة أو تعبيد طريق أو سن قانون يكفل للناس الامان ويقلل عنهم الاعباء • فاذا أضفنا الى هـذه المساوىء الاضطهاد الديني الذي مارسه القوط حينما كانوا آريين ضـد الكاثوليك ، ثم اضطهادهم الشديد لليهود ، اثناء حكم لوذريق ، الشيء الذي جعل هؤلاء يتوقون الى الخلاص من حكمهم البغيض ، لتوضحت في اذهاننا صورة هذا العصر وأحواله الاجتماعية المضطربة •

وأما الحالة الثقافية في اسبانيا قبل الفتح الاسلامي فقد كانت فيها حصيلة طيبة من العلوم والفنون كان الفينيقيون قد بدأوا بوضع أساسها

وأضاف اليها اليونانيون والرومانيون ما جعلها بذرة نشطة في التربة الاسبانية، وفي ذلك بعض التفسير للازدهار الفكري السريع الـذي تم تحت ظـلال الاسلام في الاندلس •

ويعتبر القديس ايسيدورو الاشبيلي (٥٦٠ – ٦٣٦م) المع الشخصيات الفكرية في هذا العصر • وهو من الايبيريين الرومـانيين • وكـان مؤلفاً موسوعياً حاول ان يضم في ما كتبه كل ما وصل اليـه من علوم اليونـان والرومان واسبغ على ذلك كله طابعاً مسيحياً • وكتابه (أصول الكلمات) Originum sive Etymologiarum يعتبر أهم ما كتب • وقـد تكلم فيه بشكل موضوعي غني ، على جميع أنواع المعرفة الانسانية التي كـانت معروفة في عصره • وتكمن الاهمية الفكرية التي انجزها ايسيدورو بصورة أساسية ، في نقله الثقافة القديمة الى عالم العصور الوسـطى مضفياً عليها مسوح التفكير المسيحي •

هوامش

الفصل الاول

(١) مؤنس : فجر الاندلس ص٣ وانظر : نفح الطيب ١٢٦/١

(٢) ابن القوطية : افتتاح الاندلس ص١ من الترجمة الاسبانية .

(٣) نفس المصدر ص٣ .

(٤) انظر :

R.P. Dozy. Historia de los musulmanes de España. I. PP. 210-223.

(٥) انظر في ذلك : الفصل الاخير من هذا الكتاب بعنوان (من مظاهر التاثير العربي في الثقافة الاسبانية) .

الفصل الثاني

نبذة عن الفتح العربي

بعد ان تم فتح المغرب شرع حسان بن النعمان بتنظيم أموره الادارية ، ولما اعتزل هذا الرجل منصبه بسبب خلافه مع عبدالعزيز بن مروان عامل مصر للوليد بن عبدالملك وذلك في أوائل سنة ٨٦هـ (٧٠٦م) خلفه موسى بن نصير الذي انصرف الى مغازاة القبائل البربرية التي لم تكن قد خضعت تماماً للسلطة العربية وكان لغزواته هذه عظيم الاثر في قبائل البربر تنبهوا بسببها الى هذا العهد الجديد الذي بدأ يجتاح حياتهم كلها فسارعوا يعلنون اعتناقهم الاسلام آلافاً بعد آلاف ، اما رهبة من السيف أو اتقاء لذل الاسر أو رغبة في الحصول على ما كان يحصل عليه من انضم منهم الى المسلمين من الغنائم والخير الكثير • وقد كانت صفات البداوة والفطرة هي التي جمعت بين القبائل البربرية المتبقية وجموع العرب الفاتحين • ولذلك أخذت جيوش المسلمين في أفريقيا يزداد عدد أفرادها باطراد • وكان لابد ان تشغل هذه الآلاف من الجنود بمجالات جديدة للغزو والفتوح •

وكان ان عاد موسى الى القيروان وخلف وراءه طارق بن زياد ومن معه من الجند من عرب وبربر على طنجة وما حولها • واستمرت اعداد جند طارق بازدياد سريع • وفكر طارق بضرورة ايجاد مجال جديد يمتص جانباً من هذه القوة العظيمة التي تتجمع بين يديه • وبدأ اهتمامه يتجه نحو حصن سبته الذي كان قد صمد امام المسلمين من قبل ويظهر ان بعض جنده كانوا يزينون له غزو الاندلس ويقصون عليه ما تعانيه من ضعف وما تحف به من خيرات •

وكان يقوم على سبته في تلك الاثناء شخصية غريبة يكتنفها الغموض الكثيف وتختلف حولها المراجع اختلافاً شديداً وكانت تلك الشخصية تعرف بأسم يليان (Julian) .

ويبدو ان يليان هذا لما شعر بقوة المسلمين وخطرهم العظيم عليه ، مال الى كسب ودهم فاتصل بطارق بن زياد وتم التفاهم بينهما على السلم ، وليست لدينا تفصيلات عن الاسس التي تم بموجبها هذا التفاهم والاتفاق .

وحينما استقل لذريق ومن معه من رجال الجيش في قرطبة منفصلا بذلك عن سلطة ملكه غيطيشه[1] ، حاول يليان ، وكان متحالفا مع هذا الاخير ، ان يعين حليفه ضد لذريق ، الا انه لم يستطع الصمود امام انصار لذريق فتقهقر الى بلاده سبته وبقي ينتظر الفرصة السانحة .

وتذكر المراجع العربية انه لما مات غيطيشه في اواخر سنة (٧٠٨) أو أوائل (٧٠٩) ترك ثلاثة بنين صغارا فرت بهم امهم واختفت معهم عن الانظار خوفا من البطش بهم ولما نزل طارق بن زياد الى الاندلس سارع لذريق بالكتابة الى أولاد غيطيشه ، وكانوا قد ترعرعوا وصلب عودهم ، ودعاهم الى مناصرته ضد عدوهم المشترك ، فاظهروا انهم معه ضد العرب ولكنهم ما لبثوا ان انضموا الى صفوف العرب أثناء المعركة فكانوا بذلك سببا مهما في كسر جيش القوط[2] .

على ان الدكتور حسين مؤنس يرى ان في هذه الرواية بعض المبالغة ، ذلك لان (تصرف العرب مع أولاد غيطيشه بعد تمام الفتح لا يدل على ان العرب كانوا مدينين لهم بفضل كبير كهذا ...)[3] ويذهب الى ان الذي حدث هو ان المسلمين بعد ان تم لهم الفتح اعطوا لابناء غيطيشه بعض ضياع ابيهم كسبا لودهم ، فاصبحوا ، لذلك ، من اخلص انصار المسلمين حتى ان بعضهم قد اسلم وحسن اسلامه ، وساعدوا المسلمين كثيرا في ارشادهم الى مناطق الضعف في الاندلس[4] .

وربما ظن اولاد غيطيشه ان العرب لا يلبثون ان ينصرفوا عن الاندلس بعد ان يحصلوا على الغنائم ، ليخلص لهم الامر بعدهم وبعد ان يكونوا قد اخذوا بثأر ابيهم بمساعدة العرب[4] .

والشيء الذى يدعو الى التساؤل هو توجه العرب الى الاندلس لفتحها في وقت لم تكن الامور فيه قد استتبت لهم في المغرب الاقصى ، فما هو الدافع الذي حدا بهم الى القيام بهذه الخطوة الكبرى التي لم تكن مضمونة النتائج ؟ ولماذا عبروا الى شبه الجزيرة المترامية الاطراف ، بقوة قليلة لا تتجاوز سبعة الآف مقاتل ، مع علمهم بأن هذا العدد غير كاف اطلاقا ذلك لانهم لم يتم لهم فتح المغرب الا بعدد من الجيوش التي يتجاوز تعداد اقلها اضعاف الآلاف السبعة هذه ؟

وربما يذهب الظن الى ان المؤرخين العرب قد عمدوا الى التقليل من عدد جند طارق ، لان في ذلك اظهارا للقوة العربية • ولكن هذا غير محتمل هنا لان العرب لم يكونوا ، في هذا الوقت ، على استعداد للقيام بعمليات حربية كبيرة يتم خلالها نقل عدد كبير من الجنود العرب عبر البحر(٥) •

ولقد ذهب كثير من المؤرخين الى ان الهدف من غزو العرب للاندلس لم يكن الفتح الكامل لها والاستقرار الدائم فيها ، وانما كان هدفهم ، أول الامر ، الحصول على بعض الغنائم ثم العودة الى افريقيا • ولكن الانتصار الحاسم الذى حققه طارق ، في وادى « لكه » جلب انتباه العرب الى اهمية الفتح الكامل لهذه البلاد الغنية وسهولته • وقد اعتمد هؤلاء المؤرخون في رأيهم هذا على ما ورد في المراجع العربية من ان موسى وبخ طارقا وغضب عليه لتقدمه في الفتح وتوغله في الاندلس دون رأيه وخلافا لما كان قد امره به(٦) •

ويرد الدكتور حسين مؤنس على هذا الرأى الذى قد يبدو ، لأول وهلة ، صحيحا ، بقوله ان اسلوب العرب في الفتح كان ان يقدموا للفتوح بقوة صغيرة تعقبها الامدادات وهذا هو نفس الاسلوب الذى سلكه العرب في فتح مصر والمغرب : (يرسلون عددا صغيرا ويكونون على الاهبة لاتباعه بالامدادات اذا لزم الامر) وهذا هو نفس ما حدث في الاندلس •

اما غضب موسى على طارق بن زياد فربما كان سببه عدم تقيد طارق بأوامر رئيسه موسى والتقيد بأوامر الرؤساء في الامور العسكرية واجب يستحق من يخالفه التأنيب بل والعقاب ، بموجب الشرع العسكري ، حتى ولو كان تصرفه المخالف حكيما وذا نتائج عسكرية ايجابية . وقد يكون سبب ذلك حسد موسى لطارق على ما اصاب من الفتوح والغنائم ، وليس الحسد بخصلة غريبة عن الكثير من النفوس ، وما نعرفه عن موسى وعن ولعه بالغنائم وشرهه اليها يجعل هذا الاحتمال غير مستبعد .

ومما يؤيد ان فتح العرب الاندلس لم يكن مجرد مغامرة موفقة وانما كان امرا مقصودا مدبرا ، ما ورد في كتاب (اخبار مجموعة) وما ساقه ابن عذارى في (البيان المغرب) من ان موسى استشار الوليد بن عبدالملك في فتح الاندلس فاشار عليه الوليد بأن (يختبرها بالسرايا ولا يغرر بالمسلمين) فان هذا القول يفهم منه ان الخليفة يوافق على الغزو ولكنه يريد من موسى ان يتأكد للمسلمين من سلامة مواطىء اقدامهم في الاندلس[٧] .

والشيء الذي تجمع عليه المراجع العربية كلها هو ان يليان الذي كان حاكما على سبتة في ذلك الحين ، هو الذي زين لموسى غزو الاندلس ودل المسلمين على دروبها ومواطن ضعفها . وتقص تلك المراجع ، في التعليل لمسلك يليان هذا ، قصة ملخصها ان ابنة يليان كانت في قصر لذريق لتتأدب بآداب السلوك ، على عادة سروات القوط في ذلك الحين فوقع عليها نظر لذريق فاعجب بها فاغتصبها فاعلمت أباها بذلك فاغضبه هذا الامر واحفظه وصمم على الانتقام من لذريق فاتصل بالعرب وهون عليهم فتح الاندلس وقدم لهم الادلاء[٨] .

ومهما يكن من أمر فان الظروف التي كانت سائدة في داخل اسبانيا وفي شمال افريقيا كانت تسمح بهذا الفتح وتحث عليه . فقد كان طارق يقيم على المضيق ومعه عدد يتعاظم كل يوم من الجند العربي والبربري

المتحفز للقتال ، وكثير منهم كان يعرف عن الاندلس وخيراتها ما يثير فيه الرغبة في المشاركة في غزوها•وكان يليان في سبته محاصرا من قبل المسلمين يتحينون به الفرص للقضاء عليه • فكان يريد ان يبعدهم عنه ويوجه انظارهم الى جهة غير جهته فكان طبيعيا ان يعرض عليهم مساعدته لهم في غزو الاندلس وكان طبيعيا ان يقبل العرب على هذا الغزو بروح ملؤها الايمان بالنصر ، وقد ادركوا ان الظروف ميسرة لهم •

وهناك روايات اخرى تقول ان من اتصل بالعرب وزين لهم فتح الاندلس هم أولاد غيطيشه الذين فروا من لذريق بعد موت ابيهم ، طلبا للنجاة واتصلوا بشكل ما بالمسلمين وعرضوا عليهم تعاونهم معهم ليسهلوا لهم الغزو[٩] •

الحملة الاولى للفتح :

بعد ان استأذن موسى الخليفة الوليد بن عبدالملك بفتح الاندلس ، خشي الوليد على المسلمين عاقبة غزوة كهذه في ارض تقع خلف بحر لم يكن المسلمون ذوى دراية كافية في خوضه ، فكتب الى موسى بضرورة اختبار هذه الارض الجديدة قبل ان يرسل اليها جيشا كبيرا • فوقع اختيار موسى على رجل من كبار اتباعه هو ابو زرعة طريف بن ملوك • فرأس طريف قوة صغيرة من اربعمائة راجل ومائة فارس وعبروا الى الاندلس في اربع سفن قدمها لهم يليان فنزلوا في جزيرة تسمى (بالوماس) قرب المكان الذى اقيمت فيه ، فيما بعد ، بلدة سميت بأسم طريف (جزيرة طريف Tarifa) وساعدتهم في ذلك قوة من انصار يليان حرست المعبر حتى تم نزولهم • وكان ذلك في رمضان سنة ٩١هـ (حزيران سنة ٧١٠م) ثم عاد طريف ومن معه ، بعد ان قاموا بعدة غارات سريعة على المناطق الساحلية غنموا فيها كثيرا وارسلوا الى موسى بنصيبه من الغنائم الشيء الذي شجعه وجعله يستعد للفتح التام •

حملة طارق :

كلف موسى طارق بن زياد بالحملة على الاندلس • وقد اختلف المؤرخون في اصل طارق فبعضهم يقول انه ليثي وآخرون يرون انه فارسي وقيل انه بربري • والرأى الغالب انه بربري من نفزة • ولم يصلنا عن طارق شيء موثوق قبل قيامه بفتح الاندلس • وكانت غالبية جنود طارق في حملته هذه من البربر ، و « هذه هي أول مرة نسمع فيها ان قائدا اسلاميا عهد في عمل حربي خطير كهذا الى قائد غير عربي وجند غير عرب في الغالب ، ولكن موسى ، مع ذلك ، احترز للامر فأرسل مع طارق عددا من كبار الجند من العرب وموالي الامويين •• »(١٠) •

وكان يليان قد تعهد بأن ينقل المسلمين الى الاندلس على سفن من عنده ويقوم هو واصحابه بمساعدتهم في أمور الحملة ، ولم تكن سفن يليان التي تصلح لهذا العمل الا اربعا فكان لزاما ان يتم نقل المسلمين على دفعات وان يمكث من يعبر منهم ساكنا ومختفيا عن اهل المنطقة حتى يتم عبور الجيش كله •

وقد تم ذلك في ربيع سنة ٧١١م • وفي المراجع الاسلامية ان العبور كان في رجب من سنة ٩٢هـ • ولم يصلنا خبر يقين عن الشهر الذى تم فيه العبور • واتخذ طارق من الجبل الذى عرف منذ ذلك الحين بأسمه حصنا ومركزا للقوة الاسلامية ، وانطلق منه لاحتلال المدن الاسبانية واحدة بعد أخرى •

هوامش

« نبذة سريعة عن فتح العرب للاندلس »

(١) انظر ابن القوطية ص٣ ٠

(٢) مؤنس : فجر الاندلس ص ٥٦ وابن القوطية ص٣ ٠

(٣) مؤنس : نفس المصدر والصفحة ٠

(٤) ن٠م٠

(٥)

L. Provençal, España musulmana, t., V, P. 13

(٦) انظر : ابن عذارى : البيان المغرب (بيروت مطبعة المناهل ٤٨ـ١٩٥٠) ج (٢) ص ١٨ و١٩ و٢٣ ، والحميدي : جذوة المقتبس ص٥

(٧) ابن عذارى : المصـــدر المذكـــور ص ٦ واخبار مجموعة ص ٥ـ٦ وحسين مؤنس : فجر الاندلس ص ٥٧ـ٥٨ ٠

(٨) ابن عذاري ٢/٩ـ١٠ وانظر مناقشة هذه الرواية في حسين مؤنس : فجر الاندلس ص٥٩ـ٦٠ ٠

(٩) انظر ابن القوطية : افتتاح الاندلس ص ٣ـ٥ ٠

(١٠) حسين مؤنس : فجر الاندلس ص ٦٨

اسم الاندلس

بينما نجد تعبير (اسبانيا) هو اللفظ الوحيد المستعمل بين الاخباريين الاسبان ويقصدون به شبه جزيرة ايبريا بأجمعها : فيدخل في مفهومه الاراضي التي تحت السلطان العربي وتلك التي بيد الاسبان او التي استردها هؤلاء من العرب ، نجد ، في نفس الوقت ، المؤرخين العرب ، الا في احيان نادرة ، يطلقون على القسم الخاضع للعرب من شبه الجزيرة تعبير (بلاد الاندلس) . وكان مدلول هذا اللفظ يتسع ويضيق تبعا لاتساع السلطان العربي في الجزيرة او انحساره(١) .

اما المناطق التي كانت بيد الاسبان ، فكان العرب يطلقون عليها اسماء الدويلات الاسبانية التي تقام فيها مثل : البرتغال ، وقشتاله ، ونافر" وأرغون.

اما الاصل الذي نشأت عنه لفظة (الاندلس) ، فيدو ، على ارجح الآراء ، انه من فاندالسيا Vandalicia اي اقليم الوندال ، وهو الاسم الذي اطلقه الوندال على منطقة بيتيكا (Bética) ، في جنوب اسبانيا والذي عرف بين العرب معربا بلفظ (بيطي)(٢) . ويظهر ان العرب لم يأخذوا لفظ (الاندلس) عن فاندالسيا وانما عن لفظ الوندالس (Vándalos) ، وهو اسم القبائل المتبربرة التي سكنت جنوب اسبانيا فنسبوا شبه الجزيرة كلها الى هذه القبائل فقالوا (بلاد الوندالس)(٣) ثم اختصر وخفف فصار (بلاد الاندلس) بتحويل الواو الى همزة وحذف الالف تخفيفا . ولايزال هذا اللفظ (الاندلس) يستعمل في الاسبانية ويراد به الاقاليم الاسبانية الجنوبية : المرية ، وغرناطة ، ومالقة ، وجيان ، وقرطبة ، واشبيلية ، وقادس ، وولبة .

هوامش

« اسم الاندلس »

(١) Levi-Provençal, IV, P. 44--45. William C. Atkinson, Ahistory of spain and portugal, London, 1961, P. 46.

(٢) حسين مؤنس : فجر الاندلس ، ص٤ ، ود ٠ احمد هيكل : الادب الاندلسي ص١٩ ، ٢٠ و Levi-Provençal, Ibid, P. 44

(٣) وانظر ايضا حول اسم الاندلس المقرى : نفح ج (١) ص ١٢٤ و١٣٠ و١٣١ وياقوت : معجم البلـــدان ج (١) ص٣٧٥ (طبعة مصورة في طهران ١٩٦٥عن طبعة وستنفيلد لايبزكسنة ١٨٦٦) وابن غالبص١٢

الفصل الثالث

عناصر المجتمع الأندلسي

كان المجتمع الاندلسي ، خلال القرن الاول للفتح العربي لاسبانيا ، يتألف من عناصر مختلفة الاصول ، يكون الجزء الاكبر منها الشعب الايبيرى الذي كان ، قبول دخول العرب الى اسبانيا ، شعبا أوربيا نصرانيا كاثوليكيا في غالبيته العظمى ، تعيش فيه جماعات قليلة من اليهود • وكان يتكلم لغة هي خليط من الرومانية والايبيرية وفيها بعض العناصر القوطية ، ولكن الطابع الروماني كان هو الغالب عليها ، فلهذا سماها العرب عجمية أهل الاندلس أول الامر ، ثم بعد اطلاعهم على حقيقتها دعوها اللطينية •

ويعتبر الايبيريون هم اساس السكان الاصليين في شبه الجزيرة وهـم جنس من البربر قديم استوطن شبه جزيرة ايبيريا منذ أقدم العصور قادمـا اليها من شمال افريقيا وقد اطلق عليهم منذ القديم اسم « الموريين » وهو من اللفظ الاغريقي[1] (Mauroi) واختلط بـه جنس أوربي قـديم ، جرماني في الغالب ، فكون هذا المزيج بين هذين العنصرين الشعب الاصلي لشبه الجزيرة والمعروف بالايبيري (Los Iberos).

وقد تتابعت ، بعد ذلك ، هجرات عديـدة الى شـبه الجزيرة أهمها هجرة (الكلت) الذين اختلط معظمهم بالسكان الايبيرين ايضـا ، ثم أتى البلاد جماعات من الفنيقيين واليونان ثم جاءت موجة الفتح الروماني الذي عم البلاد كلها ، فطبعها بطابعه الروماني ، حتى ان سكانها أصبحوا يسمون منذ ذلك الزمن بالايبيرين الرومان •

أما دخول العرب الاندلس فكان على شكل موجات متتابعة لم يصلنا من اخبارها الا ما جاء في المراجع عن عدد قليل يسمى (الطوالع) جمـع (طالعة) ويراد بها كل مجموعة من العرب دخلت الاندلس على شـكل جماعة • وأول طالعـة من العرب دخلت الى الاندلس هي طـالعة موسى ،

وكانت تضم نحو اثني عشر الفا من العرب ، في رواية[٢] ، أو ثمانية عشر ألفا حسب رواية أخرى[٣] • وكان بين رجال هذه الطالعة كثير من التابعين ومن شيوخ القيسين واليمانين ومواليهم وموالي بني أمية •

وأهم الطوالع التي دخلت الاندلس بعد طالعة موسى هذه ، هي طالعة بلج بن بشر القيسي في ذي القعدة سنة ١٢٣هـ – ٧٤١م وكان عدد أفراد هذه الطالعة حوالي عشرة الاف غالبيتهم من القيسيين •

وكان أهل الطوالع السابقة قد اختاروا لاستيطانهم أحسن ما في نواحي البلاد الجديدة هذه التي فتحوها فاستقروا فيها وتسموا بالبلديين • وحينما نزل بلج وجماعته القيسيون الى الاندلس ، كره البلديون أن ينافسهم في خيرات بلدهم هذا العدد الكبير من الشاميين ، فشب النزاع منذ هذا التاريخ بين القيسية واليمنية في الاندلس • وكان هذا النزاع في الواقع امتدادا للعداوة القديمة المستحكمة بين كلب وقيس ، وقد زادته الظروف المحلية في الاندلس ، حدة وتأزما[٤] ثم تطور هذا الصراع بعد ذلك وأصبح صراعا بين حزبين كبيرين غالبية الاول من القيسية وغالبية الثاني من الكلبية ، وانضمت الى كل من هذين الحزبين جماعات مختلفة من العرب بحسب ما كانت تمليه مصالحها الخاصة •

ولقد كان لهذا النزاع القبلي السياسي اثر خطير على الحكم العربي في اسبانيا حتى أن السلطة العربية هناك اوشكت على الاندثار والضياع ، الا أن مجيء عبدالرحمن الداخل (١٣٨–١٧٢هـ = ٧٥٦–٧٨٨م) قوى السلطان العربي ، وانقذ الاسلام في الاندلس من الزوال[٥] •

وعند دراستنا للعنصر العربي في الاندلس خلال القرن الثاني الهجري– الثامن الميلادي تواجهنا معضلة تاريخية عويصة الحل • ذلك ان المعلومات

القليلة التي وردتنا عن اعداد العرب الذين دخلوا شبه الجزيرة لا تسمح لنا الا بأن نقدرهم ببضعة آلاف .

فاذا سلمنا بان طالعة موسى كانت ١٢ ألفا وطالعة بلج عشرة آلاف واذا أضفنا الى هؤلاء من جاء الاندلس مع الحر بن عبدالرحمن الثقفي وعددهم اربعمائة فيكون المجموع ٢٢٤٠٠ . فاذا أخذنا بنظر الاعتبار من يمكن أن يكونوا قد استشهدوا في حروب العصبيات والفتوح ، ومن دخلوا على شكل جماعات أو أفراد لم يصلنا خبرهم ، يظهر لنا اننا لا يمكننا بأي حال من الاحوال أن نقدر البقية الباقية من العرب في الاندلس ، خلال هذه الفترة ، بما يزيد عن ثلاثين ألفا . [٦]

فكيف تسنى لهذا العدد الضئيل ، نسبيا ، ان يغطى شبه الجزيرة الفسيح بهذا الشكل الذي نعرفه خلال هذه الفترة ؟

والحقيقة ان العرب كانوا قلة بالنسبة للعناصر التي يتألف منها سكان الجزيرة ولكن دخولهم الجزيرة يختلف عن دخول غيرهم للاراضى المحتلة. فقد دخل العرب الى اسبانيا على شكل جيوش منظمة ليس معهم عوائلهم ، فكان من الطبيعي أن يتخذوا لهم نساء من اهل البلاد ، وأن تصبح المصاهرة بينهم وبين الاسبان أمرا لابد منه . [٧]

وتعطينا المراجع العربية فكرة واضحة عن نسبة التوالد نتيجة هذا التزواج بين أولئك العرب الفاتحين والنساء الاسبانيات . [٨] وقد انتفع الاستاذ حسين مؤنس من الاحصاء الذي قدمه ابن حزم ، في جمهرة انساب العرب ، عن نسل عبدالرحمن الداخل وبنيه ، فخرج بنتيجة طريفة هي ان أولئك الثلاثين ألفا من العرب الفاتحين أصبحوا بعد عشرين سنة من دخولهم الجزيرة ٣٠٠ ألف . وليس في هذه النتيجة حل تام لتلك المعضلة التاريخية الا انها تجعلها أقرب الى المعقولية والامكان . [٩]

أما البربر فكانت اعداد من اشترك منهم في فتح الاندلس أكثر من اعداد العرب باضعاف وبعد الفتح اتصل تيار الهجرة البربرية الى الاندلس بشكل مستمر • وقد استقر البربر الى جانب العرب في بعض نواحي الاندلس وانفردوا بأنفسهم في نواح أخرى • وارتبطوا في كل ناحية بالاهلين بروابط الزواج ، وتحولوا بالتدريج الى اندلسيين • ولقد كان لهؤلاء البربر المستقرين بالاندلس أثر عظيم جدا في انتشار الاسلام فيه • وقد ساعد على بروز هذا الاثر طبيعة البربري وقربه من حيث المزاج ، والاصل ايضا من أهل البلاد الاصليين وكان البربر أسرع اندماجا في البيئة الجديدة من العرب ، لانهم لم تكن لهم لا عصبية كالعصبية العربية ، ولا لغة مكتوبة تحول بينهم وبين هذا الاندماج السريع • وهكذا لم يكد الجيل الاول منهم يأفل نجمه حتى سطع في الجيل الثاني نجم اندلسي جديد نسي أصله ولم يعرف الا الاندلس وطنا له • وكان هذا الجيل الجديد يقبل على العربية يتعلمها ويدرس ابناؤه الاسلام ويتفقهون فيه • ومن الناحية الاجتماعية ارتبطوا بأهل البلاد بروابط الصهر والقرابة • وكان شأنهم شأن مهاجرة العرب المستقرين في الاندلس استجابوا للبيئة ، فصاروا اندلسيين اسرع من العرب •

والى جانب العرب والبربر كانت هناك طائفة اخرى لعبت دورا هاما في توجيه الحوادث طيلة هذه الفترة ، هي طائفة الموالي • ويبدو من الاشارات التي وصلتنا عن الموالي في الاندلس ان معظمهم كانوا من أهل المغرب الداخلين في ولاء بني أمية أو في ولاء عمالهم وان أقلهم كان من موالي المشرق ، ممن دخل في ولاء الامويين من أهل الشام أو العراق وفارس • وتكونت من هؤلاء جميعا وممن انضم اليهم من موالي بني أمية من أهل الاندلس ، كتلة من الموالي الامويين كان لها تأثير كبير في مجرى الحوادث

في الاندلس . والرأي الراجح انهم سعوا لتمهيد الامر لعبد الرحمن الداخل ليعتلي السلطة في الاندلس .

ولم يكن الموالي في الاندلس على نفس الحال التي كانوا عليها في المشرق فقد كانت منزلتهم الاجتماعية في المشرق اقل من منزلة الحر ، اما في الاندلس فقد كانوا في مركز اجتماعي مرموق لا يقل في شيء عن مركز الاحرار . وبعد أن أعانوا عبدالرحمن على اقامة دولته ، أصبحوا في مركز العرب الاحرار ، وكان امراء بني أمية لا يعتمدون الا عليهم فأصبحت بأيديهم كل الوظائف الكبرى في الدولة وصار لهم مكان ممتاز في الادارة والمجتمع وساعد على ذلك الظروف المضطربة التي احاطت العرب والتنافس الحاد الذي نشب بينهم ، ففرق العرب عن بعضهم بينما بقي الموالي كتلة واحدة متراصة ، يحاول كل من اليمنيين والشاميين كسبها الى جانبه .

على ان العنصرين اللذين كانا يؤلفان الجزء الاكبر من عناصر المجتمع الاندلسي هما : المولدون واهل الذمة من نصارى ويهود . وقد كان العرب يطلقون على أهل الاندلس اسم العجم أو عجم الاندلس ، ثم بعد ان استتب الامر للمسلمين هناك أخذوا يطلقون عليهم اسم عجم الذمة أو أهل الذمة . أما اليهود فكانوا يسمون (اليهود) أو الذميين . ولما انتشر الاسلام في البلاد اطلقوا على من اسلم من الاسبان لفظ المسالمة ـ مفرده مسالم ـ ثم أطلق على أولاد هؤلاء الذين نشأوا على الدين الاسلامي اسم المولدين واستمرت هذه التسمية حتى نهاية القرن الثالث الهجري حين انصهر اهل الاندلس في بوتقة واحدة فتكونت منهم الشخصية الاندلسية . وكان لهؤلاء المسالمة والمولدين وضع لا يختلف عن الوضع العام للعرب والبربر المسلمين أصلا . وكان لهم ما للمسلمين دون تفريق أوتمييز .

الوضع اللغـــوي العـــام :

كان من نتائج التزاوج بين المولدين الاسبان والمسلمين الداخلين الـى الاندلس ابتعاد هؤلاء المولدين عن الروابط الروحية التي كانت تشدهم الى اصولهم الاسبانية البعيدة • ثم نتج عن ذلك التزواج ايضا حركـــة اندماج بشرية واسعة بين العناصر التي تكون سكان شبه الجزيرة ، حتى لم يعد من السهل التميز بين أهل البلاد والوافدين عليها • (١٠)

والشيء المؤكد هو ان اللغة العربية ابتداء من القرن الثامن الميلادي أو التاسع على الاكثر وحتى القرن الخامس عشر ، لم تكن هي اللغـــة الوحيدة في الاندلس ، وانما كان الى جانبها كثير من اللهجات الدارجة التي هي خليط من عجمية الاندلس المتألفة في أغلبها من اللاتينية العامية مشوبه بالايبيرية والعربية • (١١)

وقد اثبت المستشرق الاسباني خوليان ريبيرا ، في بحث حول هـــذا الموضوع انه كانت في اسبانيا الاسلامية لغتان ادبيتان هما : اللغة العربيـــة الفصحى واللاتينية الفصحى ولغتان عاميتان هما : العربية الدارجة، واللاتينية الدارجة (أو العامية) وهي التي تسمى الرومانثي (Romance) (١٢)

أما اللاتينية الفصيحة فكانت تستعمل بصورة خاصة ، بين رجـــال الدين الاسبان كلغة للطقوس الدينية ، وبين المسيحيين الاسبان الذين بقوا تحت السلطان العربي في الاندلس •

أما العربية الفصحى ، كلغة ادبية ، فلم يقتصر على التأليف فيها العرب الاندلسيون وانما شاعت بين الاسبان ، أيضا ، شـيوعا بعيد المدى حتى ان المسيحيين الاسبان الذين كانوا يعيشون بين العرب ، والذين عرفوا فيما بعد

بالمستعربين (Mozarabes) كانوا يؤثرون استعمال لغة العرب واسمائهم وازيائهم [١٣] وقد بلغ من نسيان هؤلاء المستعربين لغتهم وشغفهم بالعربية انهم كانوا « ينظمون من الشعر العربي ما يفوق شعر العرب أنفسهم » في الفن والجمال ، حتى ان الاسقف الفارو القرطبي (في القرن التاسع الميلادي – الثالث الهجري) أطلق شكواه المرة وحسراته الحارة ، بسبب ما وصل اليه حال قومه في هذا الشأن فقال : « ان اخواني في الدين يجدون لذة كبرى في قراءة شعر العرب وحكاياتهم ، ويقبلون على دراسة مذاهب أهل الدين والفلاسفة المسلمين ، لا ليردوا عليها وينقضوها ، وانما لكي يكتسبوا من ذلك اسلوبا عربيا جميلا صحيحا ، واين تجد الان واحداء من غير رجال الدين ، يقرأ الشروح اللاتينية التي كتبت على الاناجيل المقدسة ؟ ومن – سوى رجال الدين – يعكف على دراسة كتابات الحواريين وآثار الانبياء والرسل ؟ يا للحسرة ! ان الموهوبين من شبان النصارى لا يعرفون اليوم الا لغة العرب وآدابها ، ويؤمنون بها ويقبلون عليها في نهم • ينفقون أموالا طائلة في جمع كتبها ، ويصرحون في كل مكان بأن هذه الآداب حقيقة بالاعجاب • فاذا حدثتهم عن الكتب النصرانية اجابوك في ازدراء بأنها غير جديرة بأن يصرفوا اليها انتباههم • يا للالم ! لقد انسى النصارى حتى لغتهم ، فلا تكاد تجد بين الالف منهم واحدا يستطيع أن يكتب الى صاحب له كتابا سليما من الخطأ • فأما عن الكتابة في لغة العرب فأنك واجد فيهم عددا عظيما يجيدونها في اسلوب منمق ، بل هم ينظمون من الشعر العربي ما يفوق شعر العرب انفسهم فنا وجمالا »[١٤] •

وأما العربية واللاتينية العاميتان فكانتا كلتاهما تستعملان ، على السواء ، بين مسلمي اسبانيا وبين من كان يعيش بينهم من المسيحيين الاسبان • وكان هذا أمرا طبيعيا : فالعرب كانوا يدخلون الاندلس رجالا فقط ويتخذون

نساءهم من أهل البلاد ، فابناؤهم لم يكونوا عربا خلصا ، من حيث الدم ، وان كان احساسهم وثقافتهم وفكرهم عربيا • وكان هؤلاء الابناء يتكلمون لغة امهاتهم الاسبانيات كما يتكلمون لغة آبائهم العرب • فنشأت عن هـذا الازدواج اللغوي ، خلال الاجيال المتعاقبة ، لغة جديدة هي عبارة عن خليط من لغة اهل البلاد واللغة العربية ، عرفت بين عرب الاندلس باسم (عجمية أهل الاندلس) • او (اللطينية) كما يدعوها ابن حزم • ومن الدلائل على ان هذه اللغة كانت غالبة بين الاندلسيين ما ذكره ابن حزم عن جماعة مـن العرب حيث يقول : (داربلى بشمال قرطبة ، وهم هناك الى اليوم علـــى انسابهم لا يحسنون الكلام باللطينية ، نساؤهم ورجالهم ، ويقرون الضيف ولا يأكلون اليه الشاه الى اليوم ، ولهم دار اخرى بمرور) [١٥] وهذا النص يدل على ان عامة العرب في الاندلس كانوا يتكلمون ـ اللطينية ـ وان القبيلة المذكورة قد شذت عنهم في عدم احسانها الكلام بهذه اللغة • [١٦] وربما دل قوله (لا يحسنون الكلام باللطينية) انهم كان لهم المام بها لا يصل الى حد الاجادة فيها •

ولدينا نص عن الرحالة المقدسي (أواخر القرن العاشر الميلادي ـ أواخر القرن الرابع الهجري) يذكر فيه انه التقى بمكة ببعض الاندلسيين ويشير الى انهم كانوا يتكلمون لغتين : لغة عربية يصعب فهمها لاختلافهما عن اللغة العربية المشرقية ، ولغة اخرى تشبه ، في نظره ، الاغريقية • وفي الواقع ان هذه اللغة الاخرى لا يمكن أن تكون الا الرومانثية التي كانت شـائعـة بين الاندلسيين • [١٧]

ويبدو ان لسان عرب الاندلس قد بدأ يستعجم منذ فترة الولاة[١٨] • فقد روى الخشني قصة حدثت لاحد قضاة قرطبة هو يخامر بن عثمان وكان ولي القضاء سنة ٢٢٠هـ « فعامل الناس بخلق صعب ومذهب وغر وصلابة

جاوزت المقدار فلم تحتمل العامة له ذلك فسلطت عليه الالسن وكثرت فيه المقالة ... وتألب الناس ورفعوا الى الامير ... يشكون يخامرا القاضي فلما كثر ذلك على الامير عبدالرحمن (الثاني) (حكم في سنة ٢٠٦–٢٣٨هـ = ٨٢٢ – ٨٥٢ ميلادي) ... أمر الوزراء بسماع الشهادة والنظر في أمر يخامر فذكرت عنه اشياء مدارها على قلة المدارات وترك حسن المعاملة . وكان حينئذ بالمدينة شيخ اعجمي اللسان يسمى (ينير) وكان مقدما عند القضاة مقبول الشهادة ، مشهورا في العامة بالخير وحسن المذهب فارسل فيه الوزراء وسألوه عن القاضي ، فقال بالعجمية : ما اعرفه الا اني سمعت الناس يقولون انه انسان سوء ، وصغره باللفظ العجمي فلما رفع قوله الى الامير رحمه الله عجب من لفظه وقال : ما اخرج مثل هذه الكلمة من هذا الرجل الصالح الا الصدق . فعزله عن القضاء حينئذ »[١٩] .

ان هذا النص ليدل بوضوح على شيوع لغة الرومانثي بين سكان قرطبة ، والا فكيف يشهر بالخير بين العامة وبحسن المذهب اعجمي كهذا ان لم يكونوا يتعاملون معه بلغته التي لا يعرف غيرها ؟ ثم ان لغته هذه يفهمها الوزراء ، ويفهمها الامير الاموى نفسه ، ويتذوق ما فيها من اساليب تعبيرية توحي بصدق من يستعملها .

وهناك روايات اخرى تؤكد هذه الحقيقة منها ما يشير الى ان عمر ابن حفصون[٢٠] ، وقواده في ثورته كانوا يتكلمون الرومانثية وفيها ما يدل انه في مجالس عبدالرحمن الناصر (القرن الرابع الهجرى ـ العاشر الميلادي) كانت تدور بعض التعابير باللغة الرومانثية ، كان هو وندماؤه يفهمونها . وفي مسجد قرطبة الجامع ، وفي القرن الخامس الهجرى ـ الحادى عشر الميلادي ، كانت تسمع ، في بعض الاحيان ، اللغة الرومانثية يتكلم بها الفقهاء انفسهم ، ولاسيما حين يسخطون[٢١] .

وعندنا في ديوان ابن قزمان (٤٦٠-٥٥٤/١٠٦٨-١١٦٠) ادلة لا سبيل الى نقضها ، ففيه كثير من الابيات الزجلية وردت فيها اللغتان العاميتان اللتان كانتا شائعتين في الاندلس : العربية الدارجة والرومانثية [٢٢] .

هذا الامتزاج العنصرى والاختلاط اللغوى كان لهما ، بطبيعة الحال، اثر عميق في تكوين الشخصية الاندلسية لا من حيث الصفات الجسمانية التي اختلطت فيها السمرة العربية بالبياض الاوربي ، فحسب ، بـــل في الصفات العقلية والنفســـية ايضا • والشيء الذى اضفي على هذا النسـيج الاجتماعية وحدة روحية وتماسكا عضويا هو الثقافة العربية الاصيلة والروح الاسلامي السمح ، فانهما بقيا الطابع المميز للاندلس طوال الحكم العربي هناك ولاتزال آثار تلك الروح العربية الاسلامية وحضارتها الرائعة هي التي تعطي لاسبانيا بعامة ولقسمها الجنوبي الذي لايزال يعرف بالاندلس ، بخاصة ، شخصية ذات طابع خاص يميزها عن بقية الامم الاوربية •

هوامش

الفصـــل الثالث

« عناصر المجتمع الاندلسي »

(١) انظر : كراتشكوفسكي : دراسات في تاريخ الادب العربي دار النشر (علم) ص ٥٦ ٠

(٢) انظر : حسين مؤنس : فجر الاندلس ص٣٥٥

(٣) ابـن القـوطيـة ص١٩٢ ونفـح ١/٢٥٢ وانظـــر : Levi-Provençal, IV, 15, 50. اما ابن عذارى فقد ذكر نقلا عن الرازي : «خرج موسى بن نصير في عشرة آلاف وتقدم يريد الاندلس » جـ٢ ص١٩

(٤) كراتشكوفسكي : ص ٥٦ ٠

(٥) انظر تفاصيل هذا الصراع وتطوره في أخبار مجموعة ص٥٦ ومابعدها وابن القوطية ص١٦ ـ ١٧ و ٢٠ وما بعدها وابن عذاري : البيـان المغرب (تحقيق كولان وبروفنســال) ص٣١ ـ ٣٨ و (فجـر الاندلس) ص٣٥٥ ـ ٣٦٥ ، وليفى بروفنسال : اسبانيا (المصدر المذكور) ص ٥٠ ـ ٥٢ و :

R.P. Dozy, Historia de los musulmanes de España, 1, PP. 138-161 .

وانظر ترجمته العربية : دوزي : تاريخ مسلمي اسبانيا ١/١٥٤ـ١٨١

(٦) حسين مؤنس : ن٠م٠ ص٣٦٤ و ٣٦٥ ٠

(٧) بالينثيا : تاريخ الفكر الاندلسي ص١ وحسين مؤنس : فجر الاندلس ص ٣٦٥ ٠

(٨) انظر البيان المغرب ج (٢) ص٧٢ و٩١ و١٠٣ و١٢٢ و١٤١ و١٧٠ ، وانظر ابن حزم : جمهرة انساب العرب (طبعة بروفنسال ، القاهرة ١٩٤٨) ص ٨٦ـ٩٣ (عن فجر الاندلس ص ٣٦٦) ٠

(٩) فجر الاندلس ص ٣٦٦ ٠

(١٠) فجر الاندلس ص ٤٣١ و Levi-Provençal, Ibid, P. 47

(١١) فجر الاندلس ص٤٣١ و٤٣٢و Levi-Provençal, Ibid, P. 47-8

(١٢) J. Ribera, Disertaciones, I, P. 28-36.

(١٣) تاريخ الفكر الاندلسي ص٤٨٥ وكراتشكوفسكي : دراسات في تاريخ الادب العربي ص٥٩ .

(١٤) بالينثيا ص٤٨٥–٤٨٦ . وانظر : كراتشكوفسكي ص ٥٩ ، ود. احمد هيكل ص٤٨ ودوزي : ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الاسلام ترجمة كامل كيلاني ، القاهرة ١٩٣٣ – هامش ص ٨ و
Julian Ribera, Disertaciones y Opusculos, I, P. 28.
A. Gonzalez Palencia, Historia de la literatura, p. 295-96.

(١٥) ابن حزم : جمهرة انساب العرب ص ٤١٥ (عن فجر الاندلس ص٣٧٧) وانظر احمد هيكل ص٥٧ .

(١٦) فجر الاندلس ص٣٧٧ .

(١٧) انظر : د. احمد هيكل ، ص ٥٦ و J. Ribera, I, P. 31.

(١٨) فجر الاندلس ص ٣٧٧ .

(١٩) كتاب القضاة بقرطبة ص٩٤–٩٧ و J. Ribera, I, P. 31-32.

(٢٠) وهو ثائر من المولدين ، اعتمد ، في ثورته على الحكم الاموي ، على اثارة الروح الوطنية الاسبانية ضد العرب ، وقد كان هروبه من قرطبة ولجوءه الى جبل بربشتر في سنة ٢٧١ ، في امارة محمد بن عبدالرحمن بن الحكم بن هشام (٢٣٨–٢٧٣هـ) واستمرت ثورته حتى اوائل خلافة عبدالرحمن الناصر لدين الله (٣٠٠–٣٥٠هـ/٩١٢–٩٦١م) ، فقد هلك سنة ٣٠٥هـ . انظر طرفا من اخباره في ابن عذاري : البيان المغرب جـ (٢) ص ١٥٧–١٥٩ وص٢١٠–٢٢٣ و٢٥٦ وابن حيان : المقتبس ص ٥٠–٥٤ .

(٢١) J. Ribera, P. 32-33.

(٢٢) نفس المصدر ص ٣٥–٣٦ . وانظر ديوان ابن قزمان (نشر نيكل) ص٢٠٢ حيث يقول : « بون كل الملاحه بون بون » فقد استعمل كلمة (Bon) الاسبانية القديمة ، اي طيب او حسن . وفي قوله في ص٢١٤ (زجل رقم ٩٠) « بينو ، بينو ودعني مما يقال » استعمل كلمة Vino في الاسبانية العامية القديمة التي تعني « الخمرة » . وانظر : د . الاهواني : الزجل في الاندلس ص٤٤ .

الفصل الرابع

الظروف العامة

للأدب الأندلسي

في القرنين الثاني والثالث للهجرة

تعرض النشاط الفكري في الاندلس ، بصورة عامة ، والادبي منه بصورة خاصة خلال هذين القرنين الى تأثيرين اساسيين هما : الظروف المحلية التي احاطت بالعرب في الاندلس ، والتأثير المشرقي .

اما الظروف التي كانت سائدة في الاندلس ، في هذه الفترة ، فقد كانت تتسم بالاضطراب والتنافس فيما بين القبائل العربية المختلفة ، اضافة الى انشغالهم بامور الفتح وما يتطلبه من حروب ضد الاسبان[١] .

واذا كان في هذه الظروف المضطربة ما يشغل الاذهان عن شؤون الفكر والادب فان فيها ايضا ما يدفع بالشعراء المرهفين دفعا الى ان يقولوا شعرا يعبر عن وقع هذه الظروف في نفوسهم ذما لها أو وصفا لاثارها أو سخطا عليها وتبيينا لفسادها .

ثم أن وجودهم في هذه الارض الجديدة البعيدة يكون ، بحد ذاته باعثا قويا من بواعث الشعر . فالتغني بهذه الارض الجديدة الجميلة ، الغنية بجمالها ومياهها ، الملتفة اشجارها ، المترنمة اطيارها ، الوارفة ظلالها ، كل هذا كان من الموضوعات التي تثير في نفس العربي الحس المرهف وتطلق لخياله العنان ، وتنبه في وجدانه ازاهير الشعر . وبعدهم عن المشرق وسحره ، وعن الاهل والاحباب ، والاوطان والاصحاب ، وعن مرابع الصبا والشباب ، كل هذه بواعث قوية لها في نفوس الشعراء وقع عميق الاصداء بعيدها[٢] . فهل يعقل ان تمر بالعربي كل هذه الاسباب والبواعث والاثارات دون أن تمس في نفسه وترا من قيثارة الشعر ، أو نبضة من نبضات الوجدان ؟

وعلى الرغم من دواعي الشعر هذه ، ومن دواعي اخرى تثيرها الحرب مع اعداء الدين والحرب مع اعداء القبيلة والتنافس العنصري مع البربر

والموالي ، على الرغم من هذا كله فان ما وصلنا من اخبار الادب والشعر في هذه الفترة اقل من القليل ولا يكاد يكفي لكي يسمح لنا بتكوين صـــورة واضحة عن الحياة الادبية خلال القرن الثاني الهجرى ، وان كان يعطينا فكرة أوضح عنها في القرن الثالث(*) .

ففي خلال القرن الثاني الهجرى (الثامن الميلادى) عاش العرب في الاندلس سوية مع عناصر الشعب الاسباني المختلفة دون أى التقاء فكرى مع سكان البلاد ودون اى تفاهم مباشر عن طريق اللغة . فلا يمكن ، اذن ، ان نتوقع حدوث أى تأثير فكري متبادل بين الطرفين . فقد كان كل من الفريقين منغلقا دون الآخر بحدود لغته القومية وكانت القطيعة الفكرية تكاد تكون تامة بينهما . وكأثر من آثار هذه القطيعة كان لكل منهما طريقته الخاصة بالغناء . وقد اكد هذه الحقيقة التي كانت تعرف عن طريق الحدس والافتراض ، نص لتيفاشي (القرن السابع الهجرى ـ الثالث عشر الميلادي) ورد في جزء من كتاب موسوعي له كان مجهولا حتى سنة ١٩٥٢ ، عنوانه « كتاب فصل الخطاب في مدارك الحواس الخمس لاولي الالباب » . يقول هذا النص : « ان اهل الاندلس في القديم كان غناؤهم اما بطريقـة النصارى واما بطريقـة حداة العرب »(٣) .

واما عن الحياة الفكرية بين العرب فلم يصلنا شيء يدل على اهتمامهـم بأمور الثقافة والادب خلال السـنوات القليلـة التي اعقبت الفتح البري لاسبانيا . وربما يرجع ذلك ، اضافة الى اضطراب الاحوال العامـة ، الى ان الداخلين الى الاندلس من العرب كانوا جميعا من المحاربين(٤) . على ان كونهم من المحاربين جميعا لا يفسر الا انصرافهم عن التأليف الادبي أو عن التأليف

(*) انظر في هـذا فصل « الشـعر الاندلسي في القرنين الثاني والثـالث للهجرة » من هذا الكتاب .

في نواحي الفكر الاخرى المعروفة آنئذ . اما قول الشعر فكيف نفسر عدم وصول شيء من انتاجهم الشعري ، خلال هذه الفترة ، الينا ؟ ان الاشتراك في الحرب باعث اساسي من بواعث الشعر عند العربي . ومعظم ما وصلنا من انتاج شعري لفتيان العرب وفرسانها ، في مختلف العصور ، كانت بواعثه وموضوعاته دائرة على وصف المعارك والفخر بالبلاء الحسن فيها ، ووصف الجيوش والفرسان ، وجو المعركة وانهزام الاعداء ، الى آخر هذه الموضوعات التي يفرضها جو الحرب . أفيعقل ان أحدا من الفاتحين العرب الاوائل للاندلس لم يقل شيئا في هذا أو شيئا في بعض هذا[٥] .

اما عن القرن الثالث فقد وصلتنا اخبار ادبية واشعار اكثر بكثير ولكن الى جانب ذلك لدينا العديد من الادلة على ضياع الاكثرية الكاثرة مما كان موجودا خلال هذا القرن من ادب وشعر .

وفي الواقع وردنا شيء يسير يدور على امور الحرب ويشير بوضوح الى ان الشعراء لم يكونوا بعيدين عن المشاركة بشعرهم فيها . من ذلك انه لما اظهر ابن حفصون النصرانية سنة ٢٨٦ ، وتآزر مع الثائرين من الاسبان، رأى المسلمون أن حربه جهاد ، فتتابعت عليه الغزوات بالصوائف والشواتي، قال ابن قلزم لابن ابي عبيدة (توفي سنة ٢٨٧هـ) احد القواد المحاربين لابن حفصون[٦] :

ففي كل صيف وفي كل مشتى	غزاتان منك على كل حال
فتلك تبيد العدو وهذي	تفيد الامام بها بيت مال

وفي سنة ٢٨٧هـ صلب اثنان من رجال ابن حفصون يدعى احدهما اسحق . فقال احدهما لصاحبه ، وهو يرفع في الخشبة : « غررت بي يا اسحق » فجرت هذه الجملة مثلا في الناس . فاذا كانت جملة كهذه معبرة

عن تخاذل رجال ابن حفصون تصبح مثلا بين الناس فمن الاجدر ، ومن الادعى للتوقع أن ينظم الشعراء في الوقائع التي يهزم فيها ابن حفصون هزيمة منكرة(٧) .

ثم ان الكوارث الطبيعية التي كانت تنزل بالاندلس بسبب القحط الشديد وما يستتبعه من مجاعات عظيمة متوالية يموت فيها الخلق الكثير ، لا يمكن الا ان تكون من البواعث القوية على قول الشعر فيها . فقد بلغت المجاعة في سنة (٢٨٥ هـ) من الشدة ما جعل الناس يسمون السنة بها « سنة لم أظن »(٨).

فهل يمكن أن تمر هذه السنين الشديدة دون أن يقال فيها شعر ؟ لا ريب في انه قد قيل فيها شعر كثير ، الا انه لم يصلنا . والدليل على ذلك ما وصلنا من قصيدة للعكي قالها سنة (٢٧٥هـ) حينما عم بالاندلس القحط الشديد ، فاستسقى الناس فنزل ثلج كثير في أول يوم من يناير ولم ينزل غيث ، ثم استسقى مرارا فلم يمطروا ، فخامر الناس القنط ، فلما دخل فبراير بعض ايام سقى الناس وارتفع الباس فاستبشروا بفضل الله واعلنوا شكره ، فقال العكي في ذلك ويمدح المنذر :(٩)

نزل الحيا المحيي وطابت انفس	قد كان سوء الظن فيها يهجس
احيا الاله عباده ، من بعدما	كانت من القنط النفوس توسوس
متلافيا فيه بعائد رحمة	لولا عوائدها طوتنا الا بؤس
ملك الملوك تقدست اسماؤه ال	حسنى ، وعز جلاله المتقدس

فالذى يقول شعرا في مطر يهطل بعد انقطاع وقحط ، الا يقوله في مجاعة تعم فتضطرب لها النفوس ويخامر الناس القنوط ؟

وحين تكسف الشمس كسوفا كليا قبل وقت الغروب فتظهر النجوم

في غير ابانها ، ويؤذن اهل المساجد لصلاة المغرب ويؤدى الناس الصلاة ثم تنجلي الظلمة وتعود الشمس مضيئة(١٠) ، حين تحدث هذه الظاهرة الغريبة ايعقل انه لم يقل فيها احد شيئا من الشعر ؟

مما لاشك فيه ان لاضطراب الاحوال وحدوث الثورات المتوالية في الاندلس دخلا كبيرا في ضياع ما يمكن أن يكون قد قيل من شعر في تلك الاحداث • فقد وصل الامر الى حد أن جنديا يثور على العامل ويضبط القصبة(١١) • وان معلم صبيان يقود ثورة(١٢) • وكان موقف الامراء الامويين من الثورات التي تحدث ضد عمالهم في المدن ، موقف المنتظر المراقب للاحداث فمتى ما تمت الغلبة لاحدى الجهتين ، واظهرت الجهة المنتصرة الطاعة ، اظهر الامير تصديقه للمنتصر واعترف له بالسلطة على المدينة وثبت بها قدمه(١٣) •

وما حدث للشعر ، حدث للنثر كذلك • فقد وصلتنا اسماء الكثير من الكتاب ولم يصلنا عنهم شيء من كتاباتهم • ووصلنا عنوان كتاب للافشتين (المتوفي سنة ٣٠٧-٩١٩) هو « طبقات كتاب الاندلس » وكتاب « طبقات الشعراء بالاندلس » لعثمان بن ربيعة (مات قريبا من ٣١٠ هـ)(١٤) •

وهذا يدل بوضوح على ان كتاب الاندلس وشعرائها خلال هذين القرنين كانوا من الكثرة بحيث ينبغي تقسيمهم الى طبقات بحسب قدرتهم الكتابية أو الشعرية واجادتهم فيها • ووصلتنا اخبار بعض الادباء البلغاء دون ان يصلنا شيء من انتاجهم • فقد قال ابن عذاري عن ابن اضحى بن عبداللطيف الهمداني انه كان : « مع رجوليته اديبا بينا يقوم بين ايدى الخلفاء في المحافل فيحسن القول ويطيب الثناء وله اخبار معروفة ، وابن اضحى هذا من اكابر ابناء العرب في كورة البيرة • ثار في زمن الامير عبدالله بن محمد (حكم سنة ٢٧٥-٣٠٠هـ) وبقي ثائرا حتى استنزله

عبدالرحمن الناصر لدين الله عن حصنه فيمن استنزله من الثوار[١٥] . ان هذا الخبر عن عمر بن اضحى يدل ، بوضوح ، على انه كان يرتجل القول ارتجالا فيجيد فيه ، ويسوقنا هذا الى افتراض انه ، باعتباره ثائرا ، كـان يحسن الخطابة في جنده الثائرين معه ، ليثبت قلوبهم ويحثهم على المضي في الثورة ، ويزيد من حماسهم . وقوله (له اخبار معروفة) دليل آخر على فقدان الكثير من النتاج الادبي لادباء هذه الفترة ، فان اخباره التي لم تردنا والتي كانت شائعة معروفة عنه في زمنه ، لا يمكن ان تخلو من انتاج ادبي خطابي أو نثري أو شعري .

وابن بسام يؤكد أن اهل الاندلس كانوا متمكنين من الخطابة والشعر والكتابة منذ أول قدومهم اليها ، اذ قـال : « ... ان اهل هذه الجزيرة — منذ كانوا — رؤساء خطابة ، ورؤس شعر وكتابة ... »[١٦] .

من هذا يبدو واضحا أن الادب كان بخير في الاندلس منذ دخلهـا العرب الا ان اخباره هنالك لم تصلنا مفصلة لانها لم يتح لها رواة يروونهـا أو نقلة يستنسخونها فيحفظونها في كتاب . وربما كان هذا هكذا بسبب ان التأليف الادبي كـان ، حتى في المشـرق[١٧] مبتدئا ، وان المغاربـة والاندلسيين منهم على الاخص ، لم يكونوا قد عرفوه بعد . وان قيام حالة الحرب بصورة مستمرة ، في الجزيرة ، بين المسلمين والسكان الاسبان من جهة وبين العرب والبربر بعد ذلك ، ثم بين العرب انفسهم بعضهم مع بعض ، لعل هذا كان من اسباب انصراف المعنيين بالادب عن جمع اخباره واخبار الادباء وتدوين الاشعار والنوادر والملح . وكان اهمالهم له وغفلتهم عنه سببا في ضياع اكثره[١٨] .

وليس من ريب في أن مما ساعد على انصراف الاندلسيين عن العنايـة بأدبهم تعلقهم بتراثهم الشرقي تعلقا شديدا حتى انهم « ابوا الا متابعة اهل

المشرق ، حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب أو طن باقصى الشام والعراق ذباب لجثوا على هذا صنما وتلوا ذلك كتابا محكما . واخبارهم الباهرة ، واشعارهم السائرة ، مرمى القصبة ، ومناخ الرذية لا يعمر بها جنان ولا خلد ، ولا يصرف فيها لسان ولا يد ... »[١٩]

وجملته الاخيرة تقرر أن اخبار ادباء الاندلس لم يتعهدها رواة ولا عني بها كتاب يسجلونها ويبوبونها . الا انه عاد فذكر في صفحة اخرى ما يفهم منه انه كان هناك من عني بجمع اخبار الادب الاندلسي وعلق عليها . الا ان هذا العمل قلم به من لم يكن مستعدا له ولا مهيئاً لفعله ، ولا مستكملا ما يتطلبه من ادوات . فقد قال ابن بسام في معرض الاعتذار عما يمكن ان يكون قد وقع في كتابه « الذخيرة » من نقص وقصور : « فانما جمعته (أى كتاب الذخيرة) بين صعب قد ذل ، وغرب قد فل ، ونشاط قد قل ، وشباب ودع فاستقل ، من تفاريق كالقرون الخالية ، وتعاليق كالاطلال البالية ، بخط جهال كخطوط الراح ، او مدارج النمل بين مهاب الرياح ، ضبطهم تصحيف ووضعهم تبديل وتحريف ، أيأس الناس منها طالبها وأشدهم استرابة بها كاتبها ، ففتحت انا أقفالها ، وفضضت قيودها واغلالها ... »[٢٠] .

فاذا كان هذا هو الحال في زمن ابن بسام ـ أواخر القرن الخامس والنصف الاول من القرن السادس ـ من ضعف العناية بنقل اخبار الادب وتدوينها ، فكيف كان ، اذن ، في القرنين الثاني والثالث ؟

المستوى الثقافي والتأثيرات المشرقية :

كان تأثير الثقافة العربية المشرقية يتسرب الى الاندلس فعالا قويا عن طريقين : الاول عن طريق هؤلاء الوافدين الى الاندلس من علماء المشرق وادبائه وفنانيه حاملين معهم ثروة ضخمة من التراث العربي قديمه ومحدثه

وكثيرا من أصول الحضارة المترفة والعادات الاجتماعية المشرقية في الطعام والشراب والملبس •

والطريق الثاني هو اولئك الاندلسيون الذين كانوا يرحلون الى المشرق طلبا للعلم والادب ، ثم يعودون بما حصلوا عليه من ذلك وبما اتيح لهم أن يمتلكوا من كتب العلم والادب • وكان اول من دخل الاندلس من حملة العلم المشارقة جماعة من التابعين دخلوها للجهاد ولرواية الحديث واشاعة العلم الديني بين الناس • وقد ذكر عبدالواحد المراكشي بعضا من هؤلاء التابعين الداخلين الى الاندلس ، في اوائل الفتح العربي لها منهم محمد بن أوس بن ثابت الانصاري ، يروي عن أبي هريرة وحنش بن عبدالله الصنعاني ، يروى عن علي بن ابي طالب وفضالة بن عبيد وعبدالرحمن بن عبدالله الغافقي يروى عن عبدالله بن عمر بن الخطاب ، ويزيد بن قاسط ، وقيل بن قسيط السكسكي المصري ، يروي عن عبدالله بن عمرو بن العاص ، وموسى بن نصير الذى ينسب فتح الاندلس اليه ، يروى عن تميم الدارى[٢١] •

ومما هو جدير بالدرس والاستقصاء تتبع سلسلة الوافدين على الاندلس من اهل المشرق وتحليل ما جاءوا به معهم من انواع العلوم والفنون الحضارية[٢٢] • ومحاولة التعرف على تأثيرها في الجو الثقافي الاندلسي •

فمن الوافدين على الاندلس وكان له تأثير في نقل التراث المشرقي اليها ابراهيم بن سليمان الشامي الذى دخل الاندلس في اواخر ايام الحكم بن هشام (١٨٠–٢٠٦هـ = ٧٩٦–٨٢٢م) وابو اليسر ابراهيم بن احمد الشيباني (توفي سنة ٢٩٨هـ) ، الذى لقي ابا تمام والبحترى ودعبلا وابن الجهم وجاء الاندلس في امارة محمد بن عبدالرحمن (٢٣٨–٢٧٣هـ = ٨٥٢–٨٨٦م) وروى فيها شعر ابي تمام[٢٣] •

والواقع ان تتبع سلسلة الوافدين على الاندلس من علماء المشرق ليس وحده جديرا بالدراسة والاهتمام ، وانما العناية برحلة الاندلسيين الى المشرق ، ودراسة ما عادوا به معهم من علم وكتب لا يقل عن ذلك أهمية في دراسة التأثير المشرقي على الثقافة الاندلسية .

فممن رحل الى المشرق من الاندلسيين وعاد ومعه علم جم ، ابو عبدالرحمن بقي بن مخلد (توفي سنة ٢٧٣ أو ٢٧٦هـ = ٨٨٩م) . وكان « من حفاظ المحدثين وأئمة الدين » .

وقد امضى زهرة شبابه في طلب العلم وقام برحلتين الى المشرق ، بقي في الاولى عشرين سنة ، وفي الثانية اربع عشرة سنة . وسمع من (٢٨٤) شيخا وعاد الى الاندلس ومعه من العلم ما لم يدخل به احد قبله . وجلب معه كتبا جديدة على الاندلسيين وبعضها كان جديدا حتى على المشارقة انفسهم ، من ذلك كتاب الفقه الكبير لمحمد بن ادريس الشافعي ومسند أبي بكر بن أبي شيبه في الحديث وكتابان لخليفة بن خياط هما كتاب التاريخ وكتاب الطبقات ، وسيرة عمر بن عبدالعزيز للدورقي ، وقد بلغ حظه من العلم انه كون مذهبا خاصا به ولم يتبع مذهب المالكيين ولا الشافعيين[٢٤] . وقال ابن حزم عنه انه : « كان متميزا لا يقلد احدا »[٢٥] .

ومن طلاب العلم الاندلسيين الذين رحلوا الى المشرق محمد بن وضاح بن بزيغ (٢٠٢–٢٧٢هـ = ٨١٧–٩٠٠م) رحل الى المشرق مرتين واهتم بالحديث والاصول دون الفقه والعربية[٢٦] .

ومن هؤلاء الراحلين محمد بن عبدالسلام الخشني (٢١٨–٢٨٦هـ = ٨٣٣–٨٩٩م) الذى عاد الى الاندلس بكثير من الكتب الجديدة التي كان معظمها في الحديث والشعر الجاهلي واللغة اضافة الى ما تزود به في رحلته هذه من علم غزير[٢٧] .

وقد ذكر المقري في نفح الطيب أسماء الكثير من هؤلاء الاندلسيين الذين رحلوا الى المشرق لطلب العلم ، وخصص لهم الباب الخامس كله من كتابه المذكور ، فاستغرق هذا قسما كبيرا من الجزء الثاني والجزء الثالث كله • وخصص الباب السادس لذكر الوافدين على الاندلس •

وممن اهتم بنقل التراث المشرقي الى الاندلس ، خلال هذين القرنين ، طائفة من المؤدبين رحل معظمهم الى المشرق فاستوعبوا الكثير مما فيه من العلوم والآداب ثم عادوا ليدرسوا ما حصلوا عليه في جامع قرطبة • وكان مما جلبوه معهم الى الاندلس كتب في اللغة للاصمعي والكسائي والفراء والرياشي وابن حاتم وابن الاعرابي وكتابا الفرش والمثال في العروض للخليل بن احمد وكتاب يعقوب بن السكيت في اصلاح المنطق ومؤلفات ابن قتيبة وابي عبيدالقاسم بن سلام وكتاب العين للخليل • وقد أدخل محمد بن عبدالله الغازي (توفي سنة ٢٦٩ هـ) الاشعار المشروحات كلها • وروى عباس بن ناصح شعر ابي نواس بعد أن هاجر للمشرق •

وقد روى عن ابي تمام شعره في الاندلس كل من عثمان بن المثنى النحوي[٢٨] ومؤمن بن سعيد[٢٩] واشاعاه هناك • وكان كل منهما قد رحل الى المشرق ثم عاد •

واما عن العلوم في هذه الفترة فتشير المراجع العربية الى ان العرب الاندلسيين الاوائل لم يكونوا يهتمون بشيء من العلوم غير علوم الشريعة وعلم اللغة[٣٠] • وهذا ، بطبيعة الحال ، يتفق مع الروح السائدة في عصرهم ، بالنظر لقربهم من عهد النبوة والصحابة ولوجود الكثير من التابعين معهم في هذا البلد الجديد الذي كانوا فيه بأمس الحاجة الى العلوم الشرعية لتقوية الروح الاسلامية في قلوب المسلمين الجدد من بربر واسبان • وعنايتهم باللغة مرتبطة بعنايتهم بالعلوم الشرعية ، فكان من

الطبيعي ، اذن ، أن يهتموا بهذين العلمين : علم الشريعة وعلم اللغة ، قبل غيرهما •

على انه لم تكد المائة الثالثة تبلغ منتصفها حتى بدأ افراد من الناس يتحركون في طلب العلوم المختلفة الاخرى ، وما زالوا يظهرون ظهورا غير شائع الى قريب من وسط المائة الرابعة(٣١) •

ويبدو ان الثقافة العامة ، في هذا العصر ، لم تكن تقتصر على البصر باللغات والحفظ لاشعار العرب وايامها وسير الخلفاء ورواية الشعر(٣٢) ، بل انها كانت تتعدى هذا الى العلم بالحساب والاهتمام بالمنطق والفلك والجغرافية اضافة الى الفقه والحديث •

وقد كان الامراء الامويون يشاركون بنصيب وافر في ثقافة العصر ويشجعون الادباء ويقربون العلماء • فقد جاء عن الامير محمد بن عبدالرحمن (حكم ٢٣٨-٢٧٣) انه كان « اعلم الناس بالحساب وطرق الخدمة ، وكان متى أعضل منها شيء رجع اليه فيه »(٣٣) • ويظهر من هذا الخبر ان المقصود بطرق الخدمة امور الحسابات ومسكها وتنظيمها ، ويبدو انها كانت متقدمة لدرجة انها كانت بمنزلة علم الحساب •

على ان الناس في الاندلس كانوا يرتابون بمن يشتغل بالفلسفة والمنطق والجدل ولا يتقبلون من العلوم الا علم الطب والحساب • وبقي الحال هكذا الى زمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ = ٩١٢ - ٩٦١ م) وابنه الحكم المستنصر (٣٥٠ - ٣٦٠ هـ = ٩٦١ - ٩٧٦ م) اللذين شجعا العلوم وساعدا على أن تعم النهضة العلمية بلاد الاندلس(٣٤) •

وممن اشتهر من العلماء ، في هذه الفترة ، ابو عبيدة مسلم بن احمد ابن ابي عبيدة البلنسي (توفي سنة ٢٩٥هـ) المعروف بـ « صاحب القبلة » لاسرافه الشديد في صلاته(٣٥) • وكان بالاضافة الى علمه بالفقه والحديث

معتنيا بعلم الحساب متضلعا بعلوم الفلك عالما بحركات الكواكب واحكامها . ويبدو انه كان ، مع ذلك كله ، جغرافيا ذا آراء اصيلة في تقرير كروية الارض ودورانها في فلك لها مرسوم ، وان دورانها هذا تنتج عنه الفصول المختلفة ، فاذا كان صيف في جنوبها فالشتاء لا محالة في شمالها . وكان ابو عبيدة هذا ممن رحل الى المشرق فسمع بمكة من علمائها .

وقد تعرض لـه احمد بن محمـد بن عبد ربه (٢٤٠-٣٢٨هـ = ٨٦٠ - ٩٣٩ م) بقصيدة اتهمه فيها بشذوذه عن الجماعة وبانه يذهب مذهب المرجئة والمعتزلة .

يقول ابن عبد ربه في القصيدة المذكورة[٣٦] :

ابا عبيدة والمسؤول عن خبر	يحكيه الاسوار الذي سألا (؟)
أبيت الا شذوذا عن جماعتنا	ولم يصب رأي من ارجى ولا اعتزلا
وقلت ان جميع الخلق في فلك	بهم محيط وفيهم يقسم الاجلا
والارض كرية حف السماء بها	فوقا وتحتا وصارت نقطة مثلا
صيف الجنوب شتاء للشمال بها	قد صار بينهما هـذا وذا دولا
فان كانون في صنعا وقرطبـة	بردا وايلول يذكي فيهما الشعلا
هذا الدليل ولا قول غررت به	من القوانين يجلي القول والعملا
كما استمر ابن موسى في غوايته	فوعّر السهل حتى خلته جبلا
ابلغ معاويـة المصغي لقولهمـا	اني كفرت بما قالا وما فعـلا

وواضح من الابيات الثلاثة الاخيرة أن ابا عبيدة هذا لم يكن وحيدا في اعتقاده بكروية الارض وانمـا كان ابن موسى وهو قاسم بن موسى المعروف بابن الافشين الكاتب ، يذهب نفس هذا المذهب ، وان ثالثا ، على

الاقل ، كان يصغي لقولهما هذا ويؤمن بآرائهما هذه ، ذلك هو معاوية جد القرشيين النسابين •

فاذا اضفنا الى اصالة الآراء التي قال بها ابو عبيدة البلنسي صاحب القبلة وقاسم ابن موسى بن الافشين ، اصالة آراء بقي بن مخلد الفقهية وابتكارات عباس بن فرناس (توفي سنة ٢٧٤ هـ - ٨٨٧ م) الرائعة التي تدل على عبقرية فذة وابداع أصيل لا في شخصية هذا الاندلسي الفذ كفرد فحسب بل في الينبوع الثقافي الاندلسي الذي استقى منه أيضا ، ثم اذا اضفنا الى هذا كله عبقرية مقدم بن معافى القبري (من شعراء القرن الثالث) مخترع الموشحات ، لظهر لنا بجلاء ان هذه الآراء الاصيلة والابتكارات الفذة لا يمكن، بأي حال من الاحوال ، أن تكون محض صدفة واتفاق • وان ظهورها في هذه الفترة بالذات لدليل لا سبيل الى نقضه على غنى الجو الثقافي والفكرى الذى كان سائدا خلال هذين القرنين في الاندلس العربي ، وعلى العبقرية الخلاقة وروح الابداع والابتكار الكامنة في اصوله الثقافية وروافده الفكرية •

وهنالك جانب آخر تبرز فيه هذه الناحية المبدعة ، ذلك هو ما استحدثه كل من يحيى الغزال (١٥٦-٢٥٠هـ) وابن عبد ربه (٢٤٦-٣٢٩هـ) من الاراجيز التاريخية التي تعتبر من مظاهر التجديد المبدع والابتكار الاصيل في هذه الحقبة المبكرة من تاريخ الاندلس[٣٧] •

الغناء المشرقي وأثر زرياب :

كان للغناء المشرقي وانتقاله على يد زريات الى الاندلس الاثر الكبير في التمكين للتقاليد الثقافية المشرقية في بلاد الاندلس • فقد اهتم الامراء

الاندلسيون اهتماما كبيرا بالغناء المشرقي واستقدموا الجواري المشرقيات المشهورات بفنهن ، امثال العجفاء التي ابتاعها عبدالرحمن الداخل وكانت تغني بالمدينة ، واشترى فضل وعلم وقلم وكان يفضلهن لجودة غنائهن . ووفد على الاندلس ، في ايام الحكم بن هشام اثنان من مغني المشرق هما علون وزرقون[٣٨] .

ويعود الفضل في وفود المغني ابي الحسن علي بن نافع الملقب (زرياب) توفي حوالي (٢٣٨هـ-٨٥٢م) الى الاندلس الى ظروف الجفوة التي وقعت بينه وبين استاذه اسحاق الموصلي مغني هرون الرشيد . فقد ابدى زرياب من المهارة في حضرة الرشيد ما جعله يحصل على حظوة كبيرة عنده اثارت حسد استاذه اسحاق ، فرأى زرياب أن من الاوفق له ان يخرج عن العراق . فتوجه الى المغرب هربا من غضب استاذه . فراسل الحكم بن هشام (١٨٠-٢٠٦ = ٧٩٦-٨٢٢م) وعرض عليه خدماته ، فسر الحكم بذلك ودعاه للقدوم . ولكن بلغه موت الحكم وهو في الطريق اليه.

ولما ولي عبدالرحمن الاوسط بن الحكم حثه على المجيء اليه واجرى له راتبا شهريا مقداره مائتا دينار ، اضافة الى ما كان يعطيه اياه من الهبات في المناسبات المختلفة[٣٩] .

ومعنى لفظ زرياب طائر أسود غريد . وكان يدعي أن الجن تعلمه الالحان . ولم يقتصر اثره في الاندلس على ادخاله الموسيقى والغناء العربيين المشرقيين اليها ، بل انه اضاف الى العود وترا خامسا ، وكانت اوتاره الى ذلك الوقت أربعة فقط تقابل الطبائع البشرية الاربع ، وهو الذي اخترع بالاندلس مضراب العود من قوادم النسر معتاضا بها من مرهف الخشب فأبدع في ذلك ، للطف قشر الريشة ، ونقائه وخفته على الاصابع وطول سلامة الوتر على كثرة ملازمته اياه »[٤٠] .

واستعان زرياب بابنـــائه وبنـــاته وجواريه ، الذين قدموا معه الى الاندلس ، لمحاولة تكوين مدرسة موسيقية خاصة به • فجعل للغناء مراسيم خاصة لها بداية معينة وخاتمة مقررة • وشرع بتعليم الغناء واصوله •

ولم يقتصر اثر زرياب في الاندلس على ادخالـــه الموسيقى والغنـــاء العربيين المشرقيين اليها ، بل كان له تأثير كبير على العـادات الاجتماعيـة في الاندلس • فقد تلقى عنـه ســادات قرطبـــة وكبراؤها اللطائف المشـرقية المستحدثة ، كتقصير الشعر دون الجباه وتسويته الى الحواجب وتدويره الى الاذن ، واسداله الى الصدغين ، واكل بقلـة الهليون المســماة بلســانهم « الاسفراج » واستعمال آنية الزجاج ، وايثار فرش انطاع الاديم الليـنـــة الناعمة على ملاحف الكتان[٤١] •

ولم يكن زرياب داعية للحضارة المشـــرقية بالاندلس ومذيعا لهـــا فحسب ، بل كان يشارك في الاشارة على الامراء الامويين أيضا [٤٢] • وقد وفق الى أن يرسم الاتجاه الموسيقي في البلاط الاموي [٤٣] •

وقد شاركت بعض الجوارى المشـــرقيات اللاتي جلبن الى الاندلس في ادخال الشعر المشرقي وانغام غنائه اليه ، كما فعلت قمر والعجفاء • وقد ذكر المقرى قصة طريفة تصور ما كـــان للعجفاء من تأثـــير في نفـــوس الاندلسيين [٤٤] •

بعد هذا العرض السريع للمؤثرات المشرقية في الادب الاندلسي خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين وبعد الالمام بالاحوال والظروف العامـــة التي احاطت بالادب خلالهما ، نعرض لدراسة الانتاج الادبي لهذه الفترة ، بشكل من التفصيل •

الفَصْلُ الخَامِسُ

النَّثْرُ

يبدو من استقراء كتب الادب والتأريخ ان هذين القرنين كانا يزخران باعداد كبيرة من الكتاب لم تصلنا اسماء اكثرهم ولا اخبارهم .

ومع أن عدد الكتّاب الذين وصلتنا اسماؤهم ليس بالقليل ، الا ان هنالك نصوصا تدل على وجود كتّاب آخرين كثيرين كانوا منتشرين في مدن الاندلس التي لم تكن تحت السلطة المباشرة للامراء الامويين ، ولم يأتنا خبرهم ولا حتى اسماؤهم بسبب اقتصار اهتمام المؤرخين على دولة الامير الاموى . وتتضح هذه الحقيقة التأريخية مما رواه ابن عذارى عن احد حكام المدن التي لم تكن خاضعة خضوعا مباشرا لسلطان الامير الاموى ، وكان يدعى مطرّفا ، فحينما غلب على امره اخرج هو وبنوه للقتل وأخرج كاتبه الذى كان يعرف بالاصبحي ، ليطلق سراحه ، ولكنه رفض ذلك وأصرّ على الموت مع مطرّف وبنيه وقال : « لا خير في العيش بعد هؤلاء » فقدم قبلهم للقتل ، (في سنة ٢٥٩ هـ) (٤٥) . فكم من كاتب كالاصبحي هذا كان لدى حكام المدن المماثلة الاخرى ولم يصلنا خبرهم ؟

ولقد وصلتنا اسماء الكثير من كتّاب الامراء الامويين في الاندلس ولكن اخبارهم لم يصلنا منها الا القليل عن بعضهم . ونكتفي هنا بذكر بعض هؤلاء الكتّاب .

فمن اوائل الكتاب القليلين الذين كانوا في الاندلس ، في القرن الثاني ، خالد بن يزيد الذي كان كاتبا ليوسف الفهري (٧٢ – ١٤٢هـ) ثم كتب لعبدالرحمن الداخل من بعده . ومنهم امية بن يزيد الذي دخل الاندلس في طالعة بلج من بشر (سنة ١٢٣هـ) واتصل بخالد بن يزيد المذكور ، ثم ضمه عبدالرحمن الداخل اليه* .

ممن كتب للحكم الربضي (حكم من ١٨٠ – ٢٠٦ هـ) ، فطيس بن سليمان (وهو من أشهر وزرائه ايضا) وحجاج المغيلي الذى كان شاعرا

أيضا [٤٦] . ومن كتّاب عبدالرحمن بن الحكم (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ) محمد ابن سعيد الزجالي[٤٧] .

وكتّاب الامير محمد بن عبدالرحمن (حكم من ٢٣٨-٢٧٣هـ) ثلاثة : عبدالملك بن امية وحامد بن محمد الزجالي وموسى بن ابان[٤٨] .

وكتّاب المنذر بن محمد (٢٧٣-٢٧٥هـ) ، اثنان : سعيد بن مبشر وعبدالملك بن عبدالله بن امية بن شهيد[٤٩] .

وكتّاب عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن بن الحكم (٢٧٥-٣٠٠هـ) ثلاثة : عبدالله بن محمد الزجالي ، وعبدالله بن محمد بن ابي عبدة ، وموسى بن زياد[٥٠] .

ولدينا اسماء كتّاب آخرين منهم :

سحنون الكاتب الذى قطع لسانه وضرب ظهره بالسياط ، والذى وصفه ابن وضاح وغيره بانه « لم يقدم الاندلس أحد افقه من سحنون »[٥١]. والكاتب سعيد بن عبدالرحيم الشذوني (توفي سنة ٢٩٨هـ) ، وعمرو بن قومس الكاتب (توفي سنة ٢٩٨هـ)[٥٢] . وعبيد يس بن محمود الكاتب الشاعر الذي التحق بعبدالله بن امية المعروف بابن الشالية الثائر فكتب له . ومن المعروفين ببلاغة الترسيل اسماعيل بن بدر الذي كان نجومه في دولة الامير عبدالله واشتهر صيته في ايام عبدالرحمن الناصر ، وملك بن محمد بن ملك بن عبدالله بن عبدالملك بن عمر بن مروان ابن الحكم المعروف بالمرواني الذي كان من جلة قريش وكان بارعا بالاملاء وبلاغة الترسيل ، ومحمد بن عبدالسلام المعروف بابن قلمون الذي كان متقدما « في نوعي الكلام من النظم والنثر على أن النظم كان اغلب عليه ، فكان له في الترسيل شأو ومدد صار به احد المرسلين البلغاء بالاندلس » ، ومن نمطه في الشعر والترسيل عمر واحمد ابنا فرج من المختصين بامتداح الامير عبدالله. **

موضوعات النثر :

لم يصلنا من النصوص النثرية لادب هذين القرنين شيء يذكر ، الا انه وصلتنا اشارات الى الموضوعات التي كان الكتّاب يتناولونها في كتاباتهم •

ويبدو من هذه الاشارات ان الكتابة كانت تدور ، بصفة عامة ، على الموضوعات التالية :

١ ـ مراسلات سياسية :

وصلتنا بعض فقرات أو اشارات الى هذا النوع من المراسلات خلال حكم الولاة الامويين في الاندلس • وكلها يدور حول وعود يقطعها الولاة الى القادة المنفصلين عن حكمهم والى العرب النازلين باطراف مختلفة من الاندلس ، يستهوونهم ويرجون نصرهم وتأييدهم ، أو يحذرونهم ويخوفونهم (٥٣) ولا يمكن أن توصف هذه المراسلات بانها من النثر الاندلسي لانها ليس لها من البيئة الاندلسية ، التي لم تكن قد تكونت بعد ، الا انها كتبت في الاندلس ، اما كتّابها فهم مشارقة في نشأتهم وثقافتهم وتفكيرهم واسلوب تعبيرهم •

اما في فترة الامارة الاموية فيمكن ان تعتبر المراسلات السياسية اهم الموضوعات النثرية في هذا العصر ، وذلك بالنظر لشيوع الاضطرابات في ارجاء البلاد الاندلسية بين الحكام المستقلين بمدنهم ضمن الامارة الاموية في الاندلس وبين الامير الاموى ومن يحاول ان يستقل عن سلطانه استقلالا تاما ، او من يحاول ان يتسع في سلطانه المحلي على حساب السلطة الاموية المركزية في البلاد •

ويظهر ان معظم هذه المراسلات كانت تدور حول أوامر سياسية أو عسكرية يرسلها الامير الى عماله أو قواده في ارجاء الاندلس ، او توجيهات من السلطة المركزية لهم في هذه الامور • ولم تكن هذه المراسلات مقصورة

على ما كان يكتبه الامير الاموى الى قواده وغيرهم ، وما كان هؤلاء يرسلونه اليه من جواب ، بل كل حاكم مستقل بمدينته أو منطقته كانت له مراسلات مع عماله وقواده حول شؤون الامن والعمليات العسكرية(٥٤) .

وهناك اشارات الى كتب بالتهديد والوعيد يرسلها الامير الى المنشقين عليه(٥٥) ، وكتب طلب العفو(٥٦) .

٢ ـ مراسلات ادارية :

ويشمل هذا النوع من المراسلات الكتب التي كان الامراء الامويون ، او الحكام المستقلون ذاتيا ضمن السلطان الاموى ، كانوا يرسلونها الى عمالهم على النواحي ، وفيها عادة ، توجيهات وأوامر ادارية . ويبدو ان هذه المراسلات كانت موجزة لا تفصيل فيها ولا اطناب(٥٧) . حتى ان عبدالرحمن بن معاوية (ولد سنة ١١٣هـ وتوفي سنة ١٧٢هـ) حينما اوعز الى كاتبه امية بن زيد أن يكتب الى بعض عماله يلومه على ما بدر منه من تقصير في عمله ، اطال امية بن زيد وأكثر في الكتابة ، فلاحظ عبد الرحمن ذلك فأمر بتمزيق الكتاب وكتب هو بخط يده : « اما بعد ، فان يكن التقصير منك مقدما ، فعند الاكتفاء يكون لك مؤخرا وقد علمت بما قدمت فاعتمد على أيهما أحببت » (٥٨) .

٣ ـ عقد الامان :

الظاهر ان عقد الامان كان من المواضيع الرئيسة في كتابة هذا العصر وذلك بسبب الثورات التي كانت تقوم بها بعض المدن ضد الحكم الاموى ، او بعض المنشقين من الاندلسيين عن السلطة المركزية . وقد وصلتنا اشارات الى عقود أمان مختلفة : منها عقدان للامان لاهل طليطلة (٥٩) وعقدان لعمر بن حفصون الثائر في ببشتر(٦٠) . وطلب للامان من اهل طليطلة الى بدر مولى عبدالرحمن(٦١) .

٤ ـ **كتب مبايعة**[٦٢] .

٥ ـ **كتب تولية**[٦٣] .

٦ ـ **التوقيعات :**

تتصف توقيعات الامراء الامويين في الاندلس بالبساطة وببعدها عن التكلف أو التعقيد وبخلوها من المحسنات البديعية ، فهي نثر مرسل على السجية . وتظهر هذه الصفات في التوقيع الذى كتبه عبدالرحمن بن الحكم (٢٠٦-٢٣٨هـ) حين غناه زرياب يوما فأطربه فأعطاه ثلاثة آلاف دينار، فلاحقه عليها جواريه وأولاده يريدون اخذها منه واقتسامها بينهم ، فما كان من زرياب الا أن نثرها عليهم ، فكتب احد الساعين بزرياب الى الامير عبدالرحمن : « بأن زرياب لم يعظم في عينه ذلك المال » فوقع عبدالرحمن على الكتاب : « نبهت على شيء كنا نحتاج التنبيه عليه ، وانما رزقه نطق على لسانك ، وقد رأينا أنه لم يفعل ذلك الا ليحببنا لاهل داره ، ويغمرهم بنعمنا ، وقد شكرناه وأمرنا له المال المتقدم ليمسكه لنفسه ، فان كان عندك في حقه مضرة أخرى فارفعها الينا »[٦٤] .

ويلحق بهذا النوع من النثر اقوال مأثورة تروى عن بعض الامراء الامويين[٦٥] وتتصف هذه الاقوال بالبساطة وسلاسة الالفاظ وخلوها من الصنعة اللفظية المستحسنة او المستهجنة ، وهي تخاطب العقل مباشرة .

من ذلك ما رواه ابن عذارى عن الامير محمد من انه قال لهاشم بن عبدالعزيز وهو أحد قواده « في شيء أنكره عليه من عدم التثبت : يا هاشم ، من آثر السرعة افضت به الى الهفوة ، ولو انا اصغينا نحو زلاتك وأصخنا الى هفواتك لكنا شركاءك في الزلة وقسماءك في العجلة ، فمهلا عليك رويدا بك ، فانك ان تعجل لك »[٦٦] .

ويبرز هنا سؤال هو : هل هذه النصوص التي ساقها ابن عذارى على

لسان الامير الاموي مدونة بالفاظ الامير نفسه أو بالفاظ من نقل مضمونهـــا عنه ؟ وايا كان الامر فهي تدل بوضوح على صفات النثر في هذه الفترة من التاريخ الادبي الاندلسي •

٧ ـ رسـائل شـخصية :

وصلتنا من هذا النوع من الرسائل اسطر لمحمد بن سعيد الزجالي الذي كان يلقب بالاصمعي لحدة ذكائه وسعة حفظه • فقد كان هذا الاديب كاتبا للامير عبدالرحمن الاوسط ، وكان وزراء الامير يستكتبونه ايضا ، على العادة التي كانت مألوفة في البلاط ، فانف الزجالي أن يكتب للوزراء وكتب الى الامير كتابا جاء فيه : « ان من وسم بميسم كتابته ـ اعزه الله ـ وشرف باسمهـــا لجدير أن يعتلي عن كتابة وزرائه ويزدهي بحصانة أسراره »(٦٧) • ولـه رسالة في الشكوى كتبها الى الامير عبدالرحمن يشكو بها نصرا الخصي مولى بني امية :(٦٨) « قد علم ما خصني به دون نظرائي من المنزلة الرفيعة التـي اصبحت علما من اجلها محسودا ، مرميا بالحدق ، تسلقني الالسن ، ونجول في الافكار ، وعندما استوى بناؤها ، وقام عمودها ، واسترخت اطنابها ، سعى في هدمها من لا أزال أؤثل شرف ذكره ، وأجل رفيع قدره » •

النثر التاليفـــي :

الشيء الذي يلاحظ على حركة التأليف في هذا العصر ان المؤلفـــات تجنح الى الاهتمام بالانتاج الاندلسي والاقتصار على اخبار الادباء الاندلسيين دون غيرهم من المشارقة • وفي هذا الاتجاه تكمن البذور الاولى للمدرســـة الاندلسية المتميزة في الفكر والثقافة •

فمن أوائل الذين صنفوا في التاريخ الادبي الاندلســـي الافشنين (توفي سنة ٣٠٧ هـ ـ ٩١٩ م) وصلنا عنوان مؤلف له هو « طبقات كتاب الاندلس » (٦٩) وعثمان بن ربيعة الاندلســـي القرطبي (المتوفي ســـنة

٣١٠هـ-٩٢٢م) فقد صنف كتابا عنوانه « طبقات الشعراء بالاندلس»[٧٠] ، وتوجد نسخة مخطوطة من هذا الكتاب في فاس[٧١] . وألف تمام بن علقمة (١٨٤-٢٨٣هـ - ٨٠١-٨٩٦م) كتابا يبدو انه كان في التاريخ الادبي ايضا ، وقد اعتمد عليه ابن دحية في ترجمته ليحيى الغزال (المطرب) ص ١٣٣ .

ومن الذين الفوا في الادب في هذا العصر عبدالملك بن حبيب (توفي سنة ٢٣٩هـ وله من العمر اربع وستون سنة ، ويرجع في نسبه الى عباس بن مرداس السلمي ، وهو من كورة البيرة . وكان اديبا نحويا حافظا وشاعرا متصرفا في اضرب العلوم المختلفة من الاخبار والانساب والاشعار . وكانت له مؤلفات جيدة في الادب الى جانب تآليفه الكثيرة في التواريخ والفقه[٧٢] .

وفي الفقه والتفسير الف بقيّ بن مخلد (٢٠١-٢٧٢ أو ٢٧٦هـ) كتبا حسانا ولقد كان ذا آراء اصيلة تأبى التقليد ، الشيء الذى أثار اصحاب الرأى والتقليد من فقهاء قرطبة ضده ، فرموه بالالحاد والزندقة ، وأوشكوا ان يقنعوا الامير محمد بضرورة سفك دمه لولا ان تعلق بهاشم بن عبدالعزيز أحد قواد الامير واعظم وزرائه[٧٣] . فشفع له وناشد الامير التثبت في أمره فأمر الامير محمد ان تعقد مناظرة ، امامه ، بين ابن مخلد والفقهاء ، فتناظروا فظهر عليهم جميعا ، فجعله الامير في زمرة الفقهاء المقربين اليه[٧٤] .

والف اسد بن بشر بن الفرات بن اسد المري من اهل قرية الصيرمورته من قرى غرناطة (توفي سنة ٢١٣هـ) كتاب « المختلطة » يبدو أنه في الفقه .***

وفي التأليف الفلسفي وصلتنا أخبار عن تآليف ابن مسرة (٢٦٩-٣١٨هـ) التي ضاعت كلها ولم يصلنا الا عنوان كتابين منها هما : كتاب التبصرة وكتاب الحروف[٧٥] . ويعتبر ابن مسرة أول مفكر اصيل في الاندلس الاسلامي[٧٦] .

على الرغم من أن دواعي الخطابة كانت متوفرة في الاندلس ، خلال هذين القرنين ، بسبب الخصومات القبليـة والسياسية والعنصريـة فيما بين العرب انفسهم ، وفيما بينهم وبين البربر ، ثم فيما بين السلطـة الامويـة في قرطبة والثائرين عليها في الولايات ، وبينها وبين المناطق الاسبانية المتاخمة على الثغور ، على الرغم من هذه الدوافع القوية التي تساعد على ازدهار الخطابة ، وتدعو الى ممارستها ، فاننا لانجد بين ما وصلنا من أخبار هـذه الفترة الا اشارات قليلة جدا الى خطب او خطباء .

واول خطبة اتانا خبرها هي الخطبة التي تنسب الى طارق بن زياد قائد الفتح العربي للاندلس ، والتي يحثهم فيهـا على القتال ويذكرهم بما وعد الله تعالى المقاتلين في سبيله من جميل الثواب ، ويرغبهم في ما عرف عن خيرات الجزيرة وحورها الحسان « من بنـات اليونان الرافـلات في الدر والمرجان ، والحلل المنسوجة بالعقيان ... »[٧٧] .

ولكن الشك القوي يحف بنسبة نص هذه الخطبة الى طارق ، كمـا يحف بنسبة ثلاثة ابيات من الشعر اليه[٧٨] . ذلك أن هذين النصين لم يردا الا في المصادر المتأخرة كثيرا عن هـذه الفترة ، كما أن اسـلوب الخطبـة ومضمونها لا ينسجم مع الخصائص المعروفة للخطابة خلال القرن الثاني الهجري ، اضف الى ذلك ان طارق بن زياد كان بربريا ، ومعظم جنده كانوا من البربر ، كما رأينا في فصل سابق ، فكيف يحدثهم بالعربية ؟[٧٩] .

ولقد وصلتنا خطبة لا تتجاوز السطرين لموسى بن نصير حين حاصـر حصنا من حصون شرق الاندلس بضعا وعشرين ليلة ، ولج في قتاله فلم يقدر عليه لمنعته وحصانته ، فلما طال ذلك عليه نادى في الناس وقام فيهم فحمد الله واثنى عليه ثم قال « ايها الناس اني متقدم امام الصفوف ، فاذا رأيتموني قـد كبرت وحملت فكبروا واحملوا »[٨٠] .

وهذه ، في الواقع ، ليست خطبة تهدف الى التأثير على نفوس النـاس وعقولهم ببيانها وبلاغة اسلوبهـا بقدر ما هي أمر شفهي موجه من قـائد لجنـوده .

ومما يمكن أن نتوقعه وجود خطب دينية تحث المسلمين على مواصلـة قتال اعداء الدين ، او تندد بالخارجين على السلطة المركزية ، ولكننا لم نعثر على خطب في هذه الموضوعات ولا على اية أشارة الى شيء من ذلك . ولكن لدينا أشارة لخطبة دينية في مصلى (ارجدونة) بكورة (ريّه) خلع فيها الخطيب يوسف الفهري وخطب لعبدالرحمن بن معاوية (الداخل) استجابة لارادة زعيم العرب في المنطقة[٨١] .

ومما وصلنا من خطب هذه الفترة اقوال بليغة لعبدالرحمن الداخـل ربما كانت مقاطع من خطب له لم تصلنا . من ذلك قوله لاصحابه لما اشـتد الامر بين يديه يوم حربه مع يوسف الفهري ، آخر ولاة الاندلس ، وحينما رأى شدة ما يقاسيه اصحابه في المعركة :[٨٢]

« هذا اليوم هـو أس ما يبنى عليـه ، اما ذل الدهر واما عز الدهر ، فاصبروا ساعة فيما لا تشتهون تربحوا بها بقية اعماركم فيما تشتهون » .

ولما تمت له الغلبة على يوسف الفهري ورأي اصحابه يلاحقون اصحاب يوسف بالقتل يوم هزيمتهم قال :[٨٣] « لا تسـتأصلوا شأفة أعداء ترجون صداقتهم ، واستبقوهم لاشد عداوة منهم » ، واوضح المقري أنه « يشير الى استبقائهم ليستعان بهم على اعداء الدين » .

ويبدو أن عبدالرحمن الداخل كان يخطب في الناس أحيانا يوم الجمع . وقد وصفه ابن حيان ، فيما نقل المقري ، انه كان بليغا مفوها طلق اللسان ، وكان « يخطب على المنابر »[٨٤] .

ولدينا اشارة الى أن محمد بن اضحى بن عبداللطيف الهمداني ـ وهو من اكـــابر ابنـــاء العرب بكورة البيرة في عهـــد الامير عبدالله وحفيـــده عبدالرحمن الناصر ـ كان خطيبا مفوها ، واديبا بينا « يقوم بين يدي الخلفاء في المحافل فيحسن القول ويطيب الثناء »[٨٥] . ولم يصلنا شيء من خطبـه ولا من ادبه .

ويمكن أن نعد من خطباء اواخر القرن الثالث احمد بن محمد بن اضحى الهمداني ، فقد ذكر ابن الابار انه قدم مع ابيه محمد على عبدالرحمن الناصر (٣٠٠ ـ ٣٥٠هـ) « باخعين بطاعته داخلين في جماعته ... وقام احمد هذا يومئذ بين يديه خطيبا ... »[٨٦] . فهذا الخبر يدل على ان احمد بن اضحى كان خطيبا قبل مبايعته لعبدالرحمن الناصر ، اي قبل سنة ٣٠٠هـ ، فهو ، اذن ، من خطباء اواخر القرن الثالث الهجري . وقد ذكر ابن الخطيب قطعة من خطبته التي القاها بين يدي الناصر[٨٧] .

هوامش

الفصل الرابع والخامس

× نشر هذان الفصلان في مجلة (اللغات) التي كانت تصدرها كلية اللغات في جامعة بغداد العدد الثاني ١٩٦٩ · وقد أضيف اليهما ، هنا ، بعض الاضافات والتعليقات كما أضيف موضوع « الخطابة » الى فصل « النثر » ·

(١) انظر اخبار هذه الاضطرابات والحروب والفتن في : ابن عذارى : البيان المغرب ج (٢) وكأمثلة محددة انظر ص ٥٢ـ٥٥ وص ١٨٣ـ١٨٥ وص ١٩٦ـ٢٠٦ ، ود · حسين مؤنس : فجر الاندلس (القاهرة ١٩٥٩) الفصل الخامس وبالينثيا : تاريخ الفكر الاندلسي ص٣ ، وابن حيان : المقتبس ص ٥٢ـ١٤٧ ·

(٢) لدينا امثلة قليلة على ذلك تتجلى في ابيات عبدالرحمن الداخل التي قالها في نخلة رآها مفردة في منية الرصافة بقرطبة وقد نسبت لغيره ولكن ابن الابار يرجح نسبتها اليه (ابن الابار : الحلة السيراء ١/٣٧ـ٣٨ ونفح ٤/٥٤ والبيان المغرب ٢/٩٠) وفي ابيات اخرى في التشوق الى اهله في المشرق ، نسبت اليه كما نسبت الى معاوية بن صالح القاضي وهو من العلماء المشارقة الوافدين على الاندلس في القرن الثاني الهجري (توفي سنة ١٥٨هـ أو ١٦٨هـ) (المغرب ١/١٠٢ـ١٠٣ ونفح ٤/٣٧ و٥٥ وابن الابار : الحلة السيراء ١/٣٦ والبيان المغرب ٢/٨٩) ولا بأس من ذكر هذه الابيات هنا · قال عبدالرحمن الداخل في نخلة :

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة ... تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل
فقلت :شبيهي في التغرب والنوى ... وطول التنائي عن بني وعن اهلي
نشأت بأرض انت فيها غريبة ... فمثلك في الاقصاء والمنتأى مثلي
سقتك عوادي المزن من صوبها الذي ... يسح ويستمري السماكين بالوبل

وقال فيها ايضا :

يا نخل انت غريبة مثلي ... في الغرب نائية عن الاصل
فابكي ، وهل تبكي مكبسة ... عجماء لم تطبع على خبل ؟
لو أنها تبكي ، اذاً ، لبكت ... ماء الفرات ومنبت النخل
لكنها ذهلت ، واذهلني ... بغضي بني العباس عن أهلي

وقال يتشوق الى اهله في الشام :

ايها الراكب الميمم ارضي	أقر من بعضي السلام لبعض
ان جسمي كما علمت بارض	وفؤادي ومالكيه بارض
قدر البين بيننا فافترقنا	وطوى البين عن جفوني غمضي
قد قضى الله بالفراق علينا	فعسى باجتماعنا سوف يقضي

وانظر ابياتا اخرى له في ابن الابار : الحلة السيراء ١/٣٧ و ٣٩ـ٤٠ و٤١ـ٤٢ وابن عذاري : البيان المغرب ٢/٨٧ـ٨٨

(٣) García Gomz, Poesía, P. 30--31.

(٤) بالينثيا : تاريخ الفكر الاندلسي ، ص١

(٥) وردنا بيتان يشيران الى مشاركة الشعر في الاحداث خلال القرن الثاني (انظر : اخبار مجموعة ص٦٨) ، ومن الفرسان الشعراء الداخلين الى الاندلس حسام بن ضرار الكلبي الا انه لم تصلنا اشعار له قالها في الاندلس (انظر : الحميدى ص١٨٨ـ١٨٩) .

(٦) ابن عذارى : البيان المغرب ٢/ص٢١٠ ، ويقول ابن عذارى (٢/١٨٠) عن الامير المنذر انه « كان يجزل العطاء للشعراء وينشدونه غازيا وراجعا » . وانظر حول موقفه من الشعراء وكثرتهم في زمنه : ابن حيان ص٤١ـ٥٠ وانظر قصائد اخرى قيلت في مناسبات حربية في فصل «الشعر الاندلسي في القرنين الثاني والثالث للهجرة » من هذا الكتاب

(٧) انظر : ابن عذاري:ن٠م٠ص٢١١،٢١٢و٢١٣،وانظر : بيتين لصفوان بن العباس في انهزام اخيه قاسم : ن٠م٠ص١٤٢ ، وقصيدة عباس بن فرناس في وقعة وادى سليط ن٠م٠ص١٦٦ـ١٦٨ وقصيدة العتبي ص١٦٩ .

(٨) انظر البيان المغرب ٢/ص١٤٩ و١٥٢ و١٧٩ و٢١٠ ، واخبار مجموعة ص٦١ـ٦٢ وص٧٨ وابن حيان : المقتبس ص١٢٧ ، وحسين مؤنس : فجر الاندلس ص٣٤٧ـ٣٤٨ ، وانظر اخبار مجاعة اخرى حدثت سنة ٣٠٢هـ وكان القحط فيها شاملا عاما الاندلس واطرافها وثغورها، وغلت الاسعار في جميع جهاتها (البيان المغرب ٢/٢٤٩) وانظر عن الزلزال العظيم الذى حدث في الاندلس وما سببه من كوارث (نفس المصدر ٢/١٥٦) .

(٩) ابن عذارى : البيان المغرب ٢/١٧٩ـ١٨٠

(١٠) ن٠م٠ص ٢٢٣ وابن حيان : المقتبس ص١٤٧

(١١) ن٠م٠ص ٢٠٦ وابن حيان : المقتبس ص٢٥

(١٢) اخبار مجموعة : ص١٠٧ وابن عذارى ١٣٤/٢ وتاريخ الفكر الاندلسي ص٣

(١٣) انظر البيان المغرب ٢٠٤/٢ و٢٠٨

(١٤) تاريخ الفكر الاندلسي ص ٥٠ والحميدى ص ٢٨٦

(١٥) ابن عذارى : البيان المغرب ص٢٠٧ وانظر ايضا : ابن حيان : المقتبس ص٣١ و ٦٣-٦٤ ويقول ابن القوطية انه دخل مع موسى بن نصير رجل واحد من أصاغر الصحابة هو المنيذر الافريقي ، ثم أشار الى اختلاف الروايات في التابعين الداخلين الى الاندلس وذكر اسماء أخرى ص ١٩٦ - ١٩٧ و ٢٠٧

(١٦) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الاول المجلد الاول ص٣

(١٧) يرى المستشرق الانكليزى «جب» أن التاليف المنظم لا يمكن أن يؤرخ الى ما قبل اوائل القرن الثالث بعد الهجرة ٠ (انظر : د٠ صلاح المنجد : المنتقى من دراسات المستشرقين ، القاهرة ١٩٥٥ ، ج (١) ص ١٣٤ وص ١٣٧) ، بينما يرى الدكتور عبدالعزيز الدورى ان عصر التدوين بمعنى الجمع والتنسيق ابتدأ من حوالي منتصف القرن الثاني للهجرة ، (انظر : عبدالعزيز الدورى : دراسة في سيرة النبي (ص) ومؤلفها ابن اسحاق ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي : البحوث والمحاضرات ، سنة ١٩٦٦ ، ص١٤٢) ٠

(١٨) انظر : ابو الوليد الحميرى : البديع في وصف الربيع ص١ و٢

(١٩) ابن بسام : الذخيرة ، ق١ م١ ص٢

(٢٠) ن٠م٠ص ٤-٥

(٢١) عبدالواحد المراكشي : المعجب ص١٤ ، وانظر : نفح ٢٥٩/١ و٢٦٠ و ٢٦٩ ، والحميدي ص٧

(٢٢) غرسيه غومس : الشعر الاندلسي ص٣٢

(٢٣) احسان عباس ص٣٧ ، ونفح ١٣٠/٤-١٣١

(٢٤) حسين مؤنس : شيوخ العصر ص٤٥-٤٦

(٢٥) نفح ٢٧٤/٣ وانظر عنه ايضا : ابن عذارى ١٦٣/٢-١٦٤ والذهبي : سير اعلام النبلاء ٣/١ و١٥ و٤٤ و٤٦ و٢٧٦ و٢٨٨ و٢٩١ و٣٦٢

و٢٩٩/٣ و٣٤٧ و٢٠٠/٥ و٢٢٩ والعبر ٥٢/٢ و٥٦ ـ وانظر الفهرست ـ والمشتبه في الرجال ص١١٦ ، وجذوة المقتبس ١٢ والسيوطي : طبقات المفسرين (ليدن) رقم (٢٥) ٠

(٢٦) ابن الفرضي رقم (١١٣٤) جـ (١) ص ٣١٩ ، والحميدى : رقم ١٥٢ ، وحسين مؤنس : شيوخ العصر ص٤٤ (وذكر عنه مصادر اخرى : ابن فرحون : الديباج المذهب ص١٣٩ـ١٤١ ، وبونس بويجس ، رقم ٤٩ ، و د٠ محمود علي مكي : تيارات الثقافة المشرقية في الاندلس ص٢٩١ـ٢٩٤) ٠

(٢٧) ابن الفرضي رقم ١١٣٢ والحميدى : رقم ١٠٠ ص٦٣ـ٦٥ وحسين مؤنس : شيوخ العصر ص٥٣ـ٥٤ ، وانظر اخبار عبدالملك بن العاصي السعدى (٢٨٦ـ٣٣٠هـ) الذى (ادخل الاندلس علما كثيرا) (ابن الفرضي ٢٢٩/١) ، واخبار محمد بن عبدالله بن سابق (ن٠م٠ص ٣٣٠) ومحمد بن عبدالله الخولاني (ن٠م٠ص٣٣٠) ٠

(٢٨) ابن الفرضي ١/ص٢٤٩ رقم ٨٨٩ واحسان عباس ص٣٥

(٢٩) المغرب ١٣٢/١ـ١٣٤ واحسان عباس ص٣٥

(٣٠) انظر : صاعد الاندلسي : طبقات الامم ص٧١ ، وعلى العموم فان العرب في القرن الاول للهجرة لم يهتموا بعلوم غير تلك التي تتصل بالقرآن والحديث واللغة ٠ انظر : حبيب الراوى : شكل الارض ص٨

(٣١) صاعد الاندلسي : ص٧٣ وانظر : احسان عباس ص٤٢

(٣٢) انظر : البيان المغرب ٢٣٠/٢

(٣٣) ن٠م٠ ، ١٥٩/٢

(٣٤) احسان عباس ص٤٣

(٣٥) انظر : طبقات الامم : ص٧٣ واحسان عباس ص٤٢ وص٩٠ وحبيب الراوي : ص٧ـ٨

(٣٦) طبقات الامم ص٧٣ـ٧٤

(٣٧) غرسيه غومس : ص٣٤

(٣٨) احسان عباس : ص٣٨ ، وانظر : خبر الجارية البغدادية قمر التي ابتاعها من المشرق ابراهيم بن الحجاج قائد الامير عبدالله بن محمد (ابن عذارى ١٩٤/٢ـ١٩٥) ٠

(٣٩) نفح ٣٢٢/١ و د ٠ محمود الحفني : ص٤٤ـ٦٦ و٩٦ـ١٢٩

(٤٠) نفح (ط٠احسان عباس) ٣/١٢٦ـ١٢٧ وبالينثيا : ص٥٤

(٤١) نفح (ط٠ احسان عباس) ٣/١٢٧ـ١٢٨ وغرسية غومس : ص٣٤ ، واحسان عباس : ص٣٩

(٤٢) الخشني : ص١٢

(٤٣) بركلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ٢/١٤٨ وانظر ص١٥٩ ، وبالينثيا ص٥٤ ٠ وانظر عن زرياب ايضا : نفح (ط٠بولاق) ص٧٤٩ وما بعدها و (ط٠اوربا) ٢/٨٣ وما بعدها وطبع احسان عباس ٣/١٢٢ـ١٣٣ ، والمغرب ١/٤٧ و٥١ و٢/٩٦ ، ودوزى : تاريخ مسلمي اسبانيا ٣١٢/١ وما بعدها (عن المغرب ١/٤٧ هامش) ، وفارمر : تاريخ الموسيقى العربية (راجع الفهرست) والموسوعة العربية الميسرة ، واحمد ضيف : بلاغة العرب في الاندلس (الطبعة الثانية) ص ٢٤ـ٢٥

(٤٤) نفح ٤/١٣٧ ، والشعر الاندلسي ص ٣٢ـ٣٣

(٤٥) ابن عذارى جـ (٢) ص١٥٢

* ابن الابار : اعتاب الكتاب ص٧١

(٤٦) المغرب ١/ص٤٤

(٤٧) ن٠م٠ ١/٥٠ و ٣٣٠ـ٣٣١

(٤٨) ابن عذارى جـ (٢) ص١٤١ والمغرب ١/٧١ـ٧٢

(٤٩) ن٠م٠ ص١٧٠

(٥٠) ن٠م٠ص ١٨٢ و ٢٢٨ وقد جاء ذكر الاثنين الاولين في المقتبس ص٦ وقد سمى الثاني منهما « عبيدالله بن محمد بن ابي عبدة » ٠

(٥١) ن٠م٠ص ١٦٥ و١٨٨

(٥٢) ن٠م٠م ص٢٢٣

** ابن حيان ص٤٤ ـ ٤٥ و ٤٦ و ٤٩

(٥٣) انظر : ابن عذارى : جـ٢ ص٦٤ و٦٦ و٦٧ و٦٨ وفي ص٨٢ اشارة الى كتاب يعلم الامير بقيام ثورة عليه ، وفي ص٧٩ و٨٣ اعلام بفتح ٠ وفي ابن القوطية ص١٢٤ اشارة لكتاب من طارق بن زياد الى موسى ابن نصير بطلب الغوث والنجدة ٠

(٥٤) انظر : بعض الاشارات الى هذه الموضوعات في ابن عذارى جـ٢ ص١٢٤ و١٢٥ و١٤٤ و١٤٦ و١٥٣ و١٨٨ـ١٨٩ و١٩٧

(٥٥) ن٠م٠ص٨٦

(٥٦) ن٠م٠ص٧٧

(٥٧) انظر : ابن عذارى : جـ٢ ص٢٣١ و ١٦٠ – ١٦١ وابن الابـــار : اعتاب الكتاب ص٧١

(٥٨) ن٠م٠ص٨٦ـ٨٧

(٥٩) ن٠م٠ص١٤٥ و١٥١

(٦٠) ن٠م٠ص١٧٧ و١٨٥ وانظر : اشارة الى عقد امان آخر في ص ١٠٦ ٠

(٦١) ن٠م٠ص٧٩

(٦٢) ن٠م٠ص١٩٩

(٦٣) ن٠م٠ص ١٥٧

(٦٤) المغرب : ١/ ٥١ ، وفي ابن عذارى جـ (٢) ص١٤٠ و١٥٤ توقيعـــان قصيران ، وانظر توقيعات لعبدالرحمن الداخل في نفح (ط٠ احسان عباس) ٣٩/٣ و ٤٠ و ٤١

(٦٥) انظر ابن عذاري ٢/ ١٦٠ و١٦١

(٦٦) انظر ابن عذارى : ٢/ ١٦٠ ، وانظر مثالا آخر من اقواله في ص ١٦١

(٦٧) المغرب ١/ ٣٣٠ـ٣٣١

(٦٨) ن٠م٠ ص٣٣١ ، وانظر في ابن عذارى : ٢/ ١٦٤ ، اشارة الى رســالة من بقي بن مخلد الى الامير محمد (ينشده الله في دمه ويسأله التثبت في أمره والجمع بينه وبين خصومه وسماع حجتــه ٠٠٠) وفي نفــح (ط٠ احسان عباس) ٣٩/٣ و ٤٠ و ٤١ اشارة الى رسالة مـــن سليمان بن يقظان الاعرابي الى عبدالرحمن الداخل وقطع من رسائل مولاه بدر اليه ٠

(٦٩) الضبي ص١١٦ وبالينثيا : ص٥٠

(٧٠) بالينثيا : ص٢٨٥ والحميـــدى : ص٢٨٦ ومحمد التطواني : ابن الخطيب من خلال كتبه جـ (٢) ص٧١ـ٧٢ وابن الفرضي ١/ص٣٢٩

(٧١) بالينثيا ص٢٨٥٠

(٧٢) ابن عذارى : جـ (٢) ص١٦٤ـ١٦٥ والمغرب : ٢/ ٩٦ ود٠ حســين مؤنس : شيوخ العصر ص٣٤ ، وابن الفرضي رقم ٨١٤ ٠

(٧٣) انظر عنه المغرب ١/٥٢-٥٣ و٢/٩٤-٩٥ وابن عذارى ٢/١٥٣-١٥٤ و١٦٠-١٦١ ٠

(٧٤) ابن عذارى ٢/١٦٣-١٦٤ ، وبالينثيا ص٤٠٧ ، وانظر المغرب ١/٥٢ ، والصلة ص١٢١ ونفح (ط٠ محيي الدين) ج (٣) ص٢٧٢

*** الاحاطة (تحقيق عنان) ص٤٣٠ - ٤٣١

(٧٥) بالينثيا ص٣٢٩

(٧٦) ن٠م٠ص ٣٢٦

(٧٧) انظر نص هذه الخطبة في نفح ١/٢٢٥ - ٢٢٦ وابن القوطية ص١٢٢ - ١٢٣ مع اختلاف كبير ٠ وذكر احمد هيكل في ص٨٠-٨١ ان ابن القوطية لم يذكر خطبة طارق ٠

(٧٨) انظر نفح ١/٢٤٨

(٧٩) انظر في هذا أحمد هيكل ص٧٨ - ٨٣

(٨٠) ابن القوطية ص ٢٠٨

(٨١) نفس المصدر ص ٢٥

(٨٢) نفح ٣/٤٢

(٨٣) نفس المصدر

(٨٤) راجع ابن القوطية ص٢٩ ونفح (ط٠ احسان عباس) ٣/٣٧

(٨٥) ابن حيان ص٣١ وابن الابار : الحلة السيراء ٢/٣٧٩ وهو ينقل عن المقتبس بالنص ٠ وابن عذاري ص٢٠٧ وانظر أيضا عنه : ابن حيان ص٦٣ - ٦٤ والمغرب ٢/١٠٦

(٨٦) الحلة السيراء ١/٢٢٩

(٨٧) الاحاطة (تحقيق عنان) ١/١٥٧

الفصل السادس

الشعر

لم يصلنا شيء شامل عن شعراء القرن الثاني ولا عن شعراء القرن الذى يليه ، ولكن الشيء المؤكد لدينا هو ان شعراء هذين القرنين كانوا من الكثرة بحيث امكن لاديب من ادباء العصر هو عثمان بن ربيعة (توفي سنة ٣١٠)(١) ان يقسمهم الى طبقات متميزة في كتابه (طبقات الشعراء بالاندلس) ويشير بالنثيا الى انه توجد من هذا الكتاب نسخة مخطوطة في فاس(٢) .

ولدينا اسماء كتب اخرى الفت بعد هذا التاريخ ، يبدو انها كانت تتحدث عن شعراء الاندلس الاوائل اضافة الى كلامها على شعراء زمانها . منها كتاب اخبار شعراء الاندلس لمحمد بن هشام الاموى(٣) (ايام الناصر) وكتاب عن الشعراء لاحمد بن هشام(٤) واللفظ المختلس من بلاغة الكتاب بالاندلس لعبد يس الجياني وكتاب التشبيهات من اشعار اهل الاندلس لعلي بن ابي الحسين (توفي قريبا من سنة ٤٣٠) (٥) وهناك كتاب آخر بنفس هذا العنوان للشيخ ابي عبدالله محمد بن الكتاني الطبيب (توفي قريبا من سنة ٤٢٠)(٦) ، واخبار شعراء الاندلس او كتاب طبقات الشعراء لابن الفرضي ، وحانوت عطار لابن شهيد(٧) واخبار شعراء الاندلس لعبادة بن ماء السماء (توفي سنة ٤١٦)(٨) ، وكتاب في شعراء الاندلس لمحمد بن عبدالرؤوف الازدى (توفي سنة ٣٤٣)(٩) وكتاب في شعراء البيرة لمطرف بن عيسى الغساني (توفي سنة ٣٥٧)(١٠) وكتاب الشعراء من الفقهاء بالاندلس لقاسم بن نصير (توفي سنة ٣٣٨)(١١) وتاريخ ابن علقمة(١٢) .

وقد وصلتنا اسماء كثير من شعراء القرنين الثاني والثالث ، يرى غرسية غومس انهم لم يكونوا يمتازون بموهبة ما ، واذا تميز من بينهم نفر فان سر

امتيازهم ، في نظره ، يعود الى حياتهم الخاصة الطريفة اكثر مما يعود الى براعتهم في قول الشعر(١٣) .

وكثير من شعراء القرن الثاني لا يمكن اعتبارهم اندلسيين حقيقة ، لانهم، في الواقع ، من العرب الطارئين على الاندلس . فهم يمثلون الثقافة المشرقية والروح الشعرية المشرقية التي لم يظهر فيها التأثير الاندلسي بعد .

ان التاريخ السياسي الاندلسي في النصف الثاني من القرن الثالث الهجرى يتصف باضطراب الاحوال السياسية اضطرابا اشاع الضعف في سلطان الامراء الامويين : محمد بن عبدالرحمن (٢٣٨ - ٢٧٣هـ = ٨٥٢-٨٨٦م) والمنذر بن محمد (٢٧٣-٢٧٥هـ = ٨٨٦-٨٨٨م) وعبدالله ابن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ = ٨٨٨-١٩٢م) فقد اخذ نشاط حركة القومية الاسبانية (عمر بن حفصون وبنو قسي) بالازدياد وكانت ثورات المدن الاندلسية المختلفة تتوالى وكان الزعماء العرب يحسون بضعف السلطان فيستقل كل منهم بكورته ويتصرف تصرف الامراء الفعليين فيقرب الشعراء ويكرمهم ويربط الخيل ببابه ، وكان الامير الاموى يكتفي من حكام الولايات باعلانهم الطاعة له وان لم يكن له عليهم سلطة فعلية حقيقية(١٤) .

ولقد كان الاندلس خلال هذه الفترة يعيش من الناحية الواقعية تحت حكم امراء طوائف يشبه فترة ملوك الطوائف التي اعقبت سقوط الخلافة الاموية فيه . واذا كان لهذه الاوضاع السياسية اثرها السيء على هيبة الحكم وسلطان الامراء الامويين ، فقد كان لها تأثير حسن على الشعر وقائليه والكتابة والمشتغلين بها . فقد كان كل من هؤلاء المستقلين عن سلطان الامراء الامويين يظهرون الطاعة اسما فقط ، ويتخذون لانفسهم كل مظاهر السلطان المستقل ويحذون في سلوكهم وحكمهم حذو الامراء الامويين .

ومن امثلة ذلك استقلال ابراهيم بن حجاج (توفي سنة ٢٨٨) على نصف كورة اشبيلية وقيام كريب بن خلدون بالنصف الآخر ، ثم ما كان من منافسة بين ابراهيم وابن خلدون انتهت بتغلب ابراهيم بن حجاج على بني خلدون وتتبعه لهم بالقتل والنهب حتى خضع له جميع اهل الكور الملاصقة لاشبيلية ثم كاتب الامير عبدالله وطلب منه ولاية اشبيلية التي كان هو حاكمها الفعلي ، فاجابه الامير الى ذلك فانفرد بها واتخذ لنفسه الجند ورتب لهم الارزاق ، « وجرى في ذلك كله مجرى السلطان » فكان « يرتاح للثناء ويعطي الشعراء ويضاهي في فعله كبار الامراء »[١٥] .

ولقد قصده كثير من الشعراء منهم ابو عمرو احمد بن عبد ربه فاكثر فيه المدح فعرف له ابراهيم فضله واغدق عليه العطاء .

وعندما سمع ابو اسحق ابراهيم بن حجاج هذا بما لجارية بغدادية اسمها قمر ، من فضل ارسل الاموال الطائلة في ابتياعها ، واتى بها الى عاصمة ملكه اشبيلية ، وكانت ذات فصاحة وبيان ومعرفة بالاغاني والالحان .

ومن امراء الطوائف ايضا محمد بن ابراهيم بن حجاج ملك قرمونة بعد وفاة ابيه ، وكان ايضا مقصد الشعراء . ومنهم ديسم بن اسحاق الذى ثار على الامير عبدالله وتمكن من مدينتي لورقة ومرسية وما يليهما من كورة تدمير « وكان مودودا من طبقات الناس .... له افضال على الشعراء والادباء »[١٦] .

ومنهم بكر بن يحيى بن بكر ، الذى ثار في مدينة شنت مرية وحصنها وجعل لها ابواب حديد « وكان يتشبه بزعمه في سلطانه بابراهيم بن حجاج ، وكان له اصحاب للرأى وكتاب للعمل ..»[١٧] ومنهم سعيد بن سليمان بن جودى الذى لم يكن نموذجا صادقا للفارس العربي فحسب بل يعتبر من احسن شعراء هذه الفترة ايضا[١٨] .

ومما وصلنا من شعر هذه الفترة نستطيع أن نرى ، بوضوح ، ان الشعر كان يشارك في احداث العصر مشاركة فعالة وكان له دور بارز في الخصومات والحروب لم يكن باقل من دور السلاح بانواعه المختلفة ان لم يفقه تأثيرا من الناحية النفسية • ولدينا امثلة على ذلك :

لما نكث عبيدالله بن امية بن الشالية عهد الطاعة الذي قطعه على نفسه للامير عبدالله فعمد الى غيه ووالى عميد الثائر ن عمر بن حفصون تنازع مع الفتح بن ذي النون على حصن ذيمية فغلب عليه ابن الشاليه وهزمه واستولى على الحصن فقال الشاعر عبيد يس بن محمود ، وكان كاتبا ايضا لعبيدالله متصرفا في خدمته وكان يكثر المديح فيه ويصف مغازيه ومبانيه ، قال في ذلك قصيدة طويلة منها(١٩) :

جاء البشير بما عم السرور به	عن الامير ابي مروان في السفر
فقلت حين سألناه فاخبرنا	بالله قل واعد ياطيب الخبر
بيمن لب ابي عيسى وغزوته	فاز الامير على الاعداء بالظفر(٢٠)
غدا به كلفا صبا يؤانسه	اذ حل منه محل السمع والبصر
فاصبح الجيش مسعودا به وبدت	من صبره عبر اربت على العبر
هذا صنيع نبي الباري اذا ضربت	بالصيد لم تبق غرنيقا ولم تذر(٢١)(؟)
غرانق لم يقصر دون غايته	مخرج وهو لم يدرج ولم يطر
جرت به في العلى اعراق اربعة	فاقبل الابن يتلوه على الاثر
قاد الجيوش الى الاعداء مدرعا	يصلى الوغى بالوغى في سن مثغر
من تحته فرس في كفه قبس	يرمي الشياطين في الهيجاء بالشرر
ترى على السرج منه صورة خلقت	من العلى والندى من اجمل الصور
كالغيث كالليث الا انه بشر	كالمزن صورته كالشمس كالقمر

خلى حصون ابي فتح مفتحــــة ابوابها للقنا في الورد والصــــدر
له نتائج من تدبـــير فطرتـــــه تضل فيها عيون الجن والبشر

ولدينا اشارة الى قصيدة طويلة لسوار بن حمدون المحاربي القيسي زعيم العرب الثائرين على المولدين بكورة البيرة يفخر فيها بنفسه وقومه قيس ويهجو الاعداء ، يقول في اولها(٢٢) :

صرم الغواني يا هنيــد مــودتي اذ شــاب مفرق لمتي وقذالي
وصددن عني ياهنيــد وطالمــا علقت حبــال وصالهن حبالي

ووصلتنا ابيات من قصائد طويلة تصور الصراع والتنافس العنصري بين العرب والمولدين في الاندلس ، خلال هذه الفترة • ويبدو أن بعض هــذه القصائد اشبه بالنقائض يفخر فيها الشاعر بقومه ويرد على شاعر اعدائهــم ما وصمهم به في شعره ، وربما كانت قصيدة الرد من نفس البحر والقافية •

ومما وصلنا من القصائد في هذا الموضوع ابيات من قصيدة لسعيد بن جودي السعدي صاحب سوار بن حمدون ومتولى رئاسة العرب بعده قالهــا في وقعة سوار الثانية المعروفة بوقعة المدينة والتي تغلب فيها سوار على اعدائــه من المولدين في مدينة البيرة فاكثر فيهم القتل حتى ليقال ان قتلاهم في هــذه الوقعة كانوا اثني عشر الفا • قال ابن جودى فيها(٢٣) :

يقول بنو الحمراء لو أن جنحنـا يطير لعشــاكم بشؤبوب وابــل
وضقتم به ذرعا وجاست نفوسكم ومامنعتكم مانعــات المعاقــل
فقد كان طرد الجنح اذ طار نحونا كذبات حسو أو كدود المزابــل
وهاجت شــآبيب الحتوف عليكم برعد وبرق سحم وهواطــــل
لظلت سيوف الهند تحصد جمعكم حصــاد زروع اينعت للمناجل
ولما رأونــا راجعــين اليهـــم تولوا سراعا خوف وقع المناصل

فصرنا عليهم والرماح تنوشـــهم كوقع الصياصي تحت وهج القساطل
فلم يبق منهم غير عان مصفـــد يقاد أسيرا موثقا في السلاسل
وآخر منهم هارب قـد تضايقت به الارض يهفو من جوى وبلابل
لقيتم لنـــا ملمومـــة مستجيرة تجيد ضراب الهام تحت الهواطل
بها من بني عدنان فتيـــان غـارة ومن آل قحطان كمثـل الاجادل
يقودهـــم ليث هـزبر ضبـارم محث حروب ماجد غير خامـــل
ارومته من خير قيس نما بــــه الى المجد قدما والعلى كل فاضـل
اخو ثقة محض النجـار مهـذب له حسب زاك كريم الاوائـــل
له سـورة قيسيـة حربيـــة بها ذاد عن دين الهدى كل جاهل
لقد سل ســوار عليكم مهنــدا يجز به الهامـات جز المفاصـــل
به قتـل الله الـذين تحزبـــوا علينا وكانوا اهل افك وباطـــل
سما لبني الحمراء اذ حان حتفهم بجمع كمثل الطود ارعن رافـل
تضيق لـه الارض الفضاء ضبارم عظيم شديد الركض جم الصواهل
ادرتم رحى حرب فدارت عليكم بحتف قد اتاكم به الله عاجـل

ولسعيد بن جودي قصيدة اخرى طويلة في مديح سوار بن حمدون وذكر وقيعته الاولى باهل حاضرة البيرة واسره لجعد بن عبدالغافر عامل الامير عبدالله عليهم واخذه بثأر يحيى بن صقالة اميرهم قبله ، يقول فيها :[٢٤]

قد طلبنـــا بثأرنا فقتلنـــــا منـــكم كـل مـارق وعنيـد
قـد قتلناكـم بيحيى ومـــا ان كـان حكـم الالـــه بالمردود
هجتـم يابنى العبود ليوثـــا لم يكونوا عن ثأرهم بقعـــود
فاصطلوا حرهـا وحر سيوف تتلظى عليكــم كالوقـــود

لم تزالوا تبغونها عوجـا حتى وردتم للموت شر ورود
جاءكم ماجد يقود اليكم فيـة منهم كمثل الاسود
ماجد قد جرى الى المجد حتى نال بالسيف غاية التمجيد
هبرزي مهذب من نزار وعميد ما مثله من عميد
يطلب الثأر ثار قوم كرام اخذوا بالعهود بعد العهود
فاستباح الحمراء لم يبق منهم غير عان في قيده مصفود
قد قتلنا منكم الوفا فما يعدل قتل الكريم قتل العبيد
قتلوه لما اضاف اليهم لم يكن قتله برأي رشيد
قتلته عبيد سوء لئام وفعال العبيد غير حميد
لم يصيبوا الرشاد فيما اتوه لا ولا كان جدهم بسعيد
قد غدرتم به بني اللؤم من بعد يمين قد اكدت بعهود
فلئن كان قتله غدرة ما كان بالنكس لا ولا الرعديد
كان ليثا يحمي الحروب وحصنا وملاذا وعصمة المصفود
كان فيه التقى مع الحلم والبا س وجود ما مثله من جود
عال ممجد الامجاد مجدك يا يحيى قديما وفت كل مجيد
فجزاك الاله جنة عدن حيث يجزى الثواب كل شهيد

وكان لكل من العرب والمولدين شاعر يدافع عن قومه ويناضل عن رأيهم ويحرضهم على القتال ضد اعدائهم • فكان العبلي شاعر البيرة المعروف هو شاعر المولدين والمحامي عنهم واسمه عبدالرحمن بن احمد وينسب الى قرية عبلة • واما شاعر العرب فهو محمد بن سعيد بن مخارق الاسدي من اسد بني خزيمة وكان معروفا بالاسدي ، وكان مقامه بين العرب مقام العبلي بين المولدين • ولكل من هذين اشعار كثيرة لم يصلنا منها الا ابيات قليلة •

وهناك رواية تدل على أنه كان للشعر دور مهم في هذه الخصومة التي احتدمت بين العرب والمولدين ، وانه كان وسيلة من اهم وسائل الحرب النفسية اذ كان يشيع الذعر في نفوس الاعداء فيحطم معنوياتهم ويحيطهم بالخوف المتشائم • تقول الراوية ، نقلا عن مشيخة من عرب غرناطة ، انه لما بدأ الصراع بين العرب في غرناطة واهل الحاضرة من المولدين ، لجأ العرب الى حصن غرناطة وكان سوره مثلوما فجعلوا يعملون في بنيانه وسد ثلمه • وكان اعداؤهم المولدون يكرون عليهم « فكانوا يقاتلونهم بالنهار ويبنون سورهم بالليل بالشمع • فبيناهم كذلك اذ رموا في بعض الليل بطاقة فيها ابيات من الشعر قالها المعروف بالعبلي الشاعر شاعر البيرة المحامي عن المولدين ••• وهي :

منازلهم منهم قفار بلاقع تجاري السفا فيها الرياح الزعازع
وفي القلعة الحمراء تدبير زيغهم ومنها عليهم تستدير الوقائع
كما جددت آباؤهم في خلالها اسنتنا والمرهفات القواطع

قال ابو رجاء عثمان بن سعيد : فاشتد ذعرنا لهذه الابيات حتى لو احاطت بنا عساكر اهل الارض ما وجدنا مزيدا في الذعر ، ووقع منها موقع الهواتف بالنذر ، وحركنا شاعرنا المعروف بالاسدى ••• فلما حركنا اسدينا للرد عنا اخبل الشدة ذعره وكد خاطره فبعد لأي ما انبعث ببيتين هما :

منازلنا معمورة لا بلاقع وقلعتنا حصن من الضيم مانع
وفيها لنا عز وتدبير نصرة ومنها عليكم تستتب الوقائع

حكى انه عملها في الليل ثم اختل وارتج عليه فكأنه ما قال شعرا قط ، وظل مطرقا حتى سمع قائلا يقول له يسمع الصوت ولا يرى شخصه : قل :

الا فادنوا منها قريبا لوقعة تشيب لها ولدانكم والمراضع

قال فحفظت البيت واستبشرت به ونهضت الى اضحى بن عبداللطيف الهمداني وكان خاصتي من المشيخة فانبأته بما سمعته فقال : ابشر بما سمعت يا ابن أخي فما احسبه الا هاتف صدق في هؤلاء الاخابث فانهم بغوا علينا وقد وعد الله من بغى عليه النصر • فاتفق ان كانت للعرب عليهم الى سبعة ايام الوقيعة المشهورة التي هلك فيها منهم سبعة عشر الفا »[٢٥] •

ومن النقائض التي وصلنا خبرها وبعض ابياتها قصيدة للعبلي المذكور يهجو فيها عرب غرناطة اولها[٢٦] :

قد انقصفت قناتهم وذلوا وزعزع ركن عزهم الاذل

فناقضه الاسدي شاعر العرب بقوله من قصيدة طويلة لم يصلنا منها الا هذه الابيات :

قد احتل الاحبة واستقلوا لنيتهم بليل واحزألوا[٢٧]
فظل الدمع من جزع عليهم اذ احتملوا يسح ويستهل[٢٨]
سأصرف همتي عنهم واسلوا بهجوي معشرا كفروا وضلوا
لواء النصر معقود علينا بتأييد الاله فما يحل
اذا ما استلامت[٢٩] اسد وقيس رأيت الشرك قد خضعوا وذلوا
ومن قحطان والحيين بكر وتغلب اسد غاب ما تفل

ولنفس الشاعر من قصيدة يحرض فيها العرب[٣٠] :

يا ايها العرب النائي محلتهم انتم نيام ومن يشنأكم سهر
ماعيش عدنان دون الحي من يمن او عيش ذي يمن قد خانها مضر
ان السهام ان ما فرقت كسرت وان تجمعن تبقى ليس تنكسر

أنتم قليل كثير في عنايكم ... وغيركم قلّ فيكم وان كثر (كذا)
اليس منكم نبي الله اكرم من ... يرى الاله ومن جاءت به السور
وصاحباه ابو بكر خليفته ... وخدنه المرتضى من بعده عمر
ومعشر هاجروا في الله ربهم ... والتابعون وقدما آووا وقد نصروا
قل للقبائل من هود ومن ادد ... تقبلوا النصح اذ قلناه او مذروا
ما ان تركت لكم نصحا لمنتصح ... والنصح عند ذوي الالباب مدخر

وله في رثاء سعيد بن سليمان بن جودي بن اسباط امير العرب بعد سوار من قصيدة طويلة(٣١) :

لا ساغت الراح لي من كف ساقيها ... حتى تقرب نفسي من تمنيها
وان ارى الخيل تردى في اعنتها ... لثار من كان قبل اليوم يرضيها
ياقاسم بن عياض دعوة فلقت ... صم الصخور فلم يسمع مناديها
بلغ ربيعة والحيين من مضر ... وآل عد اذا احللت واديها
وآل سعد فقد اضحت وليس لها ... راع يحوط قصاها بعد راعيها
من بعد ما اتت الافاق مذعنة ... طوعا له واجابته عواصيها

وليحيى بن اخي يحيى بن صقالة اول الثوار بالدعوة العربية في مديح سوار وذكر وقعة اهل البيرة ، من قصيدة ناقض فيها العبلي شاعر المولدين من اهل البيرة ، وهي على روي قصيدته اللامية ، ويقال أنها لسعيد بن سليمان ابن جودي ، قال فيها(٣٢) :

لسوار على الاعداء سيف ... اباد ذوي العداوة فاضمحلوا
لقد ذلت رقابهم بصغر ... فصادمهم شديد البأس صل
سقاهم كأس حتف بعد كأس ... بها نهل العبيد معا وعلوا

وقد رفعت لسوار قناة بها خضعت رقابهم وذلوا
قناة المجد مركزها عزيز حماهم مانع لا يستذل
قتلت بواحد سوار الفا والفهم بواحدنا يقل
فاكثر قتلنا لهم حلال بما ارتكبوه ظلما واستحلوا
اضاف اليهم رجل تقي فجاءوا فيه امرا ما يحل
فاوردنا رقابهم سيوفا تشب النار منها اذ تسل
فقد سفكت دماؤهم وطلت وليس لنا دم يوما يطل
رواق المجد مضروب علينا منيع الجانبين فما يزل
سمونا فوق عرش المجد قدما وعرش المجد فيه لنا المحل
ورثنا المجد عن آباء صدق وارثكم بني العبدان ذل
واخضعنا رقابكم فذلت فليست ما حييتم تستقل

والشيىء الواضح من اخبار الشعر هذه أن اغلب ما وصلنا منه هو الشعر الذي يمثل الاتجاه العربي ووجهة النظر العربية اما شعر المولدين فما وصلنا منه الا اشارات قليلة تدل على وجوده وبضعة ابيات ذكرناها فيما مضى •

ومن مواضيع شعر هذه الفترة التهنئة بغلبة على ثائرين وما يستتبعه من مديح • ولدينا من ذلك قصائد عدة ذكرنا بعضها فيما مضى ، ونشير الى بعضها الآخر هنا • فمنها قصيدة لاحمد بن محمد بن عبد ربه قالها يهنىء الامير عبدالله بفتح مدينة استجه التي كانت تحت سلطة الثائر عمر بن حفصون سنة سبع وسبعين ومائتين ، وقد اطال فيها المدح • يقول فيها[٣٣] :

هو الفتح منظوما على اثره الفتح وما فيهما عهد ولا فيهما صلح
سوى ان صفحا كان من بعد قدرة واحسن مقرون الى قدرة صفح
سل السيف والرمح الرديني عنهما فتسمع ما ينبي به السيف والرمح

وهناك قصيدة اخرى لابن عبد ربه ايضا يهنيء فيها الامير عبدالله بفتح حصن بلاي يقول في اولها[٣٤] :

الحق ابلج واضح المنهاج والبدر يشرق في الظلام الداج
والسيف يعدل ميل كل مخالف عميت بصيرته عن المنهاج
واذا المعاقل ارتجت ابوابها فالسيف يفتح قفل كل رتاج
نشر الخليفة للخلاف عزيمة طوت البلاد بجحفل رجراج
جيش يلز كتائبا بكتائب ويضم افواجا الى افواج

ولدينا ابيات من قصيدة لسعيد بن عمرو العكي يصف فيها جيش الامير عبدالله الذي توجه به لغزوة « بلاي » ومحاربة عمر بن حفصون المتحصن فيه[٣٥] .

ولا احب ان ادرس الشعر هنا ، بحسب موضوعاته ، فان هذه الموضوعات التي طرقها يمكن ان تتضح من دراستنا لمشاهير شعراء العصر وشعرهم كل على انفراد .

وفيما يلي سندرس ، باختصار ، بعضا من كبار شعراء هذين القرنين ، مع تركيز خاص على عباس بن فرناس ويحيى الغزال باعتبارهما نموذجين لطرافة الشخصية وللاصالة الفكرية المبكرة في الاندلس ، وتتبعهم باحاطة ، نحاول ان تكون شاملة ، باسماء الشعراء الآخرين الذين ظهروا في هذه الفترة . ثم نعقب ذلك بدراسة مفصلة عن الموشح تعريفه واجزائه ونشأته ، باعتبار الموشحات اهم مظاهر التجديد والاصالة في الشعر العربي عامة ، وفي الشعر الاندلسي خاصة .

هوامش

الفصل السادس

الشعر

١ ـ انظر : الضبي ص ٣٩٩
٢ ـ بالينثيا ص ٢٨٥
٣ ـ الضبي ص ١٣٠ و ٤٢٤
٤ ـ نفسه ص ٤٢٤
٥ ـ الجذوة ص ٢٩٠والذيل والتكملة ٥/٣١٦ـ٣١٧ والضبي رقم ١١٩٤
٦ ـ ابن الكتاني : كتاب التشبيهات ص ١٢ طبع بتحقيق د. احسان عباس في سلسلة « المكتبة الاندلسية » رقم (١٥) دار الثقافة ـ بيروت سنة ١٩٦٦ .
٧ ـ الضبي ص١٧٩ و٤٥١ واحسان عباس : تاريخ الادب الاندلسي ـ عصر سيادة قرطبة ص٦٣
٨ ـ الضبي ص ٣٨٣
٩ ـ ابن الفرضي ١/رقم ١٢٦٠
١٠ـ ن.م. رقم ١٤٤١
١١ـ ن.م. رقم ١٠٦٧ وانظر : احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسي ـ عصر سيادة قرطبة ص٦٣ وبالينثيا ص٢٨٤ و٢٨٥ـ٢٨٦
١٢ـ المطرب ص١٣٣ والضبي ص٣٣٠
١٣ـ غرسيه غومس : الشعر الاندلسيص ٣١
١٤ـ انظر في هذا : ابن عذاري ٢/ص ١٤٢ـ٢٢٥ وابن حيان : المقتبس ص١١ـ١٢ وبالينثيا ص٥٧
١٥ـ ابن عذاري ص١٩١
١٦ـ ن.م. ص ٢٠٥ وابن حيان : المقتبس ص ٩ و١١ـ١٢
١٧ـ ن.م. ص٢٠٧ وابن حيان : المقتبس ص ١٥ـ١٦
١٨ـ انظر : ابن عذاري ٢/٢٠٣ـ٢٠٤ و٢٠٧ وبالينثيا ص ٥٧ـ٥٨ وغرسيه غومس : الشعر الاندلسي ص ٣٠ وابن حيان : المقتبس

ص ٢٩_٣١ وترجمته في ص١٢٣_١٢٦ نقلا عن ابن الفرضي ٠ ويمكن مراجعة اسماء الثائرين على الامير عبدالله واخبارهم في ابن حيان : المقتبس ص ٩_٣٣

(١٩) ابن حيان : المقتبس ص ١٠_١١

(٢٠) ابو عيسى لب المذكور هو لب بن عبيدالله بن شاليه وكان مع ابيه حين تم فتح حصن ذيميه فتيمن ابوه لحضوره ، والى هذا يشير الشاعر هنا ٠

(٢١) جاء البيت هكذا مضطربا ولعل صدره هكذا : « هذا صنيع نبي الباري اذ اضطربت » والغُرنَيق والغِرنِيق والغُرانِق : الجمع : غرانق وغرانيق : طائر مائي عريض الجناح طويل الساق ٠

(٢٢) ابن حيان : المقتبس ص ٥٦

(٢٣) ابن حيان : المقتبس ص ٥٧_٥٨

(٢٤) نفسه ص ٥٨_٦٠

(٢٥) ابن حيان المقتبس ص ٦٣_٦٤

(٢٦) نفس المصدر ص٦٤

(٢٧) في النص : احزالوا ٠

(٢٨) في النص : اذا ٠

(٢٩) كذا في النص وربما كانت « استلامت » بالهمز اي : لبست اللامة وهي الدرع ، وبذلك يستقيم الوزن والمعنى ٠

(٣٠) نفس المصدر ص٦٤ ، وتامل ، فما ادق ما تعبر عنه هذه الابيات من حال العرب اليوم ايضا !

(٣١) نفس المصدر ص ٦٥

(٣٢) ابن حيان : المقتبس ص ٦٥_٦٦

(٣٣) ابن حيان : المقتبس ص ٩٧_٩٩

(٣٤) نفس المصدر ص١٠٠_١٠٢ وفي ص ١٤٣_١٤٤ ابيات من قصيدة ليحيى بن ادريس يهنىء فيها الامير عبدالله لافتتاحه حصن « لك » الذي كان بيد احد الثائرين عليه ٠

(٣٥) نفسه ص ١٠٣_١٠٤

الفصل السابع

شعراء القرن الثانى

ابو الاجرب الكلابي :

(انظر عنه : المغرب ١/١٣١-١٣٢ والضبي : رقم ٦٢٦ والحميدي رقم ٣٦١ ونفح ٤/٢١٠ واحمد هيكل ص ٧٢ واحسان عباس ص ١٠٥) •

من هؤلاء الشعراء الوافدين على الاندلس ابو الاجرب جعونه بن الصمة الكلابي • وهو من قدماء شعراء الاندلس • كان قد اختص بمدح الصميل (توفي سنة ١٤٢) وزير يوسف بن عبدالرحمن الفهرى سلطان الاندلس • وكان قبل ذلك قد هجا الصميل وقومه فلما قبض عليه عفا عنه ، فنسخ هجوه بمدحه • وقد اقسم الصميل ألا يراه الا اعطاه ما معه فكان ابو الاجرب لا يكثر من لقائه وكان لا يزوره الا مرتين في السنة في كل عيد مرة • وكان من الفرسان الشجعان ، ومن الشعراء الجارين على مذاهب العرب ، لا على طريقة المحدثين ، لذلك عده ابن حزم بمنزلة جرير والفرزدق ، وقد عاصرهما • وكان ينزل باكناف قرطبة • ومن شعره قوله :

ولقد اراني من هواي بمنزل ... عال وراسي ذو غدائر افرع
والعيش اغيد ساقط افنانه ... والماء اطيبه لنا والمرتع

وكان يدعى عنترة الاندلس • توفي قبل قيام الدولة الاموية •

معاوية بن صالح القاضي :

(انظر عنه : المغرب ١/١٠٢ و١٤٣ و١٤٤ والحميدي : رقم ٧٩٦ والضبي رقم ١٣٣٨ ، والنباهي ص ٤٣ والخشني ص ٣٠ والذهبي : تذكرة ١/١٦٦-١٦٧ وابن حجر : تهذيب ١٠/٢٠٩-٢١٢) •

هو من جملة العلماء الذين وفدوا على الاندلس في القرن الثاني

الهجرى . نقل ابن سعيد عن تاريخ ابن حيان انه دخل الاندلس قبل دخول عبدالرحمن الداخل . ويقال ان مالك بن انس كان يروى عنه .

وهو من اهل حمص تركها الى الاندلس سنة ١٢٣ ، ويقال سنة ١٢٥ وقد حظي عند عبدالرحمن الداخل وارسله هذا الى الشام ليأتي له بأختيه اللتين بقيتا هنالك . ولكنه لم يستطع اقناعهما بقبول المجيء معه ، فلما عاد الى الاندلس ولاه عبدالرحمن قضاء الجماعة بالاندلس كلها . وكان يقضي ليله بالصلاة ، فاذا اسفر الصبح تقدم في خيل حمص للغزو . وقد عزله عبدالرحمن في اواخر ايامه . في رواية انه توفي سنة ١٦٨ وفي اخرى سنة ١٥٨ . وقد نسبت اليه ابيات في التشوق الى الاهل في المشرق ، نسبت الى عبدالرحمن الداخل ايضا مطلعها :

ايها الراكب الميمم ارضي   اقر من بعضي السلام لبعضي

ابو المخشي عاصم بن زيد :

(انظر عنه : المغرب ٢/١٢٣-١٢٤ ، والحميدى : ص٣٧٧ ، وابن القوطيه ص٣٥ و٣٦ ، والضبي : ص٥١٣ واحمد هيكل ص١١٢-١١٧ ، وابن ظافر : ص٢١ ، وبالينثيا ص٣ و٥١ و٥٨ وغرسية غومس : الشعر الاندلسي ص٣١ ونيكل ص١٠ واحسان عباس ص١٠٥ وابن الابار : ملحق « التكملة » رقم ٢٤٥٧) .

دخل ابوه الى الاندلس مع جند دمشق ، فاقام بقرية شوش ، ونشأ هناك ابنه عاصم على قول الشعر ، فاشتهر به وكان مكثرا من الهجاء مقذعا سليطا متجاوزا على الاعراض . وتروى الاخبار ان هشام بن عبدالرحمن امير الاندلس قطع لسانه بسبب تجاوزه على الاعراض ثم نما له لسانه بعض الشيء فاقتدر على الكلام .

وكانت بينه وبين مجموعة من الشعراء مهاجاة • وكان ابو المخشي من شعراء الامير سليمان بن عبدالرحمن الداخل ، مدحه مرة بقصيدة فاستغل اعداؤه بعض ابياتها واثاروا عليه حفيظة الامير هشام أخ سليمان • وكانت بين الاثنين مباعدة ومنافسة فبينوا له انه عرض به فيها • وكان الذي غاظ هشاما قوله :

وليس كمثل من ان سيم عرفا يقلب مقلة فيها اعورار

وكان هشام احول ، فسمل عينيه • وكان لهذا العمى في نفسه اثر عميق انعكس في شعره فاضفى عليه صدقا شعوريا حزينا • وقد قصد بشعره الذي قاله في عماه ، عبدالرحمن ابن معاوية فانشده اياه ، فتأثر له ورق لحاله واعطاه الفي دينار « وضاعف له دية العينين » وقد وصلنا من شعره هذا أبيات قليلة هي :ـ

خضعت ام بناتي للعدى ان قضى الله قضاء فمضى
ورأت اعمى ضريرا انما مشيه في الارض لمس بالعصا
فاستكانت ثم قالت قولة وهي حرى ـ بلغت مني المدى
ففؤادي قرح من قولها « ما من الادواء داء كالعمى »

ويقال ان الشاعر عباس بن ناصح انشد هذه القصيدة لابي نواس الحسن بن هاني • فقال الحسن : « هذا الذى طلبته الشعراء فاضلته » والواقع ان جودة الشعر هنا ترجع الى صدق الشعور الذى صدر عنه وليس الى أى شيء آخر •

ولما صار الامر الى هشام اراد ان يكفر عما بدر منه بحق ابي المخشي فاعطاه دية مضاعفة •

وصلنا من شعره هذان البيتان اللذان يدلان على مقدرة تصويرية وايحائية فائقة :

وهم ضافني في جوف يم كلا موجيهـا عنـدى كبير
فبتنا والقـلوب معلقـات واجنحـة الريـاح بنا تطـير

ولقد بقيت مصيبته بالعمى مصدرا يلهمه الشـعر الحزين الصادق الى آخر حياته حتى ان آخر ما قالـه من شعر كـان حول حالتـه في عماه ، وهو قولـه :

ام بنيـاتي الضعيف حويلهـا تعـول امرأ مثلي وكان يعولها
اذا ذكرت ما حال بيني وبينهـا بكت تستقيل الدهر مالا يقيلها

وقد ذكر ابن القوطية ان ابا المخشي كان شـاعر الاندلس في ايـام عبدالرحمن الداخل وتوفي في ايام الحكم بن هشام •

عباس بن ناصح الجـزيري :

(انظر عنـه : المغرب ١/٤٥ و٣٢٤ و٣٢٥ وابن الفـرضي ١/٢٤٥ ونفـح : « انظر الفهرس » ، وبغيـة الوعـاة ص٢٨ واحمـد هيكـل ص ١١٩-١٢٢) •

من اهل الجزيرة الخضراء • رحل به ابوه وهو صغير فنشـأ بمصر وتردد على الحجاز طالبا للغة ثم رحل الى العراق فلقي الاصمعي وغيره من علماء البصرة والكوفة ، ثم عاد الى الاندلس • وعندما سمع باخبار ابي نواس رحل الى العراق للقائه فأعجب كل منهما بالآخر ورجع عباس الى الاندلس وكان على اتصال بالحكم بن هشام فولاه قضاء شذونه والجزيرة الخضراء •

وكان الشعر قد غلب عليه فشهر به وان كان له حظ من الفقه والرواية ايضا • وكان يتردد على الحكم في قرطبة فيجتمع اليه ادباء البلاط للاخذ عنه ومناقشته في امور الادب • فمرت عليهم ، في احدى هذه الجلسات ، قصيدة له مطلعهـا :

لعمرك ما البلوى بعار ولا العدم اذا المرء لم يعدم تقى الله والكرم

حتى وصل القارىء الى قوله :

تجاف عن الدنيا ، فما لمعجز ولا حازم ، الا الذى خط بالقلم

« فقال له يحيى الغزال وهو حدث ايها الشيخ ، وما الذى يصنع مفعل مع فاعل ؟ فقال : فكيف تقول انت ؟ قال : تجاف عن الدنيا فليس لعاجز ، فقال عباس : والله لقد طلبها عمك ليالي فما وجدها » ولم يصلنا من شعره الا القليل . ويبدو من هذا القليل ان من الموضوعات التي طرقها المدح والفخر والزهد والحث على مقاتلة الاعداء ونجدة النساء . فمما وصلنا من مدحه للحكم الربضي ، يوم اصابت الناس مجاعة فاغاثهم :

نكد الزمان فآمنت ايامه ان لن يكون بعصره عسر
طلع الزمان بازمة فجلى له تلك الكريهة جوده الغمر

وسمع عباس ، وهو عند الثغر ، امرأة من ناحية وادى الحجارة ، وهي تقول : « واغوثاه ! ياحكم ضيعتنا ، واسلمتنا ، واشتغلت عنا حتى استأسد العدو علينا » . فرفع الى الحكم شعرا بهذا المعنى ، وصلتنا منه هذه الابيات :

تململت في وادى الحجارة مسهدا اراعي نجوما ما يردن تغيرا
اليك ابا العاصي نضيت مطيتي تسير بهم ساريا ومهجرا
تدارك نساء العالمين بنصرة فانك اهل ان تغيث وتنصرا

مات بعد سنة ٢٣٠هـ .

حسانة التميمية :

(انظر عنها نفح ٥/٢٩٩-٣٠١ واحمد هيكل ص ١٢٢-١٢٤ وبالنثيا ص٥ و٥٧ و٥٨ وجودة الركابي ص٩٨ واعلام النساء ٢١٦/١ وشاعرات العرب ص٢١٣ والرافعي ٣١٧/٣ ، والشعر الاندلسي ص٣١) .

كان ابوها شاعرا يعرف بابي الحسين . وقد اخذت منه الشعر والادب. وحينما توفي ابوها لجأت الى الحكم بن هشام بهذه الابيات :

اني اليك ابا العاصي موجعة — ابا الحسين، سقته الواكف الديم
قد كنت ارتع في نعماه عاكفة — فاليوم آوي الى نعماك ياحكم
انت الامام الذى انقاد الانام له — وملكته مقاليد النهى الامم
لا شيء اخشى اذا ما كنت لي كنفا — آوي اليه ولا يعرو لي العدم
لازلت بالعزة القعساء مرتديا — حتى تذل اليك العرب والعجم

فامر الحكم باجراء راتب لها . وكتب الى عامله على البيرة يوصيه بها خيرا . ولكن حينما مات الحكم أصابها بعض الاذى على يد حاكم بلدها الذى لم ينفذ لها ما امره به الحكم فذهبت الى خلفه الامير عبدالرحمن الاوسط تشكى بقصيدة ، وصلتنا منها بعض الابيات وقد انصفها عبدالرحمن بعد ان فرغت من انشادها امامه وامر لها بجائزة ، فلما انصرفت بعثت اليه بقصيدة مدح .

أما الامراء الذين مارسوا الشعر خلال القرن الثاني الهجري فأولهم عبدالرحمن بن معاوية (الداخل) (توفي ١٧٢هـ) ، والحكم بن هشام (الربضي) (توفي سنة ٢٠٦هـ) وقد وصلنا شيء قليل من اشعارهم ذكرنا بعضها واشرنا الى بعضها في مكان آخر من هذا الكتاب .

وهناك شعراء آخرون وصلتنا اسماؤهم ولم يصلنا شيء من اخبارهم أو وصلنا شيء قليل منها ، منهم : حجاج المغيلي (توفي سنة ١٩٨) انظر عنه المغرب ٤٤/١ ، وبكر بن عيسى وابو الحسين التميمي وغريب الطليطلي (الحميدى ص٣٠٧ والمغرب ٢٣/٢-٢٤) وابن هبيرة انظر : (المغرب ١٢٤/٢ ، واحمد هيكل ص١٢٥) وعبدالله بن بكر الكلاعي من اهل قرطبة ويعرف بالقملة (ابن الابار : التكملة ج ٢ ص ٧٧٦ رقم

(١٩٠٤) وقال : « ذكره ابن الفرضي •• » وحسام بن ضرار الكلبي ويكنى حسام ابا الخطار (الجذوة ١٨٨-١٨٩ وذكر له بعض الابيات وابن القوطية ص١٨ وما بعدها ، وذكر له قصيدة مذكورة في الجذوة مع بعض الاختلاف والآمدي : المؤتلف والمختلف (القاهرة ١٩٦١) ص ١٢٣ و٢٢٨ وعبدالملك بن بشر بن عبدالملك بن بشر بن مروان بن الحكم • دخل الاندلس في صدر ايام عبدالرحمن الداخل (التكملة ١/٥٨) وذكره ابن سعيد باسم بشر بن عبدالملك بن بشر بن مروان (المغرب ١/٦٠) ومحمد بن اميه (توفي في امارة عبدالرحمن بن الحكم ٢٠٦-٢٣٨هـ) (المغرب ١/٧١ - ٧٢ والتكملة ٢/٣٧٣) •

الفصل الثامن

شعراء القرن الثالث

يحيى بن الحكم الغزال

(١٥٠ - ٢٥٠هـ/ ٧٧٠-٨٦٤م)

اصله من جيان . وقد لقب بالغزال لجماله ، فقد كان جميلا في صباه وسيما في كهولته . وكان شاعرا متمكنا ذا مقدرة تعبيرية ادبية عالية ، له خاطر حاد ، وبديهة سريعة وتمرس بأساليب الدخول والخروج من كل باب من ابواب الكلام[١] .

وبسبب هذه الصفات التي كان يتحلى بها أوفده عبدالرحمن الاوسط في سفارة له الى ملك النورمان الشماليين في الدانمارك[٢] وبصحبته يحيى بن حبيب وقد صادفته الاهوال في الطريق بسبب هياج البحر وعصف الريح حينما وصلوا الى الحد الاعلى من شمال غرب الجزيرة عند ملتقى البحر الاطلنطي بخليج بسكاي ، ووصف الغزال هذه العاصفة البحرية بقوله[٣] :

قال لي يحيى وصرنا بين موج كالجبال
شقت القلعين وانبتت عرا تلك الحبال
وتمطى ملك الموت الينا عن حيال
فرأينا الموت رأى العين حالا بعد حال
لم يكن للقوم فينا يا رفيقي رأس مال

وقد استطاع الغزال ان يستميل القلوب في بلاط ملك النورمان . ولما سمعت الملكة بذكر الغزال وظرفه ارسلت اليه تطلب ان يواجهها ، فلما قابلته اعجبت به كثيرا ، واستطاع باطرائه لها واطنابه في وصف جمالها ان « يجتلب محبتها وان ينال منها فوق ما اراد »[٤] . وبلغ من ولعها به انها كانت « لا تصبر عنه يوما حتى توجه فيه ، ويقيم عندها يحدثها بسير المسلمين واخبارهم وبلادهم ... »[٤] .

وكان الغزال ، حين قام بهذه السفارة ، قد شارف الخمسين وقد وخطه الشيب ولكنه كان ، مع ذلك ، ممشوق القوام ، قوى الجسم ، حسن الصورة. أمرته يوما الملكة ان يختضب ففعل ، وجاءها في يوم ثان وقد اختضب ، فمدحت خضابه وزينته له ، فقال الغزال في ذلك[٥] .

بكرت تحسن لي سواد خضابي فكأن ذاك اعادني شبابي
ما الشيب عندى والخضاب لواصف الا كشمس جللت بضباب
تخفي قليلا ثم يقشعها الصبا فيصير ما سترت به لذهاب
لا تنكري وضح المشيب فانما هو زهرة الافهام والالباب
فلدي ما تهوين من شأن الصبا وطلاوة الاخلاق والآداب

الاختلاف في اتجاه سفارته :

اختلفت المصادر القديمة كما اختلف الباحثون المحدثون في سفارة الغزال هل كانت الى القسطنطينية في المشرق أو الى احد بلدان شمال غرب أوربا وبالتحديد الى الدانمارك أو الى بلد في شبه جزيرة اسكندنافيه .

فقد ذكر ابن سعيد في المغرب[٦] ان عبدالرحمن الاوسط (توفي سنة ٢٣٨) انما ارسل الغزال الى صاحب القسطنطينية رسولا من قبله ، وفي النفح[٧] انه بعث يحيى الغزال الى ملك القسطنطينية ، ايضا ، ولعله ينقل هنا عن المغرب .

وفي مكان آخر من نفح الطيب[٨] نقل المقري عن ابن دحية ان الغزال أرسل الى « بلاد المجوس » وفي صفحة أخرى [٩] نقل عن ابن حيان ان الامير عبدالرحمن المرواني « وجه شاعره الغزال الى ملك الروم » .

وقد علق الدكتور شوقي ضيف على ما جاء في المغرب بقوله :[١٠] « والحقيقة انه أرسل الى النورمان الشماليين في بلاد الدانمارك » . وهذا

ما تؤيده التفصيلات التي ساقها ابن دحية عن هذه الرحلـة حيث قال وهو يتحدث عما صادفهم في الطريق الى ملك المجوس : « ... فلما حاذوا الطرف الاعظم الداخل في البحر الذى هو حد الاندلس في آخر الغرب ... »[١١] وهذا القول واضح الاشارة الى أن المقصود هو الكتف الاعلى الشمالي الغربي لشبه الجزيرة الايبيرية ، وهو الداخل فيما يعرف اليوم بالمحيط الاطلنطي ، والذي يحده من الشرق خليج بسكاي ، وهذا هو الطريق البحرى الى شمال غرب أوربا والدانمارك ، ويعززه ايضا وصف ابن دحية ، وهو الذى يقدم لنا أوسع المعلومات عن الرحلة وعن هذه السفارة ، وصفه لطريق عودة الغزال اذ يقول :[١٢] « ثم انفصل الغزال عنهم ، وصحبه الرسل الى شنت يعقوب بكتاب ملك المجوس الى صاحبها ، فأقام عنده مكرما شهرين ... » .

وشنت يعقوب هذه هي مدينة (Santiago de Compostela) الواقعة الى اقصى الشمال الغربي من شبه الجزيرة .

اما المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال فقد انكر ، في بحث له عن هذه السفارة ، انها كانت الى بلاد النورمان في بعض البلاد الاسكندنافية الشمالية ، وقال ان الصواب هو ان الغزال توجه ، في سفارته السياسية ، الى بلاد البيزنطيين في القسطنطينية ، ورفض رواية ابن دحية في المطرب[١٣] .

ويشير الاستاذ محمد عبدالله عنان الى ان الغزال اوفد في سفارتين مختلفتين احداهما الى القسطنطينية والاخرى الى الدانمارك[*] وهذا ما يفترضه الدكتور احسان عباس ايضا[**] .

شـعره :

يرى غرسيه غومس ان السر في امتياز الغزال لا يعود الى براعته في

الشعر بقدر ما هو بسبب حياته الخاصة الطريفة التي كان يحياها[١٤] .

اما الدكتور احسان عباس فيرى ان الغزال « شاعر الاندلس المقدم على جميع شعراء هذه الفترة »[١٥] . وهو يعتقد ان اتقان الغزال للقصص الشعري من السمات الشعرية البارزة التي تميزه عن غيره ، كما في قطعته التي يصف فيها العاصفة البحرية حين كان في طريقه مع يحيى بن حبيب الى بلاط ملك النورمان . ويرى د.احسان عباس ايضا ان شعر الغزال يمتاز بميزتين كبيرتين الاولى قيامه على النظرة الساخرة والثانية « وضوح نظراته الفلسفية القائمة على تجربته » .

وفي نظرنا ان القصص الشعري لا يكفي لتحديد السمات الشعرية لأي شاعر عربي ذلك لان القصص الشعري ظاهرة من ابرز الظواهر الادبية في الشعر العربي ، وهي ظاهرة تكاد تكون عامة بين كبار الشعراء العرب . فهي تبدو بوضوح في شعر امرىء القيس مثلا وعمر بن ابي ربيعة والحطيئة والفرزدق وبشار وابي نواس والبحترى .

أما النظرات الفلسفية القائمة على التجربة الشخصية فهي ، في نظرنا ، القاسم المشترك الذى يلتقي عنده كل من يحاول من الشعراء ان ينظم حكمة أو يعبر عن تجربة . فاذا ظهر احد من الشعراء ومارس نظم الحكمة دون ان يصدر فيها عن تجربة ذاتية فهو ، عندئذ ، ظاهرة متميزة عن سائر الشعراء الحكميين ، أى عن القاعدة العامة والطبيعية في الشعر الفلسفي الحكمي العربي .

اما ابرز الخصائص التي يتصف بها شعر الغزال ، في رأينا ، فهي واقعيته التعبيرية . فهو لا يلجأ الى ما اغرم به الشعراء المشارقة فترة ما ، وهو ما يعرف بين علماء البيان بحسن التعليل ، وانما يسلك الغزال في شعره مسلكا واقعيا في تعليله لأمور الحياة ، وهذا هو السر ، على ما نعتقد ، في طرافة شعره وظرافة شخصيته . وهو العلة ، ايضا ، في ما شاع في شعره من

سخرية مرة • ويظهر هذا واضحا في الابيات السابقة فهو فيها واقعي يكره طمس الحقائق الواقعة حتى ولو كان الطمس لغرض ادبي محض أو للظهور بمظهر يرضي الحسان ويسرهن ويدفعهن الى التصريح بأستحسانه• فهو يستجيب ، فعلا ، لما تغرى به الحسناء ، ولكنه يظل صريحا امام الحقيقة : فالخضاب لا يمكن ان يعيد له شبابه حتى ولو استحسنته الحبيبة ويظل الشيب حقيقة واقعة واضحة كالشمس مهما جللها الضباب فلا تلبث ان تبدو ثانية •

وتظهر واقعيته التعبيرية هذه ايضا في قصائد اخرى يعرض فيها جوانب من الطبيعة الانسانية بأسلوب صريح تخالطه مرارة الاعتراف بالواقع غير المسر • فمن ذلك قوله يصف ميل النفس الانسانية الفتية الى الشباب وان كان معدما ، واعراضها عن الشيخ وان كان ثريا(١٦) :

وخيرها ابوها بين شيخ	كثير المال أو حدث فقير
فقالت خطتا خسف وما ان	ارى من حظوة للمستخير
ولكن ان عزمت فكل شيء	أحب الي من وجه الكبير
لأن المرء بعد الفقر يثرى	وهذا لا يصير الى صغير

ولعل هذه الابيات كانت من وحي تجربة شخصية اقدم عليها بعد ان ادركته الشيخوخة •

استمع الى ابيات أخرى له فيها نفس هذا التناول الواقعي لحقيقة انسانية أخرى(١٧) :

يا راجيا ود الغواني ضلة	ففؤاده كلفا بهن موكل
لا تكلفن بوصلهن فانما ال	ـكلف المحب لهن من لايعقل
ان النساء لكالسروج حقيقة	فالسرج سرجك ريثما لا تنزل

فاذا نزلت فان غيرك نازل ذاك المكان وفاعل ما تفعل

أو منزل المجتاز اصبح غاديا عنه وينزل بعده من ينزل

او كالثمار مباحة اغصانها تدنو لأول من يمر فتؤكل

اعط الشبيبة لا اباالك حقها منها فان نعيمها متحول

واذا سلبت ثيابها لم تنتفع عند النساء بكل ما تستبدل

لا شك انه صدر ، في هذه القصيدة ، عن تجارب شخصية مرة ، مع بعض الغانيات ، جعلته يتشاءم هذا التشاؤم الشديد ويعمم الحكم هذا التعميم البعيد عن الانصاف وعن متطلبات النظرة الواقعية التي لم تكدرها عاطفة متألمة ، ولكنه ، على اى حال تشاؤم يعبر عن جانب حقيقي من الواقع الانساني وان لم يكن عاما في السلوك البشري •

واليك ابياتا اخرى في نفس هذا الاتجاه يبدو فيها شعوره بالواقع واضحا جليا ، ولكنه مفعم بالمرارة(١٨) :ــ

قالت احبك قلت كاذبة غرى بذا من ليس ينتقد

هذا كلام لست اقبله الشيخ ليس يحبه أحد

سيان قولك ذا وقولك ان الريح نعقدها فتنعقد

أو أن تقولي النار باردة أو أن تقولي الماء يتقد

واى واقعية اصرح واصدق من الاعتراف بعجزه عن جني ثمرة مواصلة النساء له بسبب ذهاب شبابه وخور قوته ؟ وقد سلك في تصوير ذلك مسلكا قصصيا جميلا فيه ظرافة وفيه تهكم على نفسه بأسلوب هزلي بديع يزيد من جماله بعده عن الفحش ، ونحن نكتفي بالاشارة الى هذه القصيدة دون ذكر ابياتها(١٩) •

وقد نظم الغزال ارجوزة تأريخية تناول فيها تاريخ الاندلس منذ

افتتاحها حتى زمنه ، اى حتى أوائل امارة محمد بن عبدالرحمن (حكم ٢٣٨-٢٧٣) • ويفهم هذا من قوله[٢٠] :-

ادركت بالمصر ملوكا اربعة وخامسا هذا الذى نحن معه

ولقد كان للغزال شعر كثير جمعه حبيب بن احمد الشطجيرى (توفي حوالي ٤٣٠) في ديوان ورتبه على الحروف* الا ان هذا الديوان لم يصلنا • ولقد قمت بجمع وتحقيق ما وصلنا من شعر الغزال ، وسيأتي في ملحق خاص في آخر هذا الكتاب •

الغزال وابو نؤاس :

يبدو ان الغزال كان يميل الى ان يتشبه بأبي نؤاس ، وينحو نحوه في تناول موضوعات اللهو والخمرة بأسلوب الاقصوصة الشعرية • فقد روى عنه انه حينما هجا علي بن نافع المعروف بزرياب المغني واقذع في هجوه ، شكاه زرياب الى الامير فأمر هذا بنفيه عن الاندلس ولكن بعض أكابر الدولة شفعوا له عند الامير فتركه لحاله • الا ان الغزال لم يطب له المقام بعد هذا في الاندلس فرحل ، كما تقول الرواية ، الى العراق ، ووصل الى هناك بعد موت ابي نؤاس بمدة يسيرة ، فوجد القوم هناك معجبين بشعر الحسن بن هانيء اعجابا شديدا • وضمه ، يوما ، مجلس مع جماعة من أهل العراق فرآهم يزرون بأهل الاندلس ، ويستهجنون اشعارهم فلما تناولوا في حديثهم ذكر ابي نؤاس قال لهم[٢١] :

من يحفظ منكم قوله :

ولما رأيت الشرب اكدت سماؤهم تأبطت زقي واحتسبت عنائي

فلما أتيت الخان ناديت ربه فهب خفيف الروح نحو ندائي

قليل هجوع العين الا تعلة على وجل مني ومن نظرائي

فقلت اذقنيهـا فلما اذاقنـي طرحت اليه ريطتي وردائي
وقلت اعرني بدلـة استتر بها بذلت له فيها طلاق نسـائـي
فو الله ما برت يميني ولا وفت له غير اني ضـامن بوفـائي
وابت الي صحبي ولم أك آئبـا فكل يفـديني وحق فدائـي

• فأعجبوا بالشعر وذهبوا في مدحهم له كل مذهب • فلما افرطوا قال لهم : خفضوا عليـكم فانـه لي • فانكـروا ذلك ، فانشـدهم قصيده الذي أوله :

تداركت في شرب النبيذ خطائي وفارقت فيه شيمتي وحيائي

فلما اتم القصيد بالانشاد خجلوا وافترقوا عنه ، •

ويشك الدكور احسان عباس في صحة هذه الرواية التي تقول ان الغزال سافر الى العراق بل يشك في انه رأى المشرق ابدا • ولكنه لم يعلل لاسباب شكه هذا الا بقوله :(٢٢) « ليس هناك من الاسباب المقنعة ما يجعلنا نعتقد صحة هـذه الرواية ، ولكن اذا لم تـكن هنـاك اسباب تجعلنا نعتقد صحتها ، فليس هناك اسباب تبرر لنا انكارها •

شـخصيته وسـلوكه :

هناك ثلاث ظواهر في حياة الغزال ، أو قل فيما وصلنا من اخبارهـا ، تبدو لنا شخصيته في اطارها على الصورة التالية : أنه لا يقدر مسؤوليتـه ، وطمع مادي يسيطر على تصرفاته ، وفكاهة انتقادية في اقواله واشعاره •

أولى تلك الظواهر الثلاث تصرفاته مع ملكة الروم حينما أوفد سفيرا للاندلس الى بلاد الدانمارك ، او الى القسطنطينية ، بحسب الروايات التي وصلتنا عن سفارته هذه ، والتي تخلط بين الدولتين ، وتخلط بالتالي ، في

اخباره بين ما يمكن ان يكون قد جرى في هذه السفارة أو تلك ، ان كانت هناك سفارتان له ، على ما بينا ، تفصيلا ، في الحديث عن سفارته .

ان تصرفاته تلك تدل على خفة لا ينبغي ان يتصف بها من يمثل بلده تمثيلا رسميا ، وقد ذكرنا طرفا من تصرفاته هناك ، وننقل ، الآن ، رواية اخرى ، تعزز هذا الرأى فيه ، وهي ما حكاه ابن حيان في « المقتبس » عن الغزال حينما كان جالسا يوما عند ملك الروم « واذا بزوجة الملك قد خرجت وعليها زينتها ، وهي كالشمس الطالعة حسنا ، فجعل الغزال لا يميل طرفه عنها ، وجعل الملك يحدثه وهو لاه عن حديثه ، فانكر ذلك عليه ، وأمر الترجمان بسؤاله ، فقال له : عرفه أني قد بهرني من حسن هذه الملكة ما قطعني عن حديثه ، فاني لم ار قط مثلها . وأخذ في وصفها والعجب من جمالها ، وانها شوقته الى الحور العين ، فلما ذكر الترجمان ذلك للملك تزايدت حظوته عنده ، وسرت الملكة بقوله »(٢٣) .

ان تصرفه هذا يفتقر الى آداب الدبلوماسية ، بالرغم مما تدعيه الرواية من تزايد حظوته عند الملك وسرور الملكة بقوله .

والظاهرة الثانية تبدو ، بوضوح ، في ما روى عنه من انه كان في مرة اخرى ، في حضرة الامبراطور ، وطلب ماء ليشرب « فاحضروا له كأسا من الذهب المزدان بالاحجار الكريمة فلما شرب وارتوى سكب الماء الذى بقى في الكأس على الارض ، واخفى الكأس في كم عباءته ، ورأى الامبراطور في ذلك مالا يليق وصرح به على لسان ترجمانه ، فكان رد الغزال عليه : ان امراءنا الذين تبغون صداقتهم ، قد اعتادوا عندما يطلب احد السفراء أن يشرب في حضرتهم ، ان يطلبوا له كأسا ثمينة ، يمكنه الاحتفاظ بها بعد شربه منها . فاذا كانت عادة سادتي هذه غير متبعة لديكم ، فاني مستعد لاعادة كأسكم اليكم . وهم السفير باخراجها من كمه ، الا ان « توفلس » بادر فاشار اليه بالاحتفاظ بها »(٢٤) .

أن هذه الحادثــة ان صحت ـ وما اراها الا صحيحــة ان لم تكن بتفاصيلها ، ففي خطوطها العريضة وذلك لأنها تنسجم مع ما نعرفــه عن شخصية الغزال وتصرفاته ـ فانها تدل على ما لاحظناه على سلوكه من عـدم تقدير للمسؤوليـة ومن طمع يعبث بشـــخصيته فيوجهها بحسب الاهواء الماديــة •

ولقد وصلنا من اخباره ما يؤكد هذه الملاحظة ويقررها • فقد روى عنه ان ابا المطرف عبدالرحمن الامير الاموى كان ولاه قبض الاعشـار ببلاط مروان واختزانها في الاهراء* • وكان ذلك اســتجابة من الامير لتوسلات شاعره الغزال بان يوليه هذه المهمــة ، في قصيدة مدحه بها • وحدث ان حل بالبلاد قحط شديد فمات الزرع وقل الطعام في الاسواق فارتفع سعره ارتفاعا كبيرا • فجعل الغزال يبيع من مخزون الطعام حتـى اتى على كل ما كان عنده في الاهراء • ثم هطـل المطر فرخص الطعام ، • فأعلم السلطان بما صنع الغزال من البيع ، فانكره وقال : انما تعد الاعشار لنفقات الجند والحاجة اليها في الجهد ، فماذا صنع الخبيث ، خذوه بأداء ما باع من أثمانها واشتروا به طعاما ، واصرفوه في الاهراء (اى اجعلوه فيها) الى وقت الحاجة اليه • فلما طلب منه ثمن ما باع أبى من ذلـــك وقال : انما اشترى لكم من الطعام عدد ما بعت من الامداد • وبين العددين بون كثير نحو من ثلاثين الفا • فأعلم السلطان بامتناعه من الاداء ، وبما ذهب اليه من شراء مثل ما باع ، فأمر بسجنه وحمله اليه في الكبل فسيق منها الى قرطبة وسجن بها »[٢٥] فصنـع ، في الســجن ، قصيدة مدح للامير ، يقول في آخرها :

---

* الاهراء : جمع هرى : بضم الهاء : بيت كبير يجمع فيه القمح وغيره •

ان ترد المال فاني امرؤ لم اجمع المال ولم اكسب
اذا اخذت الحق مني فلا تلتمس الربح ولا ترغب
قد احسن الله الينا معا ان كان رأس المال لم يذهب

ورفع القصيدة الى الامير • فلما قريء شعره اعجب به ، واعجب به الحاضرون ، وقال له بعضهم : لقد نصفك الغزال في قوله :

قد احسن الله الينا معا ان كان رأس المال لم يذهب

فانه لو ذهب ، ايها الامام ، اى ذمة كانت تفي به للغزال ، مع ما هو عليه من الانهماك في الشهوات وقلة المال ؟ فضحك الامام وأمر باطلاقه »[٢٦] •

أما الظاهرة الثالثة فالفكاهة المرحة المتقدة ، في شعره وفي اقواله • اما في شعره فمنها هذا البيت الاخير • وتبدو الفكاهة ملازمة له في احرج الظروف واصعبها كقوله في القصيدة التي يصف فيها العاصفة التي هبت على مركبهم وهم في طريقهم الى شمال غرب أوربا ، والتي تقدم ذكرها[٢٧] •

لم يكن للقوم فينا يا رفيقي رأس مال

وكقوله من ابيات غزلية[٢٨] :

وهي ادرى فلماذا دافعتني بمحال
اتراني اقتضيها بعد شيئا من نوال

واما الفكاهة في اقواله فمنها أن زوجة ملك الروم سألته يوما عن سنه ، « فقال مداعبا لها : عشرون سنة ، فقالت للترجمان : ومن هو ابن عشرين سنة يكون به هذا الشيب ؟ فقال للترجمان : وما تكر من هذا ؟

الم تر قط مهرا ينتج وهو اشهب ؟ فضحكت نود (اسم الملكة) ، واعجبت بقوله »[٢٩] .

زهـــده :

يروى ابن دحية ان الغزال حينما ضاق به المقام في الاندلس على اثر هجوه المفحش لزرياب وغضب السلطان عليه لذلك ، رحل الى العراق وأقام مدة فيه وثم أخذ يتجول في ديار المشرق . ويبدو انه ضجر من طول التغرب فحن الى مسقط رأسه ، فعاد الى الاندلس « وقد ترك شرب الخمر وتزهد في الشعر وشارف الستين ، وركب النهج المبين ، ولم ينسك نسكا اعجميا ، بل ظرف ظرفا ادبيا ، وسلك مسلكا من البر مرضيا »[٣٠] .

من هذا النص نستطيع ان نتبين طبيعة زهد الغزال . فهو زهد من تملكه الضجر بعد أن مارس الحياة وخبرها ، وبعد أن طواه الزمان وبدل خلقه كله وبراه عضوا فعضوا[٣١] .

وقد عبر ابن دحيه عن حقيقة هذا الزهد خير تعبير بقوله « لم ينسك نسكا أعجميا بل ظروف ظرفا أدبيا » . فهو لم يسلك في زهده مسلك الرهبان المنقطعين عن الدنيا لقناعتهم النظرية بفسادها وعدم جدواها ، بل لقد كان زهده نتيجة ممارسته الفعلية النشطة للحياة حتى استنفد منها كل ما استطاع من ملذاتها ومن حقائقها ، وحتى استنفدت هي الاخرى منه كل قوته ومظاهر نشاطه حتى تركته وكأن الهيئة التي رسمها هو لجزء من جسمه تصدق على كيانه كله ، حين قال :[٣٢]

فكأنه ، مما تشنج جلـــده كير تقادم عهـــده مثقوب

وعندئذ ، بدت الدنيا في نظره فاسدة مليئة بالاشجان :[٣٣]

لقد فسدت فما تلقى   بها من ليس ذا شجن
وصار الحي منا يغبط الملفوف في الكفن

ويبدو ان السبب الاساسي في انصرافه عن الدنيا وزهده فيها هو ضعفه أمام الحسان وعجزه عن مواصلتهن واقتناعه ، عن تجربة ، بأنهن ، عن طبيعة ، لا يمكن أن يحببن شيخا هرما ، واذا أظهرن له حبا وتعلقا فذلك عن تملق ورياء . (٣٤)

ولقد عصر خلاصة خبرته بالحياة والعلاقات الاجتماعية فيها ، في اشعاره الزهدية مع ملاحظات دقيقة عن طبيعتها وادراك عميق لجوهرها ، فاقتنع بأن المصلحة الفردية هي المحرك للافراد وان الناس في تربصهم لاختطاف هذه المصالح يشبهون الثعلب المتربص بالدجاج أو القط المراقب للفأر ينتظر الفرصة المناسبة للوثوب عليه : (٣٥) .

ما أرى هاهنا من الناس الا   ثعلبا يطلب الدجاج وذيبا
أو شبيها بالقط ألقى بعينيه الى فأرة يريد الوثوبا

وتتشح نظرته هذه الى الحياة بالتشائم القاتم ولكنها ، على أي حال ، مستمدة من الواقع الذي يعيشه ، وانما دوره فيه دور المسجل للملاحظات الدقيقة التي يستخلصها من مراقبته لسلوك الافراد وعلاقاتهم ببعضهم ، فهو لم يختلق شيئا من الخيال ، وانما استمد الحقائق من الواقع مهما بد مرا كئيبا مؤلما .

وفاته :

تجمع الروايات التي ذكرت تاريخ وفاته على انه توفي في حدود سنة (٢٥٠ هـ) (٣٦) وبينما يقول ابن حيان في « المقتبس » انه عمر أربعا

وتسعين سنة ، [٣٧] يذكر ابن دحيه انه عمرّ حتى قارب المائة ، وقيل اربى عليها [٣٨] •

ويبدو ان رواية ابن دحية هي الاصوب ، ذلك لان الغزال نفسه ذكر في شعره انه بلغ التاسعة والتسعين [٣٩] :

وما لي لا ابلى لتسعين حجة   وسبع أتت من بعدها سنتان

فاذا صح انه توفي في حدود الخمسين والمائتين ، فان ولادته تكون في حدود سنة (١٥٠ هـ) •

هوامـــش (الغـــزال)

× انظر عن الغـــزال : الحميـــدي ص١٨٧ و٣٥١ـ٣٥٣ والضبـــي ص ٤٨٥ـ٤٨٦ والخشني ص٩٥ و٩٩ والعقـد الفريد ٣/٥٨ و ١٩٠ و٥/٣٥٢ والتكملة ص ٧٣٢ـ٧٣٣ والمطرب ص ١٣٣ـ١٥١ والمغرب ٢/٥٧ـ٥٨ وابن عذارى ٢/١٣٩ ونفح (تحقيق احســـان عبـاس) ١/٢٨٢ و٣٤٦ و٢/٢٥٤ـ٢٦٢ و٣/١٨٢ و٤٣٨ وكتاب التشبيهات : (انظر فهرست الشعراء فيه ص٣٣٧) وكشف الظنون ٨٠٤ واحسان عباس : تاريخ الادب الاندلسي عصر سيادة قرطبة ص ١١١ـ١٢٢ واحمد هيكل ١٧٢ـ١٨٦ ٠

(١) المطرب ١٣٩ و١٤٣ـ١٤٤ ٠

(٢) انظر : المطرب ١٤٣ والمغرب ٢/٥٧ هامش رقم (٤) ٠

(٣) المطرب ص ١٣٩ ٠

(٤) نفسه ١٤٣ ٠

(٥) نفسه ١٤٩ ٠

(٦) المغرب ٢/٥٧ ٠

(٧) نفح (تحقيق احسان عباس) ١/٣٤٦ ٠

(٨) نفسه ٢/٢٥٧ قارن مع المطرب ص١٣٨ـ١٣٩ ٠

(٩) نفح ٢/٢٥٨ ٠

(١٠) المغرب ٢/٥٧ هامش (٤) ٠

(١١) المطرب ص ١٣٩ ٠

(١٢) نفسه ص ١٤٩ ٠

(١٣) ليفي برفنســـال : الاســـلام في المغرب والاندلس ص١١٣ وسلسلة محاضرات عامـــة في ادب الاندلس وتاريخهـــا ص٦ (ترجمها : محمد عبدالهادي شعيرة) (القاهرة ١٩٥١) و
Historia de España, IV, P. 163
وصحيفة معهد الدراسات الاســـلامية في مدريد ، المجلـــدان ٩ و١٠ سنة ١٩٦١ـ١٩٦٢ ص٤٢٠ـ٤٢٤ ، وانظر ايضا عن هذا الموضوع :ـ

آ ـ محمد عبدالله عنان : « ســـفارة اندلسية الى ملك النورمانيين في القرن الثالث الهجري » في مجلة (الرسالة) المصرية ، العـــدد (١٣٢) سنة ١٩٣٦ ص٤٨ـ٥٠ ٠

وكتـــابه : دولـة الاســلام في الاندلس (الطبعـة الثالثـة) ص ٢٧٨ـ٢٨٢ ٠

ب ـ بروكلمان : ترجمة عبدالحليم النجار ٢/١٠٥ ٠

ج ـ أ ٠ الين : محاولة لاعادة تحقيق سفارة الغزال الى بلاد المجوس (الفايكنج) ط٠ لنـدن ١٩٦٠ (عن صحيفة معهد الدراســات الاسلامية في مدريد ، المجلـــدان ٩ و١٠ ســنة ١٩٦١ـ١٩٦٢ ص ٤٢٠ـ٤٢٤ ٠

وعنوانه بالانكليزية : Reconstruct Al-Ghazal's embassy to The Vikings. London, 1960.

د ـ د٠ احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسي ـ عصر سيادةقرطبة ص ١١٤ـ١١٧ ٠

هـ ـ ليفي بروفنسال : الاسلام في المغرب والاندلس (الالف كتـاب) رقم (٨٩) ص ٩٤ـ١١٨ ٠

و ـ Pons Boigues, no. 2

* عنان : دولة الاسلام في الاندلس (ط٠ ثانية) ص٢٧٨ـ٢٨٠

** تاريخ الادب الاندلسي ـ عصر سيادة قرطبة ص١١٥

(١٤) غرسيه غومس : الشعر الاندلسي ص ٣١ ٠

(١٥) احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسي ـ عصـر ســيادة قرطبــة ص١١٨ ٠

(١٦) جذوة : ص ٣٥٢ والضبي ص ٤٨٦ ٠

(١٧) المطرب : ص ١٤٦ـ١٤٧ ونفح (تحقيق احسان عباس) ٢/٢٥٩ ٠

(١٨) نفح (تحقيق احسان عباس) ٢/٢٥٧ وانظر احسان عباس : تاريــخ الادب الاندلسي عصر سيادة قرطبة ص١١٩ـ١٢٠ ٠

(١٩) المطرب ص١٤٩ـ١٥٠ ونفح (تحقيق احسان عباس) ٢/٢٥٥ ٠

(٢٠) انظر : نفح (تحقيق احســان عباس) ١/٢٨٢ و٢/٢٥٥ وبالينثيــا ص ٦٠٣ ٠

* الحميدي ص ١٨٧ و ٣٥٢ والضبي ص ٤٨٦

(٢١) المطرب : ص١٤٧ـ١٤٨ ونفح (تحقيق احسان عباس) ٢/٢٦٠ـ٢٦١٠

(٢٢) احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسي ـ عصر سيادة قرطبة ص١١٢، وانظر ايضا الرواية في : نفح (تحقيق احسان عباس) ١/٣٤٦ ·

(٢٣) نفح : (تحقيق احسان عباس) ٢/٢٥٨ـ٢٥٩ وانظر ايضا تصرفا آخر في : المطرب ص ١٤٤ـ١٤٩ ·

(٢٤) ليفي بروفنسال : الاسلام في المغرب والاندلس ص ١٠٦ـ١٠٧ ·

(٢٥) المطرب ص١٣٦ ·

(٢٦) نفسه ·

(٢٧) المطرب ص١٣٩ وانظر : احسان عباس : كتابه المذكورة ص١١٦ ·

(٢٨) المطرب ص١٤٠ وانظر ايضا امثلة اخرى في ص١٤٤ و١٤٨ و ١٤٩ـ١٥٠ ، وانظر احسان عباس : كتابه المذكور ص ١١٩ ·

(٢٩) المطرب ص١٤٤ ونفح (تحقيق احسان عباس) ٢/٢٥٧ ، وانظر في ص٢٥٩ جوابه للملكة حينما أمرت الترجمان ان يسأله عن السبب الذى دعا المسلمين الى الختان ·

(٣٠) المطرب ١٤٨ـ١٤٩ ·

(٣١) نفسه ص١٥٠ ·

(٣٢) نفسه ص١٥٠ ·

(٣٣) انظر : احسان عباس : كتابه المذكور ص٢٩٠ ·

(٣٤) انظر نفس الكتاب ص٢٨٩ المقطوعة (٣) و (٤) والمطرب ١٤٦ـ١٤٧ والجذوة ٣٥٢ وبغية الملتمس ص ٤٨٦ ·

(٣٥) احسان عباس ص١٢٠ ·

(٣٦) نفح (تحقيق احسان عباس) ٢/٢٦٠ وجذوة ص ٣٥٣ ·

(٣٧) نفح (نفس الطبعة) ٢/٢٥٤ و٢٦٠ وجذوة ص ٣٥٣ ·

(٣٨) المطرب ص١٥٠ ·

(٣٩) نفسه ·

عباس بن فرناس*

(توفي سنة ٢٧٤هـ ــ ٨٨٥م)

اشتهر في زمن الحكم الربضي ، وهو من برابر تاكرنا ومولى بني امية • نبغ في معظم معارف عصره فكان له علم بالتنجيم والكيمياء • وهو اول من اخترع طريقة لعمل الزجاج من الحجارة ، وعمل ميقاته لمعرفة الوقت• وكان مجيدا الى هذا كله للغناء المشرقي واصوله ، عالما بالعروض فقد استطاع ان يفك ما غمض من كتاب العروض للخليل •

وكان يهتم بالعلوم الطبيعية اهتماما كبيرا • حتى انه صنع في بيته نموذجا للسماء تتمثل فيه النجوم والبروق والرعود متى اراد بشكل آلي أخاذ • ويبدو انه تمكن من معرفة الكثير من اسرار القوانين التي يعتمد عليها الطائر في طيرانه ، فحاول ان يستفيد منها عمليا فكسا جسمه بالريش وصعد على مرتفع من الارض وقذف بنفسه منه الى الفضاء فحلق فيه مدة وطار في الجو الى مسافة بعيدة ، ولكنه عندما اراد النزول لم يستطع المحافظة على توازنه فسقط واصابه بعض الاذى فكان ، بذلك ، أول انسان يطير في الجو •

ولقد سن ابن فرناس سنة علمية رائعة بصنع النموذج الآلي للسماء وبطيرانه• فصنع النماذج التي تصور الظواهر الفلكية والعلميةالمختلفةاصبح، اليوم ، من مستلزمات الدراسة في مختلف مراحلها لما يجسمه من حقائق العلم ويقربه للاذهان • والشيء الواضح أن عباس بن فرناس قد ادرك اهمية ذلك وفاعليته في تبديد الاوهام التي كانت شائعة في عصره فيما يتصل بتصور اسباب الظواهر الطبيعية من غيوم ورعود وبروق وليل ونهار وتعليل حدوثها فجسم ذلك تجسيما علميا لا نشك في انه عرضه امام علماء عصره وقادة الفكر والرأي فيه ليقنعهم بتصوره لكيفية حدوث هذه الظواهر •

اما طيرانه فقد رسم به نهجا علميا له اهمية بالغة ذلك أنه طبق بنفسه وعلى نفسه ما توصل اليه من قوانين الطيران ونظرياته ، فسن سنة علمية لها خطرها في تقدم العلوم التجريبية تلك هي « اجراء التجارب العلميـــة على النفس » وذلك نهج لانزال نسمع ، كل يوم ، بعالم ينهجه فيجرى تجربة على نفسه بدواء او مصل او غير ذلك من المجازفات العلمية ليثبت بها نظرية توصل اليها او رأيا اقتنع بصحته وليس من دليل يقنع به الآخرين غير التطبيق .

وربما كانت هناك علاقة فكرية بين هذا النهج الذي انتهجه عباس ابن فرناس وبين نهج كرستوفر كولومبوس الذي اقتنع بحقيقة كان الجميـع ينكرونها وهي امكانية الوصول الى جزر الهند الشرقية عن طريق السير في المحيط الاطلنتيكي غربا ، فاراد ان يثبتها بنفسه وعلى نفســه فقـام بمغامرته العلمية المعروفة ، بعد ستة قرون من التجربة التي قام بها ابن فرناس ليطبق بها نظريات الطيران على نفسه .

على أن اختلال توازنه حينما حط على الارض بسبب انه لم يدخل في حسابه ما يؤديه ذيل الطائر حين هبوطه على الارض فلم يتخذ لجسمه مـــا يحفظ له هذا التوازن ، هذا الاختلال ادى الى سقوطه واصابته باذى ممـــا اتاح لاعدائه ومنافسيه من الشعراء موضوعا للشماتة به والتندر عليه الشيء الذي ثبط عزيمته ، على ما يبدو ، فلم يحاول اعادة الكرة بعد دراسة اسباب السقوط وتلافيها .

وكان ممن هجاه واستهزأ به الشاعر مؤمن بن سعيد حين قال فيه :[1]

يطم على العنقاء في طيرانهـــا اذا ما كسا جثمانه ريش قشعم

وقد نشأت بينه وبين مؤمن بن سعيد هذا مهاجاة افحش فيها الاثنان .

ولعباس بن فرناس مشاركة في الشعر السياسي تظهر في ملازمتـــه لثلاثة من الامراء الامويين في الاندلس ومدحه لهم اجمعين .

ومن شعره في المدح ووصف المعارك قصيدة طويلة وصف فيها معركة وادي سليط وهي من امهات المعارك التي خاضها الامير محمد ، يقول فيها :[٢]

ومختلف الاصوات مؤتلف الزحف ... لهوم الفلا عبل القبائل ملتف
اذا اومضت فيه الصوارم خلتها ... بروقاً تراءى في الجهام وتستخفي
كأن ذرى الاعلام في ميلانه ... قراقير في يم عجزن عن القذف
وان طحنت أرحاؤها كان قطبها ... حجى ملك ندب شمائله عف
سمي ختام الانبياء محمد ... اذا وصف الاملاك جل عن الوصف
فمن اجله يوم الثلاثاء عدوة ... وقد نفض الا صباح حبل عرى السجف
بكى جبلا وادي سليط فاعولا ... على النفر العبدان والعصبة الغلف
دعاهم صريح الحين فاجتمعوا له ... كما اجتمع الجعلان للبعر في وقف
فما كان الا أن رماهم ببعضها ... فولوا على اعقاب مهزولة كشف
كأن مساعير الموالي عليهم ... شواهين جادت للغرانيق بالنسف
بنفسي تانين الوغى حين صممت ... الى الجبل المشحون صفا على صف
يقول ابن يوليش لموسى وقدوني ... ارى الموت قدامي وتحتي ومن خلفي
قتلنا لهم الفا والفا ومثلها ... والفا والفا بعد الف الى الف
سوى من طواه النهر في مسلحبه ... فاغرق فيه او تدأدأ من جرف

تمام بن علقمة (١٨٤ ـ ٢٨٣هـ = ٨٠١ ـ ٨٩٦م) :

ليست لدينا عنه الا معلومات نزرة جدا ، فقد نظم ارجوزة تاريخية في ذكر افتتاح الاندلس يبدو انه ذكر فيها الاحداث التاريخية بشيء من التفصيل فسجل اسماء ولاتها وخلفائها ووصف ما جرى فيها من الحروب منذ دخول

طارق بن زياد اليها حتى آخر ايام الامير عبدالرحمن بن الحكم (حكم ٢٠٦-٢٣٨هـ)[1] .

وكان تمام عالما اديبا . ويظهر انه كان من المهتمين الاوائل بالتأليف في التاريخ الادبي الاندلسي . وقد اعتمد ابن دحية في ترجمته للغزال على كتاب لتمام بن علقمة يبدو انه كان في التاريخ الادبي الاندلسي[2] . وكان تمام من حجاب عبدالرحمن الداخل ، وجهه ، مرة ، مع بدر مولاه في جيش الى طليطلة وتزوج تمام ابنة شخص اسباني يدعى رومانوس كان قومسا لاندلوسيا (اي منطقة جنوب اسبانيا) في عهد القوط[3] .

شعراء آخرون :

ومن شعراء هذا القرن : مؤمن بن سعيد الذى كان يهاجي عباس بن فرناس (انظر عنه : تاريخ الادب الاندلسي عصر سيادة قرطبة ص١٢٣-١٢٧ والمصادر التي اعتمد عليها) ومنهم احمد بن محمد الكناني الذي كان يهاجي مؤمن بن سعيد (المغرب ٥٨/٢) . ومقدم بن معافي القبري مبتكر الموشحات (جذوة ص ٣٣٣) . وهشام بن عبدالعزيز ، وزير الامير محمد قتله الامير المنذر سنة ٢٧٣هـ (انظر اخباره في : البيان المغرب ١٥٣/٢-١٥٤ و١٥٦ و١٦٠-١٦١ و١٦٤ و١٦٦ و١٧٣-١٧٥) وعبدالملك بن فهد ، توفي سنة ٣٠٨ (انظر : ابن الفرضي ٢٢٨/١) . ومنهم عبدالمطلب بن حبيب (البيان المغرب ١٦٤/٢-١٦٥) وابن عبد ربه الذي كان يمثل الاتجاه المحافظ في هذا العصر (انظر عنه : نفح - ط . احسان عباس - ٤٩/٧-٥٣ وابن حيان ص ٤١-٤٤) وعبيديس بن محمود الكاتب الشاعر (ابن حيان : المقتبس ص ٩-١١ وص ٤٤-٤٥) .

واحمد بن عيسى بن يحيى بن يحيى ثلاثة ابن ابي عيسى وهو الملقب بالثائر (المقتبس ص٨) ومحمد بن يحيي القلفاط (المصدر نفسه

ص ١٢–١٣ وص٤٨ و١٣٢–١٣٣ والمغرب ١/١١١) وموسى بن محمد بن جدير المعروف بالزاهد (المقبس ص٣٤–٣٥) وابو بكر عبادة الشاعر وكان اخباريا ايضا ، على ما يبدو ، فقد نقل عنه ابن حيان بعض الاخبار (ن٠م٠ ص٣٠ و٣٥ و٦١ و٦٢ و١٠٥) واسماعيل بن بدر (ن٠م٠ ص٤٥) واحمد بن ابراهيم بن قلزم (ن٠م٠ ص٤٧) وقاسم بن عبدالواحد العجلي قتل غيلة اواخر سنة (٢٩٣) او صدر سنة (٢٩٤) (ن٠م٠ ص ٤٧) وسعيد بن عبد ربه وهو ابن اخي ابي عمر احمد بن عبد ربه (ن٠م٠ ص٤٧) واسحاق بن اسماعيل المعروف بالمنادي لان اول ما قال هو قوله : (ن٠م٠ ص ٤٨) ٠

قف بالطلول الدارسات فنادي   اين الظباء السالبات فؤادي

وسعيد بن عبد القبط واخوه (ن٠م٠ ص٤٨) وعباس بن ناصح الثقفي الجزيري (المغرب ١/٣٢٤–٣٢٥) وابو مروان عامر بن كليب (توفي ٢٧٥هـ) (المغرب ١/٩٤–٩٥) وابو محمد عبدالله بن بكر بن سابق الكلاعي وقيل البكري المعروف بالنذل (المغرب ١/١١٣–١١٤) وابو عبد الملك عثمان بن المثنى القيسي القرطبي (المغرب ١/١١٢–١١٣) وعبدالملك بن احمد بن عيسى بن شهيد مولى بني امية (المغرب ١/٧٧–٧٨) وابو الربيع سليمان بن محمد بن اصبغ بن وانسوس (المغرب ١/٣٦٢) وبشر بن حبيب بن الوليد ابن حبيب المعروف بدحون (المغرب ١/٦٢–٦٣) وابو عثمان سعيد بن الفرج المعروف بالرشاش مولى بني امية القرطبي اللغوي (المغرب ١/١١٤–١١٥) وابو مروان عبدالملك بن حبيب (مطمح الانفس ص ٣٦–٣٧) ومحمد بن عبدالعزيز العتبي (المغرب ١/١٣٤ والبيان المغرب ٢/١٦٩) وعبيدالله بن يحيى ابن ادريس (المقبس ١٤٣) ٠

ومن شعراء المعلمين : زيد بن ربيع بن سليمان الحجرى المعروف

يزيد البارد (ن٠م٠ ص٤٨) ومحمد بن اسماعيل المؤدب (ن٠م ص ٤٨) وعفير بن مسعود (ن٠م٠ ص ٤٩) وعبدالله بن الشمر شاعر عبدالرحمن بن الحكم (ابن عذاري ٢/١٢٨ و ١٣٧-١٣٩) وصفوان بن العباس (ابن عذاري ٢/١٤٢) والعكي (ن٠م ٢/١٧٩-١٨٠) وابن قلزم (ن٠م ٢/٢١٠) ٠

ومن الشعراء الادباء : عبدالملك بن جهور الوزير وعبدالملك بن عمر بن شهيد الوزير ، ومحمد بن عبدالسلام المعروف بابن قلمون وكان ايضا احد المرسلين البلغاء بالاندلس ، ومن نمطه في الشعر والترسيل عمر واحمد ابنا فرج (ن٠م٠ ص ٤٩-٥٠) ٠

ومن ادباء قريش من أهل بيت الخلافة : المنذر بن عبدالرحمن بن عبدالله بن الامير عبدالرحمن بن الحكم (ن٠م٠ص ٤٥) وملك بن محمد ابن مالك بن عبدالله بن عبدالملك بن عمر بن مروان بن الحكم المعروف بالمرواني ومحمد وعمر ابنا ابراهيم بن عبدالرحمن بن معاوية بن المنذر القرشي المعروفان بابني المصنوع ، وابنا أبي صفوان القرشيان أبو بكر احمد بن عثمان بن أبي صفوان واخوه (ن٠م٠ ص ٤٦) ٠

ومن الشعراء الفرسان سوار بن حمدون المحاربي القيسي زعيم العرب الثائرين ضد المولدين في كورة البيرة وجيان ورية وغيرها (ن٠م٠ ص ٥٥ - ٥٦) وسعيد بن جودي الذي ذكرنا خبره وبعض شعره ٠

ومن الشعراء الاخرين : عبدالله شاعر الموازنة أو (الهوازنة) (؟) (ن٠م٠ ص ٨٥) وابن أبي أيوب (ن٠م٠ ص ١٣٨) وعبيدالله بن يحيى بن ادريس (ن٠م٠ ص ١٤٣) ٠

ومن الامراءالامويين الشعراء خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين: عبدالرحمن الداخل وقد مر ذكره (حكم ١٣٨-١٧٢هـ) والحكم بن هشام بن عبدالرحمن (حكم ١٨٠ - ٢٠٦هـ) له اشعار كثيرة في الربضيين الثائرين

عليه لم يصلنا منها الا القليل (ابن عذارى ٢/١٢٠) وانظر شعرا له في الفخر والحماسة في ابن عذاري : ٢/١٠٧–١٠٨ وفي الغزل ٢/١١٨–١٢٠

وعبدالرحمن بن الحكم (حكم ٢٠٦ – ٢٣٨ هـ) (ابن عذاري ٢/١٣٥ وانظر شعرا مرتجلا له ص ١٣٨ و ١٣٩ – ١٤٠) .

وعبدالله بن محمد (حكم ٢٧٥ – ٣٠٠ هـ) : انظر شعره في ابن عذاري ٢/٢٣١ – ٢٣٢ وانظر عن ثقافته ابن حيان : المقتبس ص ٣٥ .

ان وجود هذا العدد الكبير من الشعراء في هذا القرن ، دليل آخر على ان الشعر كان مزدهرا فيه ازدهارا كبيرا ، وهو دليل أيضا ، على ضياع الكثرة الكاثرة من شعر هذه الفترة ، وذلك لانه لم يصلنا من اشعار هؤلاء الشعراء الا القليل جدا بالرغم مما وصلنا من اشارات الى أن الكثيرين منهم كانوا غزيري الانتاج ، وكثير من الابيات التي تذكر لبعضهم تقرن باشارة الى أنها من قصيدة طويلة : (انظر مثلا : ابن حيان : المقتبس ص ١٠ و١٢ و١٣ و٤٢ و٤٣ و٤٤ و٤٥ و٤٧ و٤٨ و٥٦ و٥٨ و٦٤ و٦٥ و٩٧ و٩٩ و١٠٢ و١٢٤ و١٣٢ و ١٤٤) .

هوامش عباس بن فرناس

(*) انظر عنه ، اضافة الى المصادر المذكورة في الهوامش : الثعالبي : يتيمة الدهر ١٦/٢ حيث جاء اسمه مصحفاً هكذا « عباس بن قرماس » والحميدي : جذوة رقم (٧٣١) والضبي ٤١٨ وابن حيان : المقتبس ١٤٤ ونفح (ط· احسان عباس)١/١٦٢ و ٣/١٣٣ و ٣٧٤ و ٣٧٥ ود· احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسي — عصر سيادة قرطبه ٣٩ و ٨٦ وعبدالحميد العبادي : صور وبحوث من التاريخ الاسلامي· وجرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية (ط· دار الهلال بمصر ١٩٥٧) ٢/٤٠٠ والزركلي : الاعلام (الطبعة الثانية) ٤/٣٧ ومجلة المقتبس المجلد السادس ص١٦٥ ود· بتول سعيد « حكيم الاندلس » في مجلة الاقلام — بغداد — الجزء الثالث ، السنة الثالثة ١٩٦٦ ص٥٣ — ٥٩ وغرسية غومس : الشعر الاندلسي ص٣١ وبالينثيا ٥٨ وليفي بروفنسال : أدب الاندلس وتاريخها ٦ و :

E. Levi - Provençal, Historia de España, t. IV P. 174, t. V, P. 185.

Id. La Civilizacion arabe en España, Buenos Aires, 1953, P. 73.

Al-Andalus, 1960, P. 239.

A. Gonzalez Palencia, El Islam y Occidente, PP. 48 - 9.

(١) المغرب ١/٣٣٣

(٢) ابن عذاري : البيان المغرب ٢/١٦٦ — ١٦٨ وطبعة كولان وليفي بروفنسان ٢/١١١ — ١١٢

هوامش تمام بن علقمه

(١) الحلة السيراء ١/١٤٤ وانظر بالينثيا ص٥ و ٥٦ — ٥٧

(٢) انظر المطرب ص١٣٣

(٣) ابن عذاري ٢/٧٢ و ٧٩ والحلة السيراء ١/١٤٤ هامش (٢) وبالينثيا ص٦٠٣

الفصل التاسع

الموشح

تعريفه واجزاؤه

للحديث عن نشأة الموشح وما فيها من خلاف له اهمية كبيرة في تقرير اصالة هذا الضرب من الشعر الغنائي العربي ، لابد لنا من المام سريع بطبيعة الموشح واجزائه .

الموشح في اللغة هو اسم مفعول من الفعل وشح المرأة اى البسها الوشاح وهو سير ينسج من اديم عريض ويرصع بالجواهر وتشده المرأة بين عاتقها وكشحيها .

وهو ايضا عقد يتكون من سلكين من اللآلئ لكل منهما لون خاص .

وهو في الاصطلاح الادبي نوع من النظم يتألف من فقرات تسمى اغصانا هي عبارة عن اشطار ابيات شعرية بعدد معين وقافية واحدة ، ويعقب كل فقرة قفل مكون من اشطار في نفس البحر ولكنه بقافية مختلفة تلزم في كل الاقفال ، اما الاغصان فقوافيها قد تختلف ولكنها لا تكون الا من نفس البحر .

وكأن الاصطلاح ينظر الى الشبه القائم بين طريقة تأليف القوافي في الموشحة وبين هذا العقد[1] .

اجزاء الموشح :

ليس هناك اتفاق بين الباحثين القدامى ولا المحدثين على تسمية اجزاء الموشح . وسنعتمد في بيان هذه الاجزاء على ابن سناء الملك وعلى ما اختاره د. مصطفى عوض الكريم في كتابه « فن التوشيح » لوضوح مضامين المصطلحات التي تبناها فيه[2] .

ينقسم الموشح الى الاجزاء التالية :

١ ـ المطلع أو المذهب ، ٢ ـ الدور ، ٣ ـ السمط ، ٤ ـ القفل ٥ ـ البيت ، ٦ ـ الغصن ، ٧ ـ الخرجة .

ونوضح فيما يلي المقصود بكل من هذه المصطلحات :

المطلع او (المذهب) :

هو المجموعة الاولى من أشطر الموشحة ، واقل ما تكون من شطرين. وقافيته تلتزم في كل اقفال الموشحة . وليس المطلع ركنا أساسيا في الموشح. ذلك لانه يجوز حذفه . فان وجد في الموشح فهو « موشح تام » وان حذف فهو « موشح أقرع » .

الــدور :

هو مجموع الاشطر التي تعقب المطلع ، في الموشح التام ، وتكون من نفس بحر المطلع ولكن بقافية مختلفة عن قافيته ، تلتزم في أشطر الدور الواحد .

السـمط :

كل شطر من أشطر الدور يسمى سمطا . وقد يكون السـمط مفردا ، أي مكونا من فقرة واحدة ، وقد يكون مركبا من فقرتين أو أكثر .

القفــل :

هو مجموع الاشطر التي تلي الدور وفي نفس بحره ولكن بقافية مختلفة . وليس لاقفال الموشحة عدد محدد ولكن الاغلب فيها أن تكون من خمسة اقفال .

البيـت :

يتألف البيت في الموشحة من الدور مع القفل الذي يليه .

الغصـن :

هو الشطر الواحد من المطلع او القفل أو الخرجة .

الخرجـــة :

هي آخر قفل في الموشح ، وهي أهم جزء فيه ، وبدونها وبـــدون الاقفال لا يستوفى الموشح شروطه وهي الجزء الوحيد من الموشح الذي يستحسن فيه اللحن ، الا اذا كـــان الموشـــح للمدح ، أو كانت الخرجة « غزلة جدا » أو مستعارة من خرجة مشـــهورة ، أو تكون بيت شـــعر مضمنا ، فيستحسن عندئذ أن تكون فصيحة .

وهاك موشحا نتبعه بتخطيط نوضح لك فيه الاجزاء التي يتكون منها :
قال ابن زهر[٣] :

ايها الساقي اليك المشتكـــى   قـــد دعوناك وان لـــم تسمـــع

ونديـــم همت في غرتـــه
وشربت الراح من راحتـــه
كلما اســـتيقظ من سكرته

جـــذب الزق اليـــه واتكـــى   وسقاني اربعـــا في اربـــع

غصن بان مال من حيث استوى
بات من يهواه من فرط الجوى
خـــافق الاحشـــاء موهون القوى

كلما فـــكرت في البـــين بـــكى   مـــالـــه يبـــكي لما لم يقـــع ؟

ليس لي صبر ولا لي جلد
يا لقومـــي عذلوا واجتهدوا
أنكروا شكواي ممـــا أجـــد

مثل حالي حقـــه أن يشتكي   كمـــد اليأس وذل الطمـــع

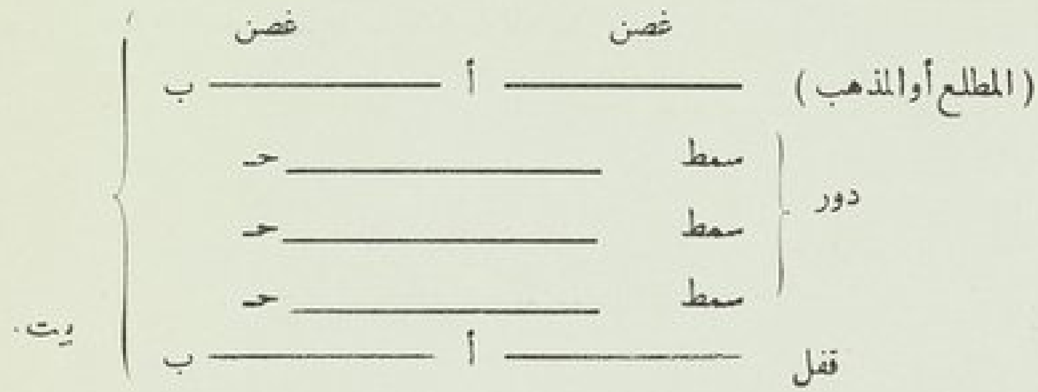
ما لعيني عشيت بالنظر
أنكرت بعدك ضوء القمر
واذا ما شئت فاسمع خبرى

شقيت عيناي من طول البكى   وبكى بعضي على بعضي معي

كبد حرى ودمع يكف
يعرف الذنب ولا يعترف
أيها المعرض عما أصف

قد نما حبك عندي وزكا   لا يظن الحب اني مدعي

وتبدو أجزاء هذا المرشح في التخطيط التالي :



أما خرجته فهي قوله :

قد نما حبك عندي وزكا   لا يظن الحب اني مدعي

وقد يكون المطلع مؤلفا من ثلاثة أغصان أو أربعة ، وهذا هو الغالب في الموشحات ، ولكن هناك بعض الموشحات تجاوزت أغصانها هذا العدد الى عشرة أغصان واحد عشر غصنا (٤) . وعدد أغصان المطلع يتكرر في كل قفل من أقفاله وفي خرجته وبنفس القوافي .

والاعم الاغلب في أبيات الموشحة أن تكون خمسة أبيات وقد تصل الى سبعة .

هوامش
الفصل التاسع

(١) انظر : بالينثيا ص١٤٣ و ١٥٤ و د. مصطفى عوض الكريم ص١٧ و ١٨

(٢) انظر : فن التوشيح ص١٩ - ٣٣

(٣) وردت هذه الموشحة مع اختلاف ، في : المغرب ٢٦٧/١ - ٢٦٨ ودار الطراز ص٧٣ - ٧٤ والمطرب ص٢٠٥ - ٢٠٦ ومعجم الادباء (ط. مرجليوث) ٢٢/٧ - ٢٣ وانظر عن محمد بن عبدالملك بن زهر، اضافة الى المصادر المذكورة ، رايات ص١٣ وزاد المسافر ص٢٩ ونفح (ط. محيي الدين) ١٦/٣ و ١٩٨/٤ و ٢٠٨ و ٢٢٠/٩ و٢٢١ و ٢٢٢ وأزهار الرياض ٢٠٧/٢ والعلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين ص١١٦ ومخطوطة « انسان العيون » الورقة ١٨١ - ١٨٤

(٤) انظر : دار الطراز ص٩٦ و ٩٧

الفصل العاشر

نشأة الموشح

لا يزال الغموض يحف بنشأة الموشحات والزمن الذي ظهرت فيه لاول مرة والشخص الذي ابتكرها .

أما مبتكرها والزمن الذي ابتكرت فيه ، فقد اختلف فيه الباحثون القدامى فقيل ان مخترعها هو محمد بن حمود القبري الضرير[1] الذي نجهل هويته والعصر الذي عاش فيه . وقيل ان ابن عبد ربه صاحب كتاب العقد الفريد هو أول من سبق الى نظم الموشحات [2] . وعزا ابن خلدون اختراعها الى مقدم بن معافى الفريرى من شعراء الامير عبدالله بن محمد المروانى[3] (حكم من ٢٧٥ - ٣٠٠ هـ) في حين يقول ابن سعيد المغربي في كتابه (المقتطف من ازاهير الطرف) ان الحجارى ذكر في كتابه (المسهب في غرائب المغرب) ان مخترع الموشحات بجزيرة الاندلس هو مقدم بن معافى القبرى من شعراء عبدالله المرواني ، وعنه أخذه أبو عمر احمد بن عبد ربه صاحب العقد [4] .

ولكن الرأي الغالب بين الباحثين يميل الى اعتبار مقدم بن معافي القبرى هو المخترع الاول للموشحات .

ولم يصلنا شيء من نظم مقدم هذا نستدل به على طبيعة الموشحات الاولى ، ولكن الراجح انها كانت من طراز تغلب عليه البساطة التعبيرية .

نقطة الخلاف في اصل الموشح :

ولا يزال الخلاف قائما بين الباحثين المحدثين حول الاصل الذي نشأ عنه الموشح . الا ان الشيء الذي بات مؤكدا هو ان الموشحات ابتكار اندلسي وليست من مبتكرات المشارقة العرب . ولكن الخلاف ، الان ، يدور حول المسألة التالية :

هل الموشح تطوير للشعر العربي المشرقي أو هو متأثر بأنماط من

الاشعار الاسبانية التي كانت شائعة بين الاسبان الخاضعين للحكم العربي ؟ أو هو تقليد لانواع من الاغاني الشعبية الاسبانية التي كانت ذائعة بين الاسبان الذين كانوا يعايشون العرب الاندلسيين ؟

آراء الباحثين في ذلك :

وقد انقسم الباحثون في ذلك الى فريقين : الاول يرى ان الموشح تطوير للشعر العربي المشرقي [٥] . وفريق ثان يعتقد انه تقليد لشعر غنائي أعجمي كان موجودا بين العرب في الاندلس [٦] . وسنحاول فيما يلي أن نعرض بايجاز آراء كل من هذين الفريقين . ثم نتبع ذلك برأي لنا جديد نعتقد ان فيه ما يدعم رأى الفريق الاول ويرجحه ترجيحا قويا ، وان كنا لا نزعم انه كاف تماما للقطع العلمي في هذه القضية الشائكة .

رأي القائلين بان الموشح تطوير للشعر العربي المشرقي :

أما الفريق الاول من الباحثين فقد استند ، في ما ذهب اليه من ان الموشح ما هو الا تطوير للشعر العربي المشرقي ، الى ما تقرره الدراسات الادبية في الشعر العربي المشرقي من وجود محاولات قديمة للخروج على نظام القصيدة ونظام القافية الواحدة . ثم محاولات بعض شعراء القرن الثاني المشارقة الخروج على الاوزان العربية المألوفة في الشعر .

وأقدم مثل للخروج على نظام القافية العربية الواحدة يتجلى في ما يروى عن امرىء القيس في القصيدة المسمطة التي تنسب اليه وهي قوله [٧] :

توهمت من هند معالم اطلال عفاهن طول الدهر في الزمن الخالي
مرابع من هند خلت ومصائف يصيح بمغناها صدى وعوازف
وغيرها هوج الرياح العواصف وكل مسف ثم آخر رادف
باسحم من نوء السماكين هطال

وينسب الى الوليد بن يزيد تجديد جزئي في الوزن والقافية في قطعة رواها له صاحب الاغاني من وزن المجتث • وهو وزن يعتبر جديـــدا لان الجاهليين لم ينظموا فيه الا أبياتا مفردة • ثم ذكر له قطعة من الشـــعر المزدوج لو صحت نسبتها له ، لاعتبر من أقدم الشـــعراء الذين نظموا في هذا النوع الجديد من نظام القوافي [٨] •

يقول الوليد في هذه القطعة :

الحمد لله ولـــي الحمـــد أحمده في يسرنا والجهد

وهو الذي في الكرب استـعين وهو الذي ليس لـه قرين

وكان من أثر شيوع الغناء في القرن الثاني في طبقات المجتمع العربي أن انصرف الشعراء عن الاوزان الطويلة والمعقدة وأقبلوا على الاوزان القصيرة الخفيفة التي تتلاءم مع الغناء وابتكروا أوزانا جديدة لم يكن لها أصل فـــي الشعر القديم ، مثل استحداث المقتضب والمضارع[٩] •

وكانت هناك محاولات عديدة لبعض الشعراء المشارقة في القرن الثاني الهجري خرجوا فيها على الاوزان الشعرية المتوارثة ، كما فعل أبو العتاهية الذي كانت « له أوزان لا تدخل في العروض »[١٠] • والذي وصفه ابـن قتيبة بقوله انه « كان لسرعته وسهولة الشعر عليه ربما قال شعرا موزونا يخرج به عن أعاريض الشعر وأوزان العرب » [١١] •

ويسوق مثلا لذلك بيتين قالهما أبو العتاهيـــة حين كان يجلس عنـد قصار فسمع صوت المدقة فحاكاه في شعره فقال [١٢] :

للمنون دائرات يدرن صرفهـا

هـن ينتقينـــا واحـدا فواحدا

والواقع ان أبا العتاهيـة لم يخرج على أوزان العرب فقط في هـذين

البيتين . بل وخرج أيضا على نظام القافية المتوارثة في الشعر العربي . وتروى له قصيدة اخرى خرج فيها عن الاعارض المعروفة يقول فيها :

عتب ما للخيـــال خبرني ومالـــي

وعندما سئل ، هل تعرف العروض ؟ قال : انا أكبر من العروض[١٣] ،

وهناك شعراء آخرون في هذا القرن جددوا في الاوزان الشعرية ونظموا على غير العروض المتوارث ، منهم : سلم الخاسر ، ورزين بن زند ورد الذي لقب برزين العروضي لكثرة ما يخرج في شعره عن العروض، وحتى انه تروى له قصيدة لم يلتزم فيها القافية[١٤] .

وظهرت انماط من الشعر جديدة تلتزم بالنظام العروضي العربي ولكنها لا تلتزم بنظام القافية الواحدة فيه ، ويتجلى هذا في القصائد المزدوجـة وفي المخمسات والمسمطات . ولقد أكثر شعراء هذا القرن من استخدام المزدوجات في النظم كما نرى في ارجوزة ابي العتاهية (ذات الامثال) ، وفي نظم ابان بن عبدالحميد اللاحقي لكليلة ودمنة الذي يراه يوهان فك مطابقا للمثنـــوى الفارسي تمام المطابقة[١٥] .

ويقول ابن النديم عن أبان ان اكثر شعره مزدوج ومسمط . ولبشر ابن المعتمد نظم في المزدوج أيضا . ومن أوائل من نظموا فيه محمد بن ابراهيم الفزاري في نظمه التعليمي لعلم الفلك . وهو من المزدوج الذي تتألـــف أدواره من ثلاث أبيات متحدة القافية على بحر الرجز . وهنـاك قصيـــدة مخمسة تنسب الى أبي نؤاس[١٦] .

ويميل يوهان فك الى الاعتقاد بصحة ما يروى عن بشار بن برد من انه حاول نظم المزدوج والموشح ، ويرى ان القرن الثاني ربما شهد أيضا نشأة الدوبيت او الرباعي الذي تتحد مصاريعه في القافيـة ما عدا المصراع الثالث ،

ويرى ان هذا القالب يقترن ببشار أيضا وانه كان له أثر عظيم في الشعر الفارسي [١٧] .

في ديوان أبي نؤاس مقطوعة كاملة فيها قواف داخلية متحدة غير القافية الواحدة الموجودة في آخر الابيات ، يقول فيها واصفا الخمر [١٨] .

سلاف دن كشمس دجن كدمع جفن كخمر عدن
طبيخ شمس كلون ورس ربيب فرس حليف سجن

وقد التزم الوليد بن يزيد ، قبل هذا ، قوافي داخلية في أحدى قصائده التي يصف فيها لهوه ومجونه ، يقول فيها :[١٩] .

أحب الغناء وشرب الطلاء وانس النساء ورب السور
ودل الغواني وعرف القيان بصبح يماني قبيل السحر

ويرى يوهان فك في هذه القوافي المصرعة في داخل ابيات القصيدة تجديدا في النظام الموسيقى للقصيدة العربية في القرن الثاني .

ولدينا رواية تشير ، ان صحت ، الى ان محاولات قد جرت للتخلص من القوافي نفسها ، كما حاولوا التخلص من الاوزان في محاولات أخرى . فابن رشيق يسوق مقطوعة لابي نؤاس ليس لها قافية ، وهي تشبه ما يعرف في أيامنا هذه باسم الشعر المرسل [٢٠] او الشعر الحر .

كل هذا يشير ، بل يؤكد ، في نظر بعض الباحثين ان الموشح تطوير للشعر العربي المشرقي .

ولقد حاول الدكتور فؤاد رجائي أن يثبت ان نقل زرياب لطريقة الغناء المشرقية على أصول النوبة الى الاندلس كان له تأثير كبير في التمهيد لاختراع الموشحات . ذلك ان الاندلسيين شغفوا بطريقة النوبة الغنائية

هذه التي أشاعها بينهم زرياب ، وتتمثل هذه الطريقة في أن يجتمع عدد من المغنين فيغنى كل منهم ، حينما تأتي نوبته ، عددا من الابيات على لحن واحد ولكن بايقاع وقافية مختلفين •

ويرى الدكتور رجائي ان هذه الطريقة دفعت أحد الشعراء الاندلسيين الى اختراع طريقة جديدة يضمن المقطوعة الشعرية فيها عدة الوان من البحور والقوافي ، كما هو الشأن في النوبة الغنائية ، ليهيء بذلك ، مقطوعات شعرية شبيهة بالنوبة ، جاهزة للغناء ، فيريح بهذا المغنى من مشقة اختيار الاشعار • وهكذا نشأت الانماط الاولى من الموشحات تشبه المقطوعات الشعرية التي كانت تغنى ، ولكنها من تأليف شاعر واحد لاعدة شعراء كما هو الامر في النوبة (٢١) •

ومن القائلين بان الموشحات عربية الاصل المستشرق نيكل وهو يؤكد أيضا على الاهتمام بدراسة العلاقة بين اللحن والكلمات في موضوع الموشحات واصولها • (٢٢)

ورأى المستشرق الالماني هارتمان ان التوشيح لم يكن الا أحياءاً لفن التسميط الذي ينسب الى شعراء الجاهلية (٢٣)•

راي القائلين بان الموشح نشا تقليدا لضرب من الاغاني الشعبية الاسبانية :

أما القائلون بان الموشحات نشأت نتيجة لتقليد الاندلسيين لضرب من الشعر الغنائي عجمي ، فكثيرون منهم المستشرق الاسباني خوليان ريبيرا (٢٤) وتلميذه المستشرق الاسباني المعاصر غرسيه غومس (٢٥) والبحاثة الاسباني منندث بيلايو (٢٦)• وهناك طائفة كبيرة من الباحثين العرب ذهبت هذا المذهب منهم الدكتور عبدالعزيز الاهواني في كتابه (الزجل في الاندلس) والدكتور مصطفى عوض الكريم في كتابه (فن التوشيح) وبطرس البستاني في كتابه (ادباء العرب في الاندلس وعصر الانبعاث)(٢٧) •

وحجج هؤلاء في ذلك ان الموشح يختلف عن فنون الشعر العربي المشرقية لانه انما صنع من اجل الغناء ، وشيوع الاوزان التي لا تجري على العروض العربي في الموشح دليل آخر على رابطة القربى القوية بينه وبين الشعر الاعجمي ، ثم ابتكار الموشح في الاندلس وحذق الاندلسيين له دون المشارقة دليل أيضا على انه أعجمي الاصل وانه تقليد لشعر غنائي اعجمي كان شائعا بين العرب الاندلسيين والاسبان المتعايشين معهم (٢٨) •

وقد عزز هذا الفريق حججه بعد ان اكتشفت مجموعة من الخرجات الاعجمية في كتاب (عدة الجليس ومؤانسة الوزير والرئيس) لعلي بن بشرى الغرناطي (القرن الثامن او التاسع الهجرى) • وبلغ مجموع هذه الخرجات الاعجمية ستا وعشرين خرجة • وكانت قبل هذا قد اكتشفت مجموعة أخرى من الخرجات الاعجمية في موشحات عبرية نظمها صموئيل ابن نغراله وسليمان بن جبيرول وموسى بن عزرا ويهودا هاليفي وغيرهم • وكانت خرجات بعض الموشحات العبرية في عامية اندلسية وفي لغة أعجمية (أي اسبانية قديمة) •

وقد قام عدد من العلماء بدراسات طريفة لهذه الخرجات من ذلك الدراسة التي قام بها الاستاذ شتيرن Stern ونشرها في مجلة الاندلس (العدد ١٣ سنة ١٩٤٨) • ودراسات المستشرق الاسباني غرسيه غومس المنشورة في نفس المجلة (الاعداد ١٤ و١٥ و١٧ و١٩ ، سنة ١٩٤٩ و١٩٥٠ و١٩٥٢ و١٩٥٤ على التوالي) •

وقد وجدت نفس الخرجة الاعجمية في موشحتين احداهما عربية والاخرى عبرية ، فرأى غرسيه غومس في هذا ، ان وجود نفس الخرجة في موشحة عربية وفي أخرى عبرية في قصيدتين مختلفتين لشاعرين مختلفين يؤيد ما ذهبنا اليه من أن هذه الخرجات عبارة عن أغان قصيرة باللهجة

الرومانسية كانت معروفة من قبل (أي قبل تضمينها في الموشحات العربية والعبرية) وانه على هذه الاغاني بنيت الموشحات »[٢٩] •

وهذه هي أقوى الحجج التي يسوقها هذا الفريق من الباحثين القائلين بأن أصل الموشح أعجمي ، فهم يرون ان الوشاحين الاوائل الذين ابتكروا الموشحات لاول مرة قد قلدوا ، بموشحاتهم ، شعرا اعجميا كان الشعب الاسباني يتغنى به ، فحاول الشعراء العرب أن ينظموا على نهجه فابتكروا الموشحات • وان أقوى دليل ، في نظرهم ، على ذلك شيوع هذه الخرجات الاعجمية في الموشحات العربية • وعندهم ان هذه الخرجات الاعجمية لايمكن تعليل وجودها في الموشح العربي الفصيح الا بانها كانت من بقايا أغان شعبية في اللغة الرومانثية (اي الاسبانية القديمة) وانتقلت الى الموشح العربي او العبري عن طريق تقليد الوشاحين لتلك الاغاني التي لم تصلنا نصوصها ، لانها لم تكن من الادب المكتوب بل من الاغاني التي تعيش في قلوب الناس وتتناقلها أفواههم • فان لم يكن الامر كذلك فما هي الحاجة ، اذن ، الى استعمال تلك الخرجات الاعجمية في الموشح الفصيح ؟*

راينا في الموضوع :

والذي يبدو لنا انه مالم تصلنا نصوص تؤيد هذا الافتراض فانه يبقى افتراضا وزعما لا يصلان الى مرتبة اليقين ، لاسيما وان لدينا تعليلا آخر لوجود هذه الخرجات الاعجمية في الموشح نراه لا يقل عن ذلك التعليل في قوته ان لم يزد عليه قوة ورجحانا • واليك هذا التعليل :

من المرجح بين الباحثين ان الموشحة أسبق في ظهورها من الزجل وان الزجل ما هو الا تقليد لها، وان الوشاحين الاوائل كانوا ينظمون اولا الخرجة باللفظ العامي أو العجمي ويسمونها المركز ثم يضعون عليها الموشحة باللغة العربية الفصحى ، فبماذا نعلل استعمال الالفاظ والجمل الاعجمية في جزء

من شعر عربي فصيح ؟ سبب ذلك في نظرنا ، انه لما كان العربي يمثل العنصر الارستقراطي المسيطر في الاندلس فكان من الطبيعي ان تحاول الغانيات الاسبانيات التقرب منه بالود واظهار الحب لترجو منزلة أفضل بين صاحباته أو جواريه ، ويبدو أن تغزل المرأة بالرجل كان ظاهرة شائعة بين الاسبانيات المستعربات ، أي اللاتي كن يعشن بين العرب الاندلسيين ، فأتى الوشاحون وعبروا في موشحاتهم عن هذه الظاهرة بان نقلوا كلام الفتاة المتغزل بها وبألفاظها الاعجمية ، لان ذلك أقرب الى الطبيعة واشد تأثيرا في نفوس السامعين . أو هم على الاصح لم ينقلوا كلام الفتاة وانما تصوروا ان فتاة من الاعاجم في مثل هذا الموقف الذي يصفونه يمكن ان تقول هذا القول الذي يقولونه على لسانها ويستعيرون لادائه الفاظها ولغتها الاعجمية ليكون النظم ادخل في باب الظرف وافعل في النفس .

وربما يفسر لنا هذا لماذا لم يثر هذا العمل ثائرة المحافظين الحريصين على الفصحى ، بل على العكس من ذلك فقد انصرف الى التوشيح اشد الشعراء محافظة وهو ابن عبد ربه الذي يشك بعض الباحثين المحدثين في أن تكون له علاقة بالتوشيح لما عرف عنه من تعلق بالتراث الشعري المشرقي وتقليده له .**

واذ كان العرب الاندلسيون يجيدون اللغة الاعجمية ويشاركون الاعاجم في التحدث بها ، كان من الطبيعي أن يتذوقوا هذا الاسلوب التعبيري في ذلك النمط من الغناء المبتكر على شكل موشحة .

واذا كان صحيحا ان اسلوب الخرجات الاعجمية هذه ينحو نحوا قليل النظير في الادب العربي اذ انه يعبر عن مشاعر فتاة تتغزل بفتاها وتعلن حبها له وتصرح بشوقها اليه ، وهذا اسلوب يخالف الظاهرة المألوفة في الشعر العربي الذي تبدو فيه الفتاة المتغزل بها ذات دل وخفر يزينها الخجل

والتمنع وترفع من منزلتها الهيبة والوقار[٣٠] ، اذا كان هـذا صحيحا فان لهذا الاسلوب نظيرا ، على أي حال ، في شـعر عمر بن أبي ربيعـة ، ومن الطبيعي أن يتخذ سابقة يقيس عليها الشعراء الاندلسيون في شـعرهم ، ولا سيما في الاشـعار التي تنظم أصلا للغنـاء • واختلاف الخرجـة ، في مضمونها هذا ، عن سنة الشعر العربي ، يمكن أن يعتبر تطويرا لاسلوب عمر بن أبي ربيعة ونهجه الغزلي • فاذا كان هو قد اكتفى بنقل مضمـون الكلام الغزلي الذي كانت صاحباته يوجهنه اليه ، فان الوشاحين الاندلسيين نقلوا المضمون واطاره اللغوي معا ، لان ظروف المجتمع الاندلسي تسمـح بذلك بل تتطلبه وتستظرفه •

والظاهرة الغالبة على كل الخرجات الاعجمية تقريبا انها تتضمن ذكر الفتاة وأمها • وهذا يذكرنا باشعار بشار بن برد التي يعرض لنا فيها حوارا غزليا بينه وبين صاحباته يرد فيه ذكر امهاتهن أيضا[٣١] •

وشيوع ذكر الفتاة وامها في الخرجة يعزز ما ذهبنا اليه ، ذلك لان من المألوف عند الاعاجـم أن تتحدث الفتـاة مـع امهـا حـول حبهـا فتشكو لها ما تلقى فيه وتطلب منهـا أن تعينهـا عليـه ، فلا بد أن تتحدث اليهـا بلهجتهـا الخاصـة ولغتهـا الام ، فمـن الطبيعي أن ينقـل الوشـاح هـذا الحوار بين الفتـاة وأمهـا ، أو مـا يتصوره منـه ، ينقله بلهجتها وبنفس لغتها • وهو في هذا يشبه ما يفعله القصاص العربـي المعاصر حينما يريد أن يصور الجو الطبيعي الذي يدور فيه حوار قصتـه فنراه يلجأ الى استخدام جمل عامية يسوقها بين مئات الصفحات باللغـة الفصحى ، ليضفي بذلك على قصته جوا واقعيا بعيدا عن التكلف •

ويزداد تعليلنا قـوة اذا ما علمنـا ان أكثر ما تجعل الخرجات « على السنة الصبيان والنسوان والسكرى والسكران »[٣٢] • ومضمون الخرجات

الاعجمية يتفق تماما مع ما يسود في مجالس الخمر والغناء وجوهما الصاخب الذي تتخلى فيه السكرى عما قد يكون بقي لها من وقار أو خجل فيكون تغزلها الصريح واعلانها اشتياقها الى من تحب شيئا طبيعيا ومفهوما اضافة الى ما جرت عليه العادة بين الاعاجم من عدم التحرج في الاخذ بحديث الحب والتعبير عما يشيعه في النفس من أحاسيس .

وخلاصة القول في أمر نشأة الموشحات وأصولها ان الرأي لم يستقر بعد على شيء قاطع جازم في ذلك ، وان لكل من الرأيين المتعارضين الذين فصلناهما حججه القوية وادلته الناصعة ولا يمكن ، حتى الآن ، ترجيح أحدهما على الآخر أو القطع بصحته وفساد الثاني ، ما لم تتوفر لدينا نصوص جديدة واضحة لا تقبل التأويل أو الاختلاف في التفسير وتكون بجانب أحد الرأيين دون الاخر ، وان بدا ان الطابع الغالب على كل من الموشحة والزجل يوحي بانهما ثمرة فريدة رائعة للامتزاج الطويل بين الثقافتين الاسبانية والعربية (٣٣) .

هوامش
الفصل العاشر

* نشر هذا البحث في مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد الثامن عشر سنة ١٩٦٩ بعنوان « آراء في الموشح » ٠

(١) ابن بسام الذخيرة ، القسم الاول ، المجلد الثاني ص١ ، وجاء ذكره في جذوة المقتبس ص٨٦ باسم محمد بن محمود المكفوف القبرى ، وقال عنه (أديب شاعر) ٠ وذكره بنفس هذه الصورة ابن سعيد في المغرب ١٠٩/١ والضبي ص١٢١ ٠ وذكره الثعالبي (اليتيمة ٣٠/٢) باسم المكفوف محمد بن محمود بن ايوب القبري ٠

(٢) ابن بسام : ن٠م ص١ – ٢ وقد نقل ابن شاكر كلام ابن بسام هذا بنصه (فوات ٤٢٥/١) ٠

(٣) ابن خلدون : المقدمة ص٥٨٤

(٤) ابن سعيد : المقتطف ص٤٧٧ ، والمقرى : ازهار الرياض ٢٥٣/٢ ، وقد جاء ذكر مقدم بن معافى المذكور ، في ترجمة مقتضبة له في جذوة المقتبس ص٣٣٣ ترجمة رقم ٨٣٣ ، وانظر : فن التوشيح ص٩٨ ٠

(٥) من هؤلاء الباحثين نيكل وهارتمان في كتابيهما :

R.A. Nykl, Hispano arabic poetry , Baltimore, 1946.
M. Hartmann, Das arabische strophengedicht :
O, Das Muwassah, Weimar, 1897.

ومنهم المستشرق فرايتاغ ٠ ولقد يبدو ان يوهان فك يميل الى هذا الرأي أيضا ، انظر كتابه : (العربية) ص٩٥ – ٩٨ و ص١٨٥–١٩٠

ومن الباحثين العرب الذين يرون هذا الرأي د٠ فؤاد رجائي في كتابه (الموشحات الاندلسية) انظر بشكل خاص ص١٢٥ – ١٢٦ ود٠ احسان عباس في كتابه (تاريخ الادب الاندلسي) – عصر الطوائف والمرابطين) انظر ص ٢٢١ – ٢٢٧ ، و د٠ شوقي ضيف (العصر العباسي الاول) ص١٩٩ – ٢٠٠

(٦) من هؤلاء الباحثين : بطرس البستاني في كتابه (أدباء العرب في الاندلس وعصر الانبعاث) ص١٧٠ ، و د٠ مصطفى عوض الكريم : (فن التوشيح) ص١٠٩ و ١١١ و ١١٨ و د٠ عبدالعزيز الاهواني : (الزجل في الاندلس) ص٢٢ و ٥٠ – ٥١ ٠ ومن الغربيين : ريبيرا ومننذث بيلايو وغرسيه غومس ٠

وقد اشار د. مصطفى عوض الكريم في « فن التوشيح ص ١٠٧ » الى ان بيدال من القائلين « بان الموشحات ما هي الا تقليد لشعر غنائي عجمي » . والواقع ان بيدال لا يقول بذلك وانما هو يقرر ان الشعر العربي والشعر الاوربي لابد من تاثر احدهما بالآخر ، ثم يؤكـد اصالة الشعر الغنائي الاندلسي ويبين تاثير الزجل العربي في الزجل القشتالي وفي الاغاني الشعبية التي تشيع في المسرح الاسباني الكلاسيكي ، ثم يؤكد اخيرا ان الاغنية البروفنسية لا يمكن أن تكون قد ولدت دون تاثر مهم بالشعر الغنائي الاندلسي .

انظر :

M. Pidal, Poesia arabe, PP. 56, 66, 71, 76, 78, 69.
Idem, España eslabon., PP.12-13, 19.

وانظر ايضا : د. عبدالرحمن بدوي : دور العرب في تكوين الفكر الاوربي ص ١٨ .

(٧) ابن رشيق : العمدة ١٧٩/١ ، وانظر : مختار الصحاح مادة (سمط)، وهدارة ص٥٤٣ ، و :

J. Ribera, Disertaciones ..., I, P. 49.
M. Hartmann, op. cit. P. 209.

(نقلا عن ريبيرا : المصدر المذكور ص٤٩) .

(٨) هـداره ص٥٣٨

(٩) ن.م ص٥٤٠

(١٠) الاغـاني ١٣/٤

(١١) هـدارة ص٥٤٠

(١٢) ن. م.

(١٣) الاغـاني ١٣/٤

(١٤) هـدارة ص٥٤٢

(١٥) العربية ص٩٦ وهدارة ص٥٤٣ والبستاني ص١٦٧

(١٦) هـدارة ص٥٤٣ ـ ٥٤٤

(١٧) العربية ص٩٨ وهدارة ص٥٤٥

(١٨) هدارة ص٥٤٦ ـ ٥٤٧

(١٩) ن. م. ص٥٤٧

(٢٠) ن٠ م٠ ص٥٤٨ - ٥٤٩

(٢١) فؤاد رجائي ص١٢٥ - ١٢٦

(٢٢) فن التوشيح ص١١٦ - ١١٧

(٢٣) الاهواني ص٥ هامش (٢)

(٢٤) انظـــر :

J. Ribera, Disertaciones ..., I, PP. 49-55.

(٢٥) انظـــر :

E. Garcia Gomez, Mas sobre las (jaryas) romances en (Muwassahas) hebreas. Al-Andalus, XIV, 1949, pp. 409-417.

E. Garcia Gomez, Nuevas observaciones sobre las '' Jaryas'' romances en muwassahas hebreas. Al-Andalus XV, 1950, pp. 157-177.

—— Sobre un posible tercer tipo de poesia arabigoandaluza. Estudios dedicados a Menendez pidal. Tirada aparte, tomo 11. Madrid, 1951.

—— Veinticuatro Jaryas romances en Muwassahas. Al-Andalus XVII, 1952 pp. 57-127.

—— Poesia arabigoandaluza-Breve sintesis historica, Madrid, 1952, p. 51.

—— La muwassaha de Ibn Baqui de Cordoba Al-Andalus XIX, pp. 43-52.

—— Dos nuevas jaryas romances (XXV , XXVI) en muwassahas arabes ... Al-Andalus, XIX, 1954, pp. 369-391.

(٢٦) انظـــر :

Menendez Pelayo, p. 71.

(٢٧) انظر الهامش رقم (٦)

(٢٨) وقد فصل د. مصطفى عوض الكريم الحديث في هذا الموضوع في : (فن التوشيح) ص١٠٧ – ١١٩

(٢٩) فن التوشيح ص١٠٩

(*) انظر تفاصيل الآراء التي عرضها د. عبدالعزيز الاهواني محاولا أن يثبت بها ان الخرجات الاعجمية ما هي الا بقايا من أغان شعبية اسبانية قديمة (الزجل في الاندلس ص ٢ـ٥١ وانظر بشكل خاص الصفحات ٢و٧و٢٩ـ٣٠ و ٤٧ـ٥١)

وانظر ايضا التفاصيل الدقيقة التي عرضها « بيدال » حول الاصل المشترك للموشح والشعر الغنائي البروفنسي وتأثير احدهما في الاخر وأوجه التشابه والاختلاف بينهما وآراء الباحثين المختلفة في الموضوع ومناقشته لها ، في :

M. Pidal, Poesia arabe ..., pp. 15-17, 24-70.

وقد اطلعت مؤخرا على رأي لهلال ناجي في تفسير وجود الخرجات الاعجمية في الموشح ، خلاصته ان الخرجات الرومانية في الموشحات الاندلسية كتبها الوشاحون الاندلسيون الذين كانوا يحسنون اللغتين العربية والرومانية الدارجة ليملحوا بها الموشحة ويطعموها بالفاظ أعجمية على غرار ما فعل قبلهم المشارقة فيما يسمى في الشعر المشرقي (الملمع) الذي جمع فيه الشعراء بين اللغتين العربية والفارسية . فالخرجات الاعجمية من تاليف الوشاحين العرب وليست مقتبسة من الشعر الغنائي الروماني (انظر : لسان الدين ابن الخطيب : جيش التوشيح – تحقيق هلال ناجي ـ تونس ١٩٦٧ ، ص ٤) . ولكن هذا لا يفسر لماذا ظهر الموشح في الاندلس ولم يظهر في المشرق ، ولماذا لم تشع التعابير الاعجمية في الموشحة كلها بل اقتصرت على خرجتها فقط ؟

(**) انظر : فن التوشيح ص ١١٢ .

(٣٠) انظر :

R. M. Pidal, Poesia arabe..., PP. 24-5.

وبالينثيا ص١٥٥ ـ ١٥٦

(٣١) انظر : الاغاني ـ ط. القاهرة ١٩٠٤ ، ج(٣) ص٣٥ ، والخالديان: المختار من شعر بشار (مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة بدون سنة) . ص٢٠٦

(٣٢) ابن سناء الملك ص٣١

(٣٣) انني ازعم ان التعليل الذي عرضته في هذا البحث لظاهرة وجـود الخرجات الاعجمية في الموشح ، وهي المشكلة الاساسية فيـــه ، تعليل لم اسبق اليه وهو يقوي حجة القائلين بان الموشح تطويـــر للشعر العربي المشرقي ولكنه لا يقطع بصحتها لان القطع بذلـــك يحتاج الى نصوص لم تتوفر حتى الان ٠

الفصل الحادى عشر

من مظاهر التأثير العربي
فى الثقافة الأسبانية

لتراثنا العربي الاسلامي ، في اسبانيا اليوم ، آثار شاخصة شامخة تروى قصة حضارة حفظت للانسانية تراثها القديم واضافت اليه من عبقريتها واصالتها رونقا وبهاء[١] . ولاتزال اصداء هذه الآثار الحضارية تتردد في انحاء العالم المختلفة مجتذبة اليها السياح وعلماء الآثار والحضارة على السواء . ان اسبانيا بصفتها بلداً سياحياً ، لم تقم شهرتها الا على هذه الآثار العربية الاسلامية الرائعة وما تشيعه في الزائرين لها من جلال وخشوع * .

والشيء الجميل حقا هو ان عامة الشعب الاسباني اليوم تعرف من تاريخ هذه الآثار واهميتها مالا يكاد يعرفه كثير من المثقفين في بلاد الشرق العربي . وقد يكون فيما يقصه عليك اسباني من اوساط الناس ، عن هذا التاريخ المجيد ، بعض القصص التي تبدو عليها مسحة الاساطير وقد يشوبها بعض التناقض الذى لا يستطيع له تبريراً ، ولكن الغالب ، فيما يرونه من معلومات عن تلك الآثار انها صحيحة تاريخيا ، او معتمدة ، على الاقل ، على روايات علماء ومؤرخين متخصصين في دراسة تلك الآثار ، وان ذهبت فيها آراؤهم مذهباً لا يؤيدهم فيه البحث العلمي المتجرد .

ومما يسر العربي في اسبانيا غاية السرور ، أنه كثيرا ما يجد من بين المثقفين الاسبان من يعتز بنسبه العربي[٢] او من يحمل لقبا عائليا عربيا صريحا مثل (بني امية) او ممتزجا بكلمة اسبانية يكون معها لقبا يشير بوضوح الى امتزاج العنصر العربي في عائلته الاسبانية ، مثل (بني كوميث) . وتشيع بين الاسبان ، اليوم ، سماء عربية صريحة ، مثل : فاطمة ، ونورية ، وبكر ، وحسن أو مترجمة عن العربية ترجمة حرفية مثل : (عطية الله) .

وفي الحقيقة ان التأثيرات والشواهد التاريخية والحضارية العربية ، في اسبانيا ، ليست مقتصرة على بقايا آثارنا أو اطلالها هنالك وانما هي ظاهرة شائعة في اخلاق القوم وطباعهم وعاداتهم بل وحتى في دمائهم وسحناتهم . وانك لتشعر

بينهم انك في بلاد عربية ، وانهم ليتصورونك مواطنـا اسـبانيا من الجنوب او الشـمال •

واود ان اعرض هنا بعض الجوانب من هذه التأثيرات العربية في اسبانيا ، يظهر منها الى اى مدى قد اثر العرب الاندلسيون في الثقافة الاسبانية وفي الكيان الاسباني العام •

ان اول مظهر لهذا التأثير العربي في الحياة اليومية الاسبانية يتجلى بوضوح في اللغة الاسبانية الحديثة • فعلى الرغم عن المحاولات التي قامت بصورة رسمية ومدروسة ، في اواخر القرون الوسطى واوائل العصور الحديثة لدراسة المفردات الاسبانية واستخراج الكلمات العربية التي كانت شائعة فيها ، والاستعاضة عنها بما يمكن ان يؤدى مفهومها ، ولو بصورة تقريبية ، من المفـردات اللاتينيـة ، وعلى الرغم من القوانين التي صدرت بتحريم استعمال الالفاظ العربية في الاسبانيـة، اقول على الرغم من هذا كله ، لايزال في اللغة الاسبانية اليوم أكثر من سبعة عشر بالمائة من مفرداتها عربي الاصل • وهذا يشكل اكثر من اربعة الاف كلمة • « اما بناء العبارة واوضاع الكلام في الاسبانية فلم تؤثر فيه العربية » •

وها هنا بعض من هـذه الـكلمات اعرضها لتـكون فكرة التأثير العربي في الاسبانية واضحة في الاذهان :

القطن	algodon	الناعور • ناعور	anoria
طاحونـة	tahona	الزيتونة	aceituna
طائفـة	taifa	الزيت	aceite
تمر هندي	tamorindo	المخـدة	almohada
تبر (ذهب خالص)	tíbar	شراب	jarabe
ثمـرة	támara	قميص	camisa
ناعـور	noria	الساقية	acequia

ومعظم اسماء الورود في الاسبانية مأخوذ عن العربية مثل :

زنبق	sampaquita
ياسمين	jazmín
السوسن	azucena
الدفلى	adelfa

ومن التأثيرات العربية القوية الواضحة في اللغة الاسبانية صوت الخاء j, ge, gi والثاء z, ce, ci فاللغة الاسبانية هي الوحيدة من اللغات اللاتينية التي فيها هذان الحرفان • وهما يردان بكلماتها بكثرة ، حتى انه في بعض المناطق من جنوب اسبانيا التي لاتزال تعرف بـ (اندلسيا) يتلفظون حرف (S) = س ثاءاً ايضا ، في كل الكلمات التي يرد فيها • ودخلت اداة التعريف العربية (ال) في كثير من الكلمات الاسبانية واصبحت جزءا لا يتجزأ منها ، حتى آن البعض قرر ان كل كلمة اسبانية تبدأ بهذين الحرفين al = (ال) هي عربية الاصل[٣] • ولكن هذه دعوى يضعفها وجود كثير من الكلمات الاسبانية المبتدئة بهذين الحرفين دون ان يمكننا ارجاعها الى اصل عربي ، بأى شكل من الاشكال •

ولم يقتصر التأثير العربي في اللغة الاسبانية على مفردات اللغة ، بل تعداه الى تركيات وتعابير لغوية كثيرة ترجمت حرفيا عن العربية لتعبر عن نفس المعنى في الاسبانية • واذا كانت المفردات الاسبانية ذات الاصول العربية قد حظيت بعناية العلماء ، فان هذه التعابير الاسبانية المترجمة حرفيا عن العربية لم تحظ باية دراسة حتى الآن •

وقد قمت ، شخصيا ، بمحاولة لجمع هذه التعابير فتوفر لدى منها حوالي

اربعين تعبيرا حتى الآن . والظاهرة الغريبة في هذه التعابير هي ان كثيرا منها ليس ترجمة عن العربية الفصحى وانما هو ترجمـــة حرفيـة لتعابير عامية شائعة في لهجتنا العراقية وهذه ظاهرة جديرة بالاستقصاء والدراسة .

من هذه التعابير مثلا :

من يمته وجاي ؟	De cuando acá ?
انگوم ونگع	Cayendo y levantando
عايشين ، ماشين [جوابا على سؤال : كيف انتم ؟]	Viviendo, andando
هذا الطعام او الدواء يوگع له	Esta comida (medicina) le cae bien.
صوف من صوف (اى صوف جيد)	Una lana de lana.
اشلون فاينه سوى بيه	Que faena me ha hecho.
عنده سبع ارواح مثل البزون	Tiene siete vidas como los gatos

الشر التعرفه خير من الخير اللي ما تعرفه

Más vale malo conocido que bueno por conocer.

الهواء بارد ايگص گص	hace un viento que corta.

ويظهر لي ان لتفسير هذه الظاهرة احتمالين : فاما ان تكون هذه التعابير مترجمة عن لهجة عربية كانت شائعة في الاندلس ، وقد نزحت تلك اللهجة مع من نزح من الاندلسيين الى العراق ، فاستقرت فيه ووصلتنا الى هذا العصر ، أو ان هذه التعابير كانت معروفة في لهجة اسبانية كانت شائعة بين الاسبان من سكان الاندلس العربي ، تأثرت بها اللهجة العربية الاندلسية في منطقـــة من مناطقها ، وانتقلت مع من هاجر الى الشرق العربي من الاندلسيين ، بسـبب الاهوال التي تعرض لها السكان العرب في اسبانيا ابان ما يسمى بحرب الاسترداد .

وهناك طائفة ليست بالقليلة من الامثال الاسبانية تشبه ، في معناها ومبناها ، امثالا بالعربية الفصحى وباللهجة الاندلسية ، وربما وجدنا لبعضها مشابها في اللهجة العراقية مع تغير بعض كلماتها ** .

اما المدن والقرى العربية الاندلسية فلاتزال محتفظة باسمائها العربية حتى اليوم • من ذلك مثلا مدينة « بلد الوليد » ، وقد اصبح اسمها في الاسبانية Valladolid وهو اسم يطلق على مقاطعة كبيرة من مقاطعات اسبانيا ، وعلى مركز هذه المقاطعة • ومثل : بني ابراهيم ، وبني سليم ، وبني خيرون ، وبني عمر ، وبني درم ، وقلعة ايوب(٤) الى عشرات بل مئات من القرى والاماكن الاخرى التي لاتزال تحتفظ باسمائها العربية على السن الاسبان • واسم (مدريد) نفسها محرف عن الاسم الذى اطلقه عليها العرب اول دخولهم الى اسبانيا ، فقد وجدوا في منطقتها مجرى ماء ، فاطلقوا على القرية التي عليه كلمة (مجرى) ، وتحولت هذه الكلمة بمرور الزمن الى (مجريط) ثم الى مدريد(٥)•

وتبدو المؤثرات العربية في كثير من جوانب الحياة الاجتماعية الاسبانية المعاصرة • من ذلك أنهم عندما يذكرون اسم المتوفى في حفل جنائزى يقولون « رحمه الله »(٦) •

وعندما يلتقي صديقان حميمان يعانق احدهما الآخر بأن يضمه الى صدره ويربت على كتفه وهذه عادة عربية لاتزال شائعة الى اليوم ، في البلاد العربية • وجاء في قصة « السيد El Cid » : « ان التحية تكون بتقبيل الكتف ، وهي عبارة اندلسية(٧) • ولاتزال التحية بين الاعراب عندنا بتقبيل الكتف •

وكان الاسبان في القرن الثاني عشر الميلادي يتيمنون اذا طار الغراب عن يمين الطريق الى يساره فان هذا كان يعني عندهم فألا حسناً*** • وهذا الاعتقاد ، بلاشك ، نسخة طبق الأصل من الاعتقاد العربي المتمثل بتيمن العرب بالسانح وتشاؤمهم بالبارح •

وتفرض العادة على الاسباني عندما يأكل امام آخرين أن يعرض عليهم ان يشاركوه في الاكل ، وعليهم ، بحكم العادة أيضا ، ان يعتذروا قائلين له ما معناه : « ليكن هنيئا لك الاكل » • وهذه عادة عربية أصيلة تدل على كرم النفس وسمو الذوق الاجتماعي • وهي بالضبط ، العادة المعروفة

عندما في العراق خاصة ، وبين الاوساط الشعبية على الاخص ، فان المرء لا يأكل امام آخرين الا بعد ان يقول لهم عارضا عليهم الاكل معه : « تفضلوا » فيجيبونه ، في العادة : « عافيات » او « بالعافية » .

وعندما يعزم احد الاسبان على أمر يريد ان يفعله ويخبر بعزمه هذا احد معارفه يقول : « سافعل كذا ان شاء الله » وهذه ، كما هو معلوم، عادة عربية اسلامية ، نابعة من آداب القرآن الكريم اذ أدب المسلمين بقوله تعالى « وما تشاءون الا ان يشاء الله » .

وعندما تسأل احدهم : من انت ؟ يجيب : خادمك فلان . وكلمة « فلان » هذه لا تزال مستعملة في الاسبانية الحديثة بنفس لفظها العربي (fulano) وبنفس المعنى . واسجل ، هنا ، ظاهرة اخرى في الاسبانية مشابهة تماما لظاهرة في اللهجة العراقية تلك هي استعمال كلمات لا معنى لها ولكن وقعها وقافيتها منسجمان مع كلمة اخرى قبلها ، ونستعمل هذه الكلمات لتكثير المعنى واطالة الحديث . مثال ذلك قولنا : فلان وعلان ، او فلان وفلتان ، كذلك يقال في الاسبانية :

Fulano y Mengano

او : Fulano, Zutano y Mengano

وللحديث عن مؤنثة غير معينة يقال : فلانه = Fulana

اما عن الاثر العربي في الثقافة الاسبانية والاوربية فكان أول من اشار اليه الاب الاسباني خوان ندريس (في القرن الثامن عشر) . فقد الف هذا الاب اليسوعي كتابا بالايطالية بين سنتي ١٧٨٢ و ١٧٩٨ وسماه « اصول الادب عامة وتطوراته وحالته الراهنة » . وترجم الى الاسبانية بين سنتي ١٧٨٤ ـ ١٨٠٦ ، اكد فيه « ان الفضل في قيام الدراسات الطبية في اوربا يرجع الى ما كتبه العرب » . وذهب فيه الى « ان قيام التأليف العلمي في اوربا

(في الطب والرياضيات والعلوم الطبيعية) مرجعه الى العرب » . وأن رايموندو لوليو مدين للادب العربي في كثير ، وان اعلام الطب الاوربي قبل النهضة ... انما نهلوا من كتب العرب ... وان ديكارت اخذ عن اعلام الفكر والجدل الاسلاميين مبدأه الرئيسي الذى يقول : « ان من يستطيع ان يفكر فهو موجود »[٨] .

اما عن تأثر اسبانيا خاصة بالفكر العربي فقد قال « ان الشعر الاسباني انما نشأ ـ اول امره ـ تقليدا لشعر العرب ... وان اختلاط النصارى والمسلمين كان من الطبيعي ان يدفع الاول الى تقليد الآخرين » . واكد « ان قواعد التقفية التي اتبعها الشعر الشعبي ـ اسبانيا كان او بروفنسيا ـ واساليب صياغة الشعر الحديث ونظمه انما هي مأخوذة عن العرب ... وان موسيقى التروبادور وآراء الفونسو العالم في هذا الفن عربية كلها ، وكذلك اللون القصصي المعروف بالفابلو (fabliaux = الخرافات) والحكايات والقصص ترجع في مناشئها الى اصول عربية ... »[٩] .

ان هذه الآراء التي قال بها الاب خوان اندريس لم تكن معتمدة على بحث يستند الى مراجع وبيانات وثائقية ، وانما كانت مجرد حدس واستنتاج . على ان البحث العلمي الذى قام به نخبة من المستشرقين الاسبان بعده اثبت معظم ما ذهب اليه ، وصار الكثير من آرائه تلك من الحقائق المقررة علميا .

وكانت مدرسة المترجمين الطليطليين من اهم العوامل التي ساعدت على تعريف الاسبان ، خاصة ، والاوروبيين عامة ، بالثقافة العربية . اذ ان العلاقات بين المسلمين والنصارى في الاندلس لم تكن مقتصرة على الحرب بل كانت بينهما صلات سلمية ايضا . وعن طريق هذه الصلات عرف الاسبان

الشماليون ما كان للعرب في الجنوب من نظم سياسية وادارية ودينية وتجارية وتنبهوا الى اهميتها ومالوا الى النسج على منوالها[١٠] .

وعندما تمكن الاسبان خلال حربهم الطويلة مع العرب ، من احتلال طليطلة عام ٤٧٨/١٠٨٥ وتقرر بذلك مصير الجزيرة ، اخذ ملوك قشتالة يعملون على نقل كنوز الثقافة الاسلامية الى لغاتهم ليتمكنوا من رفع مستوى الثقافة بين شعبهم . ولهذا اسست في طليطلة « مدرسة المترجمين » المشهورة التي اشتغلت بنقل الثقافة العربية الاسلامية بما فيها من العلوم الاغريقية وما اضافه اليها العرب من شروح وتعليقات ، الى المدارس الاوربية[١٠] .

وقد اصبحت طليطلة بفضل هذه المدرسة ، المركز الذى انتشرت منه الثقافة العربية في اسبانيا وباقي نواحي اوربا . وتمت في اكناف هذه المدرسة ترجمة عيون المؤلفات العربية في الرياضيات والفلك والطب والكيمياء والطبيعة والتاريخ الطبيعي وما وراء الطبيعة وعلم النفس والمنطق والسياسة[١١] .

ولقد انعقد اجماع الباحثين المحدثين على ان الفلاسفة النصارى الذين اتبعوا مذهب ارسطوا في العصور الوسطى كانوا يدينون بالشيء الكثير لمن ترجم آثار هذا الفيلسوف وشرحها من العرب[١٢] .

وقد بين كل من الاستاذ ريبيرا والاستاذ آسين من بعده ان رايموندو لوليو (٦٣٢/١٢٣٥ - ٧١٤/١٣١٥) الصوفي الاسباني الذى كان الناس ينسبون اليه ابتداع مذهب الاشراق ، انما كان اعتماده على الكتاب المسلمين عامة ، وعلى ابن عربي (٥٦٠/١١٦٤ - ٦٣٨/١٢٤٠) خاصة ، بشكل ثبت انه متبع فيه للتصوف الاسلامي وليس مبتدعا للمذهب الاشراقي ، كما كان يعتقد . فقد كان هذا الصوفي النصراني متمكنا من العربية ، واسع الاطلاع على ما كتبه اهلها . وكان « يستعمل العربية في مجادلاته مع المسلمين وفي التبشير

في المغرب ، وكان يكتب بالعربية كما يكتب بلغته القطلونية ، وقد كتب مؤلفه المسمى « كتاب الكافر والعلماء الثلاثة » بالعربية اولا ثم ترجمه بنفسه الى القطلونية وعنها نقل الى العبرية واللاتينية والفرنسية والاسبانية »[١٣] ولم يتحرج هو نفسه من ان يعترف بانه يستعير في كتاباته الصوفية من المتصوفية المسلمين ، وحتى انه يستعمل نفس المصطلحات التي يستعملها المتصوفـة المسلمون[١٤] .

وفي الادب الاسباني تظهر التأثيرات العربية قوية باجلى مظاهرها في الشكل والمضمون جميعا . فقد كـان اول ما عرفت اوربا ، من القصص المستقى من اصول عربية هو كتاب « تعليم رجال الدين » لمؤلف من اهـل وشقة يهودى الاصل كان اسمه موسى سفردى . وتشير الدلائل الى انـه كتب كتابه هـذا باللغـة العربيـة اولا ثم ترجمه بنفسه الى اللاتينية . وهو يورد في كتابه هذا ثلاثا وثلاثين اقصوصة شرقية ، نقلها عن حنين بن اسحق وكليلة ودمنة والسندباد . وهو يقرر فيه صراحـة ، انه صنفه من امثال فلاسفة العرب وحكمهم . وقد تأثر بهذا الكتاب ادباء اسبان كثيرون مثـل دون خوان مانويل في كتابه (الكوندى لوكانور) وثرفانتيس في حكايـة العنزات التي قصها سانجو على الدون كيخوته ليلـة الطواحين وفي قصـة العجوز الغيور ، ومثل نائب اسقف هيتا وغيرهم كثيرون[١٥] .

ولقد اقر مؤرخو الادب الاسباني انفسهم بما يدين بـه دون خوان مانويل للاداب العربية . فقد قرر شيخ النقاد الاسبان منندث بلايو انه « اول اديب صاحب اسلوب نثرى من كتابنا في العصور الوسطى قد نهل وروي من موارد عربية » . واثبت المستشرق الاسباني الكبير آسين بلاثيوس ان الكتاب المسمى « مجادلة الحمار للاب اسيلمودى تورميدا » ، ان هو الا ترجمـة

حرفية – في احيان كثيرة – لفقرات من مجادلة الحيوانات لبني آدم الواردة في (رسائل اخوان الصفاء) »[16] .

وتشيع في الادب الاسباني ، قبل نهاية القرن السابع عشر ، قصص كثيرة لا تدع مجالا للشك في ان هناك علاقة قوية بينها وبين صورة من الصورة التي كانت ذائعة من « الف ليلة وليلة » .

وقد قرر منندث بلايو أن حكاية « الفتاة تيودور Doncella Teodor » يمكن القول ، عن يقين ، بانها اخذت عن الف ليلة وليلة . وهذه الحكاية هي قصة كوميدية الفها لوبي دى فيكا (توفي سنة ١٦٣٥) « على اساس (حكاية الجارية تودد) المعروفة في الف ليلة وليلة ، بل هو يساير الحكاية العربية جزءا جزءا . والاسم نفسه هو (تودد) محرفا ، لان اسم الفتاة تيودور Teodor كان يكتب اولا هكذا Tudor ولو كتبنا هذه الصورة بالعربية لكانت : تودر »[17] و (كتاب الحيوانات) للوليو ما هو الا صورة لحكاية « المرأة الفضولية والديك » التي نجدها في مقدمة « الف ليلة »[18] وقد الفه لولبو على مثال الكتاب العربي المعروف كليلة ودمنة فاخذ عنه قالبه الخرافي وكثيرا من الحكايات[19] .

ومن الممكن ان يكون هيكل « حكاية الملك الذى فقد كل شيء » قد اخذ عن الاصل الذى نشأت عنه « قصة الفارس السفار » ، حوالي (١٣٠٠م) ، اذ يقول مؤلفها فرآند مرتينث في مقدمته لها انها ترجمت من العربية الى عجمية اهل الاندلس . وقد اشار الاستاذ س.ف. فاجنر في بحثه عن مصادر هذه القصة الشعرية ، الى ان الجزء التهذيبي منها الذى يدور حول النصائح والامثال الاخلاقية منقول بحذافيره عن اصل عربي[20] .

ويؤكد المستشرق الاسباني كونثالث بالنثيا ان هيكل هذه القصة

اضافة الى هذا الجزء الثانوى الذى اشرنا اليه ، مأخوذ من « الف ليلة » ، فاسماء ابطال القصة نفسها واضحة التحريف عن الاسماء العربية الذائعة[٢١] .

ومن الامور التي شغلت الباحثين الاسبان اوجه الشبه الدقيق بين قصة « حي بن يقظان »[٢٢] لابن طفيل (ولد قبل سنة ٥٠٦هـ/١١١٠م وتوفي في سنة ٥٨٠هـ/١١٨٥م) والفصول الاولى من قصة El Criticon (الكريتيكون = الناقد) لكراثيان بلتا سار (١٦٠١ - ١٦٥٨)[٢٣] . وكان اول من اشار الى هذا التشابه القوى بينهما اليسوعي بارتلوم بو ، في القرن الثامن عشر . ثم جاء الناقد الاسباني الكبير مينندث پلايو وحلل اوجه التشابه هذا في مقدمته لترجمة پونس بويجس لقصة حي التي ترجمها عن العربية مباشرة[٢٤] .

ثم جاء د.ك. بتروف ونفى ان تكون قصة حي مصدرا اخذ عنه كراثيان الفصول الاولى لروايته المذكورة . وقد ذكر هذا الرأى في تعليقه على الترجمة الروسية لرسالة حي بن يقظان ، التي قام بها ج. كوزمين ، ونشرها بطرسبرج سنة ١٩٢٠[٢٥] . الا ان المستشرق الاسباني المعاصر الاستاذ گارثيا گوميث اثبت ان كلا من گراثيان وابن طفيل قد حذا ، في قصته ، حذو قصة موريسكيه اخرى، مؤلفها مجهول ، كانت مصدرا مشتركا لكليهما ، تلك هي « قصة الصنم والملك وابنته » ، وهي احدى الاساطير التي نسجت حول شخصية الاسكندر الاكبر[٢٦] .

وفي قصص الكوندي لوكانور El Conde Lucanor تأثير لا سبيل الى انكاره بقصصنا الشعبي العربي المتمثل في « الف ليلة وليلة » ، وبالاطار الفني لقصص « كليلة ودمنة » الشهيرة ، والتي لم يكن اثرها بعيدا عميقا في

الادب الاسباني فحسب[٢٧] ، بل في آداب كل الشعوب الحديثة الاخرى ، كما يؤكد ذلك مينندث پيلايو[٢٨] .

يتألف كتاب الكوندى لوكانور من خمسة اقسام ، اهمها هو القسم الاول الذي يتكون من خمسين قصة كل منها لها مغزى تهذيبي وتعليمي ، وتنتهي ببيتين من الشعر فيهما تلخيص مركز لمغزى القصة او الحكمة المرادة منها . وترتبط هذه القصص الخمسون ببعضها برباط بسيط هو ان رجلا من النبلاء ، هو الكوندى لوكانور ، يسأل مستشاره الحكيم باترونيو Patronio في مناسبات مختلفة ، يسأله ان يسدى اليه بعض النصائح وان يفتيه في بعض الامور ، فيسوق هذا الحكيم اجابته ونصائحه على شكل قصص مختلفة يدور بعضها على السن الحيوان كما هو الحال في كليلة ودمنة ، اذ يسأل الملك دبشليم فيلسوفه بيدبا بعض النصائح فيسوق الفيلسوف اجوبته قصصا على ألسن الحيوان ، كما هو معلوم .

وتتردد في قصص الكوندى لوكانور شخصيات عربية واسلامية مثل المعتمد والرميكية ، وصلاح الدين ، والحكم امير قرطبة . والقصص التي تكون هذه الشخصيات ابطالا لها ، في هذا الكتاب ، لا تدع مجالا للشك في أنها قصص مستمدة من اصول ومراجع عربية[٢٩] .

وبين مقامات الحريري (عاش من ٤٤٦/١٠٥٤ الى ٥١٥/١١٢٢) والقصص المعروف في الادب الاسباني باسم « قصص الصعاليك » La novela picaresca ، شبه عظيم يستلفت النظر ويثير الاهتمام . فقد انتشرت مقامات الحريرى في الاندلس وكان لها صدى بعيد بين ادبائه دفع نفرا منهم الى ان ينسج على منوالها . وكان اكبر شراح هذه المقامات في العالم الاسلامي اندلسيا من شريش هو ابو العباس احمد بن عبدالمؤمن الشريشي (المتوفي سنة ٦١٨/١٢٢٢)[٣٠] .

ان قصص الصعاليك نمط اصيل من انماط الادب الاسباني ، وكنموذج لها نذكر قصة اللاثار يليو دي تورميس التي تدور حوادثها حول متشرد او صعلوك Pícaro يبحث عن حظه في هذه الحياة فيقوم بخدمة اسياد مختلفين ويطلع على معايبهم التي تكون موضوعا لانتقاداته اللاذعة وهو رجل عديم الحياء لانه جوعان « ولا يمكن ان يكون الجوع والحياء صديقين ابدا »[٣١] .

فهي نمط من القصص فيه انتقادات اجتماعية ونشوؤم من الحياة . ولشخصيات قصص الصعاليك هذه نماذج سابقة عليها في كتاب « الحب الطيب » لآرثيبر يستي دى هيتا (منتصف القرن الرابع عشر) وفي مسرحية « القوادة » (نهاية القرن الخامس عشر)[٣٢] .

ويرى الاستاذ منندث بيلايو[٣٣] ان حياة ابي زيد السروجي ، بطل مقامات الحريري ، نموذج حقيقي لقصص الصعالك الاسبانية ، وسابقة طليعية لشخصية قزمان الفرج Guzmán de Alfarache وايستيبا نيلليو كونثالث Estibanillo González وهما بطلان لقصتين من قصص الصعالك الاسبانية كتبتا سنة ١٥٩٩ و ١٦٤٦ .

ويتبين مما عرضنا ، انه لا يستبعد ان تكون هناك علاقة تأثير بين ذلك الاثر الادبي العربي وهذا الطراز من القصص الاسباني ، وعلى اى حال ، فهذا موضوع جدير بالدراسة[٣٤] .

وتأثير الزجل والموشح الاندلسي في الشعر الاسباني والفرنسي ، بخاصة ، وفي الشعر الاوربي بعامة ، امر معترف به بين المستشرقين الاسبان انفسهم .

ويتجلى التأثير العربي واضحا في كثير من ازجال الادب الاسباني الوسيط التي نظمها ادباء اسبان لهم مكانتهم الكبيرة في ادب امتهم . وقد

كان تركيب هذه الازجال وامر اوزانها يثيران حيرة مؤرخي الادب الاسباني، حتى جاء المستشرق الاسباني ربيرا فاثبت ان معظمها من طراز الازجال الاندلسية . مثال ذلك . كانتيگات = اغاني ، الفونسو العاشر . وقد وصل ربيرا الى نفس هذه النتيجة عندما درس تركيب موسيقى هذه الاغاني ، فاظهر انها هي الاخرى قامت على اساس من الموسيقى الاندلسية الاسلامية(٣٥) . واثبت كذلك انتقال بحور الشعر الاندلسي الى جانب الموسيقى والانغام العربية الى اوربا ، مع الاغنيات التي كانت تغنى بها . فكان ، من الطبيعي ان يكون لها آثار في الطرز الشعرية التي وجدت هناك ،(٣٦) .

ويظهر الاثر العربي واضحاً وقوياً ، كذلك ، عند خوان رويث ، المعروف بـ (ارثيبرستي دى هيتا) اى : نائب الاسقف بناحية هيتا ، (منتصف القرن الرابع عشر) ، وهو أول شاعر غنائي كبير ، في الادب الاسباني وأكبر شخصية شعرية في عصره . ويبدو لنا ذلك بوضوح في مواضيع مختلفة من كتابه المسمى « كتاب الحب الطيب » ، وفي رسمه الالفاظ العربية بحروف لاتينية بدقة لاتدع مجالا للشك في انه كان يفهم العربية بصورة جيدة .(٣٧) وقد اشار الى ذلك أيضاً ، كل من دوزي وانگلمان وايگيلاث في جوامع مفرداتهم(٣٨) .

والشعراء الاسبان الذين استعملوا فن الزجل في اشعارهم كثيرون جداً ، نكتفي بان نذكر ، هنا ، اسماء بعضهم : الفاريث دي فيلياسا نديثو Alvarez de Villasandino ، والراهب ديگو البلنسي Fray Diego de Valencia ، وغرسيه فرنانديث دي خيرينا García Fernández de Jerena ومونتورو Montoro وغيرهم كثير . ومن الدواوين التي تحتوي على قطع من هذا الطراز نذكر

« ديوان باينا » El Cancionero de Baena ، وديواني الشاعرين الفاريث گاتو Alvarez Gato وخيمينيث دى اوريا Jiménez de Urrea وكثير غيرها ، « وهناك ازجال اسبانية اخرى في « اغاني المهود » التي تهدهد الامهات بها اطفالهن »(٣٩) .

وهناك اغنية اسبانية صغيرة استند اليها ربيرا في دراسته لاثر الموسيقى العربية في الاسبانية ، خلال العصور الوسطى ، وهي « انشودة العربيات الثلاث » ، نذكر منها هذه الابيات (ترجمة الدكتور حسين مؤنس) :

عشقت ثلاث فتيات عربيات
في جيان
عائشة وفاطمة ومريم .
ثلاث عربيات بالغات الجمال
ذهبن يجمعن الزيتون
فوجدنه قد جمع في جيان
عائشة وفاطمة ومريم
ثلاث عربيات فياضات بالحيوية
ذهبن يجمعن التفاح
فوجدنه قد جمع في جيان
عائشة وفاطمة ومريم
... الخ ....

((وموضوع هذه الاغنية وموسيقاها يرجعان الى عصر هارون الرشيد ، ومع هذا فقد كان يتغنى بها في أسبانيا في القرن التاسع عشر وتقلتها الى البرتغال في القرن التاسع عشر السيدة ميخايليس فاسكونثليوس))(٤٠) .

وهناك لحن واحد ، على الاقل ، ثبت ، بصورة محققة ، انه كان

ذائعاً بين العرب الاندلسيين في العصور الوسطى ، وقد تخلل في أعماق الموسيقى الاندلسية الشعبية • فقد نشرت الاديبة كارولينا ميخايليس فاسكونثيليوس كتيباً حول اغنية ذاعت بين الشعب في شبه الجزيرة الايبيرية كلها • وقد اثبتت ، في هذا الكتيب ، ذيوع هذه الاغنية والتغني بها في المشاهد التمثيلية والاحتفالات التي كانت تقام في الاعياد الشعبية في زمن الشاعر خيل ڤيثنتي (١٤٦٥ ـ ١٥٣٦) وفي قرون قبله وبعده حتى انها استعملها المسيحيون الاسبان كأغنية من أغاني المهود • وهذا اللحن يرجع في أصوله الى الحان عربية شرقية ، وقد انتقل الى اسبانيا وشاع في بعض الاغاني الاسبانية التي كانت ولا تزال ذائعة ذيوعاً كبيراً بين الشعب الاسباني حتى اليوم [٤١] •

ويؤكد ميندث پيلايو انه ينبغي أن نسلم بانه ، منذ القرن الرابع عشر ، على الاقل ، كان هناك تأثير عميق للموسيقى العربية بين المسيحيين الاسبان ••• وانه لمن الطبيعي أن تنتقل الى الاغاني الاسبانية ، مع الآلات الموسيقية العربية ، ومع الالحان ، كلمات تلك الاغاني العربية التي تأثرت بها الموسيقى الاسبانية [٤٢] •

ولقد بقي هذا الطراز الشعري الاندلسي الذي اخترعه مقدم بن معافى القبري (٢٢٥ ـ ٨٤٠ ، ٢٩٩ ـ ٩١٢) حياً بين الشعراء الاسبان حتى أواسط القرن السابع عشر على اقل تقدير [٤٣] •

وبعد حرب الاسترداد التي احتل فيها الاسبان المدن العربية الاندلسية، كان المسيحيون الاسبان يطربون حين يستمعون الى الموسيقى العربية ويتمتعون بها وبالاغاني العربية غاية التمتع • وفي كتاب « التاريخ اللاتيني » الذي ألفه الامبراطور الفونسو السابع (حكم سنة ١١٢٦ ـ ١١٥٧ م) اشارة تقول انه لما دخل الملك المذكور الى طليطلة سنة ١١٣٧ ،

خرج لاستقباله رؤساء بني سراج ووجهاء اليهود والمسيحيين ، مع شعب طليطلة كله ، وكان الجميع يتغنون ، كل بلغته ، بمدائح ترجو من الله أن يرعى الملك ويسدد أعماله ويوفقه فيها .

وفي تاريخ الفونسو الحادي عشر ، عندما يتكلم على دخول الملك الى اشبيلية يقول : « كان الرجال العرب والنساء العربيات يؤدون ألعاباً عجيبة » ، وهذا يعني ان العرب كانوا ، تحت الحكم الاسباني ، يشاركون في الاحتفالات العامة ، بفنهم من رقص وغناء .

على ان الملوك الاسبان لم يكتفوا بالاستماع الى الموسيقى العربية تعزف في الشوارع والساحات العامة ، بمناسبة الاعياد ، ولكنهم ادخلوها في قصورهم وبلاطاتهم ، وحذوا في ذلك حذو الملوك العرب ، فعينوا المغنين العرب في قصورهم الملكية ، واجروا عليهم الاعطيات . ولدينا اخبار عن كثير من المغنين العرب الذين كانوا يعملون في قصور الملوك الاسبان وملوك البرتغال . فلا ينبغي اذن أن ندهش من تأثير الغناء العربي في الغناء الاسباني بل انه كان الامر يكون غير مفهوم لو لم يكن له تأثير فيه ، كما يقول البحاثة الاسباني مينندث بيدال(٤٤) .

وكانت التقاليد الموسيقية العربية ، في اسبانيا ، في أوج حيويتها ، بين الموريسكيين (العرب المتنصرين) طوال القرن السادس عشر ، وكانت موسيقاهم واغانيهم ورقصهم تثير اعجاب الاخباريين الاسبان أنفسهم ، وهم يقصون علينا اخبارهم . (٤٥)

ولدينا أمثلة على الاسبان الذين تأثروا بالحياة العربية تأثراً قوياً . فقد ورد عن فرانثيسكو ديسكالث ، وهو شيخ أسباني من كوئينتاينا ، انه كان يعيش عيشة العرب : يحتفل بالمناسبات التي يحتفلون بها ، ويغني أغاني عربية ، ويحث جيرانه على صيام رمضان . ويقال انه كان يتجول

من مكان الى آخر وهو يعزف على عوده وبرفقته شخص حديث الدخول الى المسيحية ، كان يساعده ويشترك معه في الغناء والضرب على الدف ، وكانا يغنيان اغنيات يذكرون فيها اسم « محمد » . وكانا مولعين ، خاصة ، بأن يغنيا باللغة العربية أغنية بهذا المعنى : « أيها الناس صوموا في هذا الشهر المبارك كما اعتدتم ان تفعلوا ، لكي تكسبوا الجنة »(٣٦) .

وهناك خبر عن فتى عاشق اسمه بوبرتوكاريرو كن يغني بالعربية اغنية تبدأ هكذا : « يا غرناطة الجميلة ... » .(٤٧)

وعادة الغناء في الشوارع ، ليلا ، شائعة بين كثير من فتياننا ، في هذا العصر ، فهم يتجولون على شكل جماعات يتداولون بينهم ادوار الغناء ، وقد يمرون تحت شباك حبيبة لاحدهم فيتقلون الخطو أو يقفون ويدعون العاشق يتغنى بما يحفظ من اغنيات حديثة أو موال أو مقام ... الخ . هذه العادة انما هي ارث ورثناه عن العرب الاندلسيين ، كما ورثه الاسبان ، اليوم . فقد وصلتنا اخبار عن مصادر اسبانية معاصرة تصف كيف كان الفتيان العرب يتجولون في الشوارع ، ليلا ، وهم يغنون على عزف العود والدف ، وكيف ان منهم من كان يذهب ، في منتصف الليل ، الى الشارع الذي تسكن فيه حبيبته ليغني لها على انغام العود الشجية .(٤٨)

وهذه العادة نفسها شائعة اليوم ، بين الشبان الاسبان ، الا انهم استبدلوا بالعود القيثارة . وان العراقي الذي يعيش فترة في احدى المدن الاسبانية الجنوبية ليشعر ، وهو يسمع الالحان الشعبية العذبة تأتيه من بعيد ، حين يكون مضطجعاً في فراشه ينتظر النوم ، ثم تبدأ بالاقتراب والوضوح ، ثم بالابتعاد ثانية والخفوت ، انه ليشعر وكأنه في بيت في الاعظمية أو في احدى محلات بغداد .

وبعد هذا العرض المركز لبعض مظاهر التأثير العربي في الثقافة

الاسبانية ، أحب ان أبين ان حقول الدراسة فيما يتعلق بالعلاقات العربية الاسبانية حقول واسعة شاسعة ، وفي غاية الخصوبة والثراء . فالتأثيرات المتبادلة بين العرب والاسبان ، والتأثير العربي خاصة ، في اسبانيا وحضارتها وشعبها وتاريخها ، كل هذا يكون مادة غزيرة لدراسات مقارنة تاريخية وأدبية واجتماعية وحضارية وفولكلورية ولغوية ذات أهمية بالغة للعرب والاسبان على السواء . وان في وسع هذه الدراسات ، لو اقيمت على أسس علمية منظمة ، أن توضح مدى فاعلية الشخصية العربية وعمق تأثيرها الحضاري لا في أسبانيا وأوربا فحسب ، بل في كل الاصقاع التي رفرفت عليها الراية العربية الاسلامية . ان اهمال هذه الجوانب من الدراسات الاسلامية لهو اهمال للشخصية العربية ومقوماتها الحضارية . ولئن جاز هذا في دور كنا فيه نرزح تحت النير الاستعماري ، فلن يجوز لنا ، بأي حال من الاحوال ، ونحن في عهد متحرر نحاول فيه أن نبرز ملامح شخصيتنا القومية وعناصر قوتها وجوانب الروعة والابداع فيها ، بعد ان قامت محاولات منظمة ، طيلة عصور تأخرنا ، لطمس مقومات هذه الشخصية وتشويه معالمها والتقليل من دورها الفعال في التراث الانساني المتنامي .

هوامش

الفصل الحادي عشر

• نشر هذا الفصل في مجلة « الاقلام » العراقية ، الجزء العاشر ــ السنة الاولى ، حزيران ١٩٦٥ ، وقد اضيفت اليه هنا بعض الاضافات ·

١ ــ اعترف كثير من المستشرقين بهذه الحقيقة ، منهم : فرانثيسكو كوديرا Francisco Codera انظر كتابه :

Estudios críticos de historia árabe española, Madrid, 1917, pp. 14—15.

٢ ــ انظر:محمد عبدالله عنان :الآثار الاندلسيةالباقيةفي اسبانيا والبرتغال· مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦٢ ، ص ٤٤٠

٣ ــ راجع في هذا :

أ ــ كتابنا بالاشتراك مع الدكتورة بتول العلاف : مفردات اسبانية عربية الاصل ، بغداد ١٩٦٢ ·

ب ــ عنان : الآثار الاندلسية الباقية ص ٤٤١ــ٤٤٣ ·

ج ــ خوزيه اوربانو كاستيللو وفيليب ريكيخو كاريو : اصل اللغة الاسبانية وحيويتها بين اللغات الحديثة ، في « مجلة اللغات » يصدرها معهد اللغات العالي في جامعة بغداد ، العدد الاول ، ١٩٦٤ ، ص ٣٥ــ٤١ ·

د ــ الدكتور خالد الصوفي : تاثير اللغة العربية في اللغة الاسبانية ، في مجلة « المعرفة » العدد السابع ، دمشق ــ ايلول ١٩٦٢ ·

هـ ــ ساطع الحصري : آراء واحاديث في اللغة والادب ، بيروت ١٩٥٨ ص٥٩ــ٦٠ و ١٨٠ــ١٨٤ ·

و ــ احمد امين : قصة الادب في العالم ، القاهرة ١٩٦٠ ، ج٢ ، القسم الاول ص ٧٤ ·

ز ــ طه المدور : بين الديانات والحضارات ، بيروت ١٩٥٦ ، ص٧٣ ·

ح ــ

Julián Ribera ; Historia de la música árabe pp. 253--54

ط ــ

R. Dozy et W.H. Engelmann Glossaire des mots espagnols

ى ـ د٠ عبدالرحمن بدوي : دور العرب في تكوين الفكر الاوربـــي، ص٥٠ – ٥١ و ٥٣ و ٥٧ ـ ٥٨ ٠

ك ـ عباس محمود العقـــاد : اثر العرب في الحضـارة الاوربية ، ص ٧٢ – ٧٣ و ١١٤ ٠

** انظر : د٠ عبدالعزيز الاهواني : امثال العامة في الاندلس ، وخاصة ص٢٥٣ـ٢٦١ ٠

٤ ـ

Miguel Asín Palacios : Contribución a la toponimia árabe de España.

٥ ـ جاء هذا في بحث للباحث الاسباني اوليفر آسين J. Oliver Asín نشره في جريدة (يا) Ya التي تصدر في مدريد ، سنة ١٩٦٠ على ما اذكر ٠ وانظر : د٠ محمود علي مكي : مدريـــد العربيـــة ص٣٥ و ٦٦ـ٦٧ ٠

٦ ـ عنان : المصدر المذكور في الهامش (٢) ص ٤٣٨

٧ ـ المصدر السابق ٠

*** انظر المقطوعة الثانية من ملحمة « السيد » الاسبانية بتحقيق مننديث بيذال ص ١٠٥ (الطبعة الاسبانية) ٠

٨ ـ آنخل جنثالث بالنثيـا : تاريخ الفكر الاندلسي ٠ نقله عن الاسبانية الدكتور حسين مؤنس القاهرة ، ١٩٥٥ ، ص ٥٣٣ـ٥٣٥ وقد اعتمدت فيما كتبته عن التأثير العربي في التصوف والادب الاسباني ، على هذا الكتاب في ترجمته العربية بالدرجة الاولى، وعلى نصه الاسباني التالى :

Angel González Palencia, Historia de la Literatura Arabigo-Española, (Colección Labor no. 164-165). 2a edición. Madrid, 1945.

وسأرمز له في الهوامش بكلمة [بالينثيا] ٠

٩ ـ بالينثيا ص ٥٣٥ ـ ٥٣٦ ٠

١٠ـ المصدر السابق ص ٢٧ ، وانظر R. Menéndez Pidal, España, eslabón entre la cristianidad y el islam, pp. 35-36.

١١ــ بالينثيا ص ٥٣٦ ــ ٥٣٧

١٢ــ المصدر السابق ص ٥٤٣ ٠

١٣ــ المصدر السابق ص ٥٤٩ ــ ٥٥٠ ٠

١٤ــ

Miguel Asín Palacios, El islam cristianizado, (Madrid, 1931), p. 11.

١٥ــ بالينثيا : ص ٥٧٩ ــ ٥٨١ و ٥٩٧ ٠

١٦ــ المصدر السابق ص ٥٨٥ و ٥٨٧ــ٥٨٨ و ٥٨٩ــ٥٩١ ٠

١٧ــ المصدر السابق ص ٥٩٣ــ٥٩٤ وهامش ص ٥٩٤ ٠

١٨ــ المصدر السابق ص ٥٩٥ ٠

١٩ــ المصدر السابق ٥٥٠ ٠

٢٠ــ

Charles Philip Wagner, The sources of Cauallero Cifar (Revue Hispanique, X, 1903)

عن المصدر السابق ص ٥٩٨

٢١ــ بالينثيا : ص ٥٩٨ــ٥٩٩ ٠

٢٢ــ لقد ترجمت قصة حي بن يقظان الى عديد من اللغات القديمة والحية ، اكثر من مرة ، ومن شاء فلينظر حول هذه الترجمات :

Angel González Palencia, El Filósofo Autodidacto, (Madrid, 1948), Prólogo.

واحمد امين : حي بن يقظان (ذخائر العرب ٨) هامش ص ١٣ ٠

٢٣ــ هو اديب اسباني كبير ٠ ولد في مدينة قرب (قلعة ايوب) ودرس في سرقسطة وسكن في وشقة ٠ كان من الداعين الى الاهتمام بالفكرة في الادب ٠ وهو واحد من الادباء الاسبان الذين ذاع صيتهم خارج بلادهم، وقد ترجمت مؤلفاته الى معظم اللغات الاوربية ، وكان له تاثير على آراء شوبنهاور المتشائمة ٠ وقد وصف هذا الاخير كتاب (الكريتيكون) بانه « واحد من أفضل الكتب في العالم » ٠

انظـــر :

1. José García López, Literatura Española, Barcelona, 1959, pp. 307-14.

2. Profesor de Agra Cadarso, Historia de la literatura española, (Madrid, 1957) pp. 244, 245.

٢٤ـ

F. Pons Boigues, El Filósofo Autodidacto de Abentofáil... con un prólogo de M. Menéndez y Pelayo (Zaragoza, 1900), citado por A.G. Palencia, op. cit. p. 12. nota, 8.

وبالينثيا : ص ٦٠٢

٢٥ـ احمد امين : حي بن يقظان ، هامش ص ١٣

٢٦ـ E. García Gómez, Un cuento árabe fuente común de Abentofáil y de Gracián, (Revista de Archivos,..., Madrid, 1926).

واحمد امين : المصدر السابق ، وانظر : بالينثيا ص ٦٠٢ ٠

٢٧ـ بالينثيا ص ٥٨٢ ٠

٢٨ـ M. Menéndez y Pelayo, Orígenes de la novela, 2a edición (Madrid, 1962), tomo, 1, p. 35.

٢٩ـ انظر : بالينثيا ص ٥٨٥ـ٥٨٦ ٠

٣٠ـ نفس المصدر ص ١٨٠ـ١٨١ ٠

٣١ـ Profesor de Agra Cadarso, op. cit,, p. 172

٣٢ـ نفس المصدر ص ١٧٢ـ١٧٣ ٠

٣٣ـ المصدر المذكور في الهامش ٢٨ ص ٦٧ ٠

٣٤ـ بالينثيا ص ١٨٠ ٠

٣٥ـ نفس المصدر ، ص٢٨ و ٦٢٣ـ٦٢٤ ، وانظر :

Julián Ribera, op. cit., 253, 254 sqq., y 315 - 41.

٣٦ـ بالينثيا ص ٦١٣ و ٦١٤ ٠

٣٧ـ ريبيرا : المصدر المذكور في الهامش ٣ ص ٢٥٠ و ٢٥٤ ٠ وبالينثيا ص ٦٢٥ ٠ وانظر :

R. M. Pidal, Poesía árabe y poesía europea, p. 43.

٣٨ـ بالينثيا ص ٦٢٥

٣٩ـ نفس المصدر ص ٦٢٨ و ٦٢٩ وانظر :

1. R. M. Pidal, España, eslabón, p. 15.

2. A. Federico de Schack, Poesia y arte de los árabes en España y Sicilia, t. II. pp. 210-13.

٤٠ـ بالينثيا ص ٦٢٧ و ٦٢٨ و :

Pidal, Poesia árabe..., pp. 44 , 45.

Ribera, op. cit., pp. 267 - 68.

٤١ـ Ribera, op. cit., pp. 267-269 , 271.

٤٢ـ نفس المصدر ص ٢٦٥ .

٤٣ـ نفس المصدر ص ٢٥٩ . وانظر : بالينثيا : ص ٢٩

٤٤ـ ريبيرا : المصدر المذكور ، ص ٢٣٢ـ٢٣٣ ، وانظر :

Pidal, España, eslabón..., pp. 16 , 17.

٤٥ـ Ribera, op. cit., p. 244

٤٦ـ ibid, pp. 237 , 238

٤٧ـ ibid, pp. 240 , 241

٤٨ـ ibid, p. 246

ملحق

مَجْمُوعُ شِعْرِ

الغَزَال

تحقيقٌ وشرح

أ

(١)

١ - ولما رأيت الشرب [١] اكــدت سماؤهم
تـأبطت زقــي واحتـسـبت [٢] عنائـــي

٢ - فلمـا أتيت ألحـان [٣] ناديت ربـه [٤]
فهـب خفيـف الـروح نحـو ندائـــي

٣ - قليـل هجـوع العيـن الا تعلـة
على وجل مني ومــن نظرائــــي

٤ - فقلت : اذقنيهـا ٠ فلمـا أذاقنـي [٥]
طرحت اليـه [٦] ريطتـي [٧] وردائـــي

٥ - وقلت أعرنـي بذلة استتر بهـا
بذلـت لـه فيهـا طلاق نسائي

٦ - فوالله مـا برت يميني ولا وفت
لـه غيرانـي ضـامن بوفائـــي

٧ - وأبـت الى صحبـي ولـم أك آبـا
فكـل يفدينـي وحـق فدائـــي

---

(١) المطرب ص١٤٨ ونفح (ط٠ احسان عباس) ٢/٢٦١ والابيات **الثلاثة** الاولى في الجذوة : ٢١٢

(١) الجذوة : وكنت اذا ما الشرب ٠

(٢) الجذوة : واحتضنت ٠ ونفح : واحتبست ٠

(٣) المطرب : الخان

(٤) الجذوة : ناديت اهله ٠

(٥) نفح : أذاقها ٠

(٦) نفح : عليه ٠

(٧) الريطة : الملاءة وهي كالعباءة تلبس فوق الرداء ٠

(٢)

١ ـ تداركت في شرب النبيذ خطائي (×)
وفارقت فيه شيمتي وحيائي

(٣)

١ ـ قصدت بمدحي جاهدا نحو خالد
أؤمل من جدواه فوق منائي

٢ ـ فلم يعطني من ماله غير درهم
تكلفه بعد انقطاع رجائي

٣ ـ كما اقتلع الحجام ضرسا صحيحة
اذا استخرجت من شدة بكاء

ب

(٤)

١ ـ بعض تصابيك على زينب لا خير في الصبوة للاشيب (١)
٢ ـ أبعد خمسين تقضيتها وافية تصبو الى الربرب (٢)
٣ ـ كل رداح الردف خمصانة كالمهرة الضامر لم تركب (٣)

---

(٢) المطرب ١٤٨ ونفح ٢/٢٦١
× الخطاء : الخطأ .
(٣) التشبيهات ص٢٥٢ .
(٤) المطرب ١٣٣ ـ ١٣٤ .

(١) الصبوة : جهلة الصبيان ولهوهم .
(٢) الربرب : قطيع بقر الوحش ، ويقصد هنا جماعة النساء الحسناوات .
(٣) صدر البيت في التشبيهات ص ١٢١ « فارعة الجسم هضيم الحشا » وخمصانة : ضامرة البطن .

٤ ـ أو درة ساعة استخرجت [٤] لم تمتهن بعد ولـم تثقب [٥]
٥ ـ مشربة اللون متوع الضحـى صفراء بالآصال كالمذهب [٦]

ومنها في المديح :

٦ ـ من مبلغ عني أمام الهـدى اورث المجد أبا عن أب [٧]
٧ ـ أنـي اذا أطنب مداحـه قصدت في القول فلـم أطنب
٨ ـ لا فك عني الله ان لم تكـن أذكرتنا من عمـر الطيب
٩ ـ وأصبح المشرق من شـوقه اليك قـد حن الى المغـرب
١٠ـ منبره يهتـف من وجـده اليك بالسـهل وبالمـرحب
١١ـ اطربه الوقت الذي قـد دنـا وكان من قبلك لـم يطـرب
١٢ـ هفا به الوجـد فلـو منبر طار لوافى خطفـة الكـوكب
١٣ـ الى جميل الوجـه ذي هيبـة ليست لحامي الغابـة المغضب
١٤ـ لا يمكن الناظر من رؤيـة الا التماح الخائف المذنـب

وقال في آخرها :

١٥ـ ان ترد المـال فانـي أمرؤ لم أجمـع المال ولم اكسـب
١٦ـ اذا أخذت الحـق مني فـلا تلتمس الربـح ولا ترغـب
١٧ـ قد أحسن الله الينا معـا ان كان رأس المال لـم يذهب

---

(٤) علق د. احسان عباس على هذا الشطر بقوله : « بقطع الهمزة ، او بتغيير ، كان يقال ساعة ما استخرجت ، او ما اشـبه » التشبيهات ١٢١ هامش (٢) .

(٥) هذا البيت والذى يليه في « التشبيهات » ويبدو أنهما من نفس القصيدة كما احتمل ذلك احسان عباس .

(٦) متوع الضحى : اي وقت ارتفاعه .

(٧) هذا البيت والى البيت الرابع عشر في المطرب ص١٣٤ والابيات الثلاثة الاخيرة في ص ١٣٥ .

(٥)

١ ـ كلفت يا قلبي هوى متعبا — غالبت منه الضيغم الأغلبا
٢ ـ اني تعلقت مجوسية — تأبى لشمس الحسن أن تغربا
٣ ـ أقصى بلاد الله لي حيث لا — يلقى اليها ذاهب مذهبا(١)
٤ ـ يا نود(٢) يارود اشباب(٣) التي — تطلع من ازرارها الكوكبا
٥ ـ يا بابي الشخص الذي لا أرى — أحلى على قلبي ولا أعذبا
٦ ـ ان قلت يوما ان عيني رأت — مشبهه لم أعد أن أكذبا
٧ ـ قلت : أرى نودية قد نورا — دعابة توجب أن ادعبا
٨ ـ قلت لها يا بابي(٤) انه — قد ينتج المهر كذا اشهبا
٩ ـ فاستضحكت عجبا بقولي لها — وانما قلت لكي تعجبا

(٦)

١ ـ بكرت تحسن لي سواد خضابي — فكأن ذاك أعادني لشبابي
٢ ـ ما الشيب عندي والخضاب لواصف — الا كشمس جللت بضباب
٣ ـ تخفى قليلا ثم يقشعها الصبا — فيصير ما سترت به لذهاب

---

(٥) المطرب ص١٤٤ ونفح ٢/٢٥٧ ـ ٢٥٨ ·

(١) نفح : اقصى بلاد الله في حيث لا — يلفي اليه ذاهب مذهبا
وربما كان الاصح هكذا :
اقصى بلاد الله في حيث لا — يلفي اليها ذاهب مذهبا

(٢) هكذا في المطرب ، وفي نفح : تود · ويحتمل بروفنسال أن « نود » تصحيف عن كلمة « تود » بالتاء وهو اختصار اسم ملكة الروم « ثيودورا » ، انظر : بروفنسال : الاسلام في المغرب والاندلس ص١١٣·

(٣) مخففة من « رؤد الشباب » والرؤد والرؤدة والرأدة : الجارية الناعمة الجسم · ورأد الضحى : وقت ارتفاع الشمس وانبساط الضوء· والمعنى : ياناعمة الشباب او يامن في عز الشباب ·

(٤) النفح : ما باله ؟

(٦) المطرب ١٤٦ ونفح ٢/٢٥٨

٤ ـ لا تنكري وضح المشيب فانما   هو زهرة الافهام والالباب
٥ ـ فلدي ما تهوين من شأن الصبا   وطلاوة الاخلاق والآداب

(٧)

١ ـ لم انس اذ برزت الـي لعوب   طربا وحيث قميصها مقلوب
٢ ـ وكأنها في الدار حين تعرضت   ظبي تدله بالفلا مرعوب[١]
٣ـ تفتر عن در تناسق نظمه   فيه لثاة عذبة وغروب[٢]
٤ ـ حاولت منها رشفة فكأنها   عسل بماء سحابة مقطوب[٣]
٥ ـ ودعتك داعية الصبا فتطربت   نفس الى داعي الضلال طروب
٦ ـ وظننت عهدك عهدها في الدهر اذ   فينان غصنك بالشباب رطيب
٧ ـ فجريت في سنن الصبا شأواً وقد   وزعتك عنه كبرة[٤] ومشيب
٨ ـ وحسبت صاحبك الذي هو ذاك اذ   تدعوه مهما شئته فيجيب
٩ ـ قد كان لاينبو اذا جربته   فالآن احداث الزمان تنوب
١٠ـ لما رأت ذاك الـذي تنحو لـه   سمحت فمال على الكثيب قضيب
١١ـ وتأودت خمصانة بهنانة   كالفجر يعلوه دجى غربيب[٥]
١٢ـ فقبضت ملء يدي على مستهدف   رابي المجسة لونه حلبوب[٦]

---

(٧) المطرب ١٤٩ ونفح ٢/٢٥٥ باختلاف كبير ، ولذلك فضلت ان اثبت رواية النفح باكملها بعد رواية المطرب وتحت نفس التسلسل ٠

(١) تدله : تحير من التدليه وهو ذهاب العقل وحيرته من الهوى ٠

(٢) غروب : تحديد الاسنان ، وغرب كل شيء حده ٠

(٣) مقطوب : ممزوج ٠

(٤) كبرة : كبر السن ٠

(٥) تاودت : تعوجت ، ويعني هنا تقلبت ٠ خمصانة : ضامرة البطن ٠ بهنانة : طيبة النفس والارج ٠ وغربيب : اسود حالك ٠

(٦) حلبوب : حالك السواد ٠

١٣- بيدي الشمال وللشمال لطافـة ... ليست لاخرى والاديب اريب

١٤- فتقاعس الملعون عنه وانني ... لأكاد من فرط الحياء اذوب

١٥- وأبى كعير السوء الاوفقة ... أخزى بها وانورد منه قريب

١٦- فكأنه مما تشنج جلده ... كير تقادم عهده منقوب

اما رواية النفح فهي :

١ - خرجت اليك وثوبها مقلوب ... ولقلبها طربا اليك وجيب

٢ - وكأنها في الدارحين تعرضت ... ظبي تعلل بالفلا مرعوب

٣ - وتبسمت فاتتك حين تبسمت ... بجمان در لم يشنه تقوب

٤ - ودعتك داعية الصبا فتطربت ... نفس الى داعي الضلال طروب

٥ - حسبتك في حال الغرام كعهدها ... في الدار اذ غصن الشباب رطيب

٦ - وعرفت ما في نفسها فضممتها ... فتساقطت بهنانة رعبوب[1]

٧ - وقبضت ذاك الشيء قبضة شاهن ... فنزا الي عضنك حلبوب[2]

٨ - بيدي الشمال وللشمال لطافه ... ليست لاخرى والاديب اريب

٩ - فاصاب كفي منه حين لمسته ... بلل كماء الورد حين يسيب

١٠- وتحللت نفسي للذة رشحه ... حتى خشيت على الفؤاد يذوب

١١- فتقاعس الملعون عنه وربما ... ناديته خيرا فليس يجيب

١٢- وأبى فحقق في الاباء كأنه ... جان يقاد الى الردى مكروب

١٣- وتغضنت جنباته فكأنه ... كير تقادم عهده منقوب

---

(١) رعبوب : ناعمة ·

(٢) شاهن : ربما كانت صيغة مختصرة من (شاهين) وهو طير جارح من جنس الصقر · عضنك : كثير اللحم

١٤ـ حى اذا ما الصبح لاح عمـــوده قبـا وحان من الظلام ذهوب
١٥ـ ساءلتها خجلا : أما لك حاجة عندي ؟ فقالت : ساخر وحروب
١٦ـ قالت حر امك اذ اردت وداعهـــا قرن وفيه عوارض وشعوب(٣)

(٨)

١ ـ لا ، ومن أعمل المطايـا اليـــه كـــل من يرتجي اليـه نصيبا
٢ ـ ما أرى ههنـا مـــن النـاس الا ثعلبـا يطلب الدجـاج وذيبـا
٣ ـ أو شبيها بالقط ألقى بعينيــــــــــه الى فارة يريـــد الوثوبا

(٩)

١ ـ ومـــــراء أخـــذ النـــا س بـــــمت وقطـــوب
٢ ـ وخشوع يشبه الســـــقم وضعـــف في الـــديب
٣ ـ قلت : هـــل تألــم شيئا ؟ قـــال : اثقــال الذنــوب
٤ ـ قلت : لا تعــن بشـــيء انت في قـــالب ذيـــب
٥ ـ انمـــا تبنـــي على الوثـــ بـــة في حـــين الـوثوب
٦ ـ ليس من يخفـــى عليـــه منـــك هـــذا بلبيـــب

ت

(١٠)

وقل في هجاء امرأة :

١ ـ جرداء صلعاء لم يبق الزمان لها الا لسانا ملحا بالملامـــــات

---

(٣) قرن : فيه قرن : والقرن : شيء يخرج من قبل النساء شبيه بالادرة التي للرجال ٠

(٨) نفح ٢/٢٥٧

(٩) ذكرها د٠ احسـان عباس في تاريخ الادب الاندلسي ـ عصر سـيادة قرطبة ص٢٩٠ مستخرجة من كتاب : بهجة المجالس لابن عبدالبر ، ولم اعثر عليها في النسخة المطبوعة ٠

(١٠) التشبيهات ص ٢٥٧ ٠

٢ – لطمتها لطمة طارت عمامتهـــا　　عن صلعةليس فيها خمس شعرات
٣ – كأنها بيضة الشاري[١] اذا برقت　　بالمأزق الضنك بين المشرفيات
٤ – لها حروف [٢] نوات في جوانبها　　كقسمة الارض حيزت بالتخومات
٥ – وكاهل كسنام العيس جـــرده　　طول السفار وانحاح القتودات[٣]

ح

(١١)

١ – اذا أخبرت عن رجل بريء[١]　　من الآفات ظاهـــره صحيح
٢ – فسلهم عنه هل هو آدمـــي　　فان قالوا نعم فالقول ريـــح
٣ – ولكن بعضنـــا أهـــل استتار　　وعند الله اجمعنا جريـــح
٤ – ومن انعام خالقنـــا علينـــا　　بأن ذنوبنـــا ليست تفوح[٢]
٥ – فلو فاحت [٣] لاصبحنا هروبا　　فرادى بالفلا[٤] ما نستـــريح
٦ – وضاق بكل منتحل صلاحـــا　　لنتن ذنوبه البلد الفسيـــح

د

(١٢)

١ – اصبحت والله محسودا على امد[١]　　من الحياة قصير غير ممتـــد

---

(١) البيضة : الخوذة • الشـــاري : الخارجي •
(٢) الحروف : حرف الشيء طرفه وشفيره وحده ، ويبدو انه يشير الى أن صلعتها فيها نتوءات او جسمها له نتوءات بارزة •
(٣) القتودات : جمع (قتود) وهذه جمع (القتد) وهو خشب الرحل •

(١١) جذوة ص ٣٥٢ وبغية الملتمس ص ٤٨٥–٤٨٦ •
(١) في بغية الملتمس : يرى
(٢) هذا البيت ينظر الى قول ابي العتاهية :

لطف الله بنا أن الخطايا لا تفوح

(٣) في بغية الملتمس : باحت
(٤) في بغية الملتمس : فوادى مالفلا

(١٢) العقد الفريد ٣/٥٨ و١٩٠
(١) في ص١٩٠ : أمل

٢ ـ حتى بقيت بحمد الله في خلف كأنني بينهم من وحشة وحدي

٣ ـ وما أفارق يوما من أفارقه الا حسبت فراقي آخر العهد

٤ ـ انظر الي اذا ادرجت في كفني وانظر الي اذا أدرجت في اللحد

٥ ـ واقعد قليلا وعاين من يقيم معي ممن يشيع نعشي من ذوي ودي

٦ ـ هيهات • كلهم في شأنه لعب يرمي التراب ويحثوه على خدي

(١٣)

١ ـ ولبس كثوب القس ، جبت سواده على ظهر غربيب القميص نآد[٢]

٢ ـ قد استأخرت اردافه ومضت لـه غوارب في آذيـه وهواد[٣]

٣ ـ له ظلمات بعضها فوق بعضها دآدي، موصول بهن دآدي[٤]

٤ ـ يبيت بها الملاح من حذر الردى ملازم صاريه لزوم قراد[٥]

(١٤)

١ ـ قالت احبك قلت كاذبة غري بذا من ليس ينتقد

٢ ـ هذا كلام لست اقبله الشيخ ليس يحبه احد

٣ ـ سيان قولك ذا وقولك ان الريح نعقدها فتنعقد

٤ ـ او ان تقولي النار باردة او أن تقولي الماء يتقد

---

(١٣) التشبيهات ص١٨١

(٢) لبس : اختلاط الظلام • جبت سواده : طفت او تجولت في سواده • غربيب : اسود ، ويعني به هنا السفينة • والنآد : الداهية •

(٣) الغوارب : مفردها : غارب وهو الظهر • الهوادي : الاعناق •

(٤) الدآدي : الليالي الثلاث الاخيرة من الشهر •

(٥) قراد : بضم القاف مفرده (قرده) بضم القاف وسكون الراء وفتح الدال و (قرادة) بضم القاف وفتح الراء والدال : وهي دويبه تتعلق بالبعير ونحوه وهي كالقمل للانسان •

(١٤) نفح ٢/٢٥٧

(١٥)

١ ـ كأن الملوك الغلب عندك خضعا خواضع طير يتقي الصقر لبد[1]

٢ ـ تقلب فيهم مقلة حكمية فتخفض أقواما وقوما تسود

ر

(١٦)

١ ـ أرى اهل اليسار اذا توفوا بنوا تلك المقابر بالصخور

٢ ـ أبوا الا مباهاة وفخرا على الفقراء حتى في القبور

٣ ـ فان يكن التفاضل في ذراها فان العدل فيها في القعور

٤ ـ رضيت بمن تأنق في بناء فبالغ فيه تصريف الدهور

٥ ـ ألما يبصروا ما خربته الدهور من المدائن والقصور

٦ ـ لعمر ابيهم لو ابصروهم لما عرف الغني من الفقير

٧ ـ ولا عرفوا العبيد من الموالي ولا عرفوا الاناث من الذكور

٨ ـ ولا من كان يلبس ثوب صوف من البدن المباشر للحرير

٩ ـ اذا أكل الثرى هذا وهذا فما فضل الكبير على الحقير

(١٧)

١ ـ من ظن أن الدهر ليس يصيبه بالحادثات فانه مغرور

٢ ـ فالق الزمان مهونا لخطوبه وانجر حيث يجرك المقدور

---

(١٥) عنان : دولة الاسلام في الاندلس من الفتح الى بداية عهد الناصر ـ العصر الاول ـ القسم الاول (القاهرة ١٩٦٠) ص ٢٥٠ ولم يذكر المصدر الذي استقى منه .

(١) لبد : بضم اللام وياء مشددة مفتوحة مفردها (لبد) بضم اللام وفتح الباء وهو من لا يسافر ولا يترك منزله .

(١٦) نفح ٢/٢٥٦ـ٢٥٧ .

(١٧) نفح ٢/٢٦٠ .

٣ ـ واذا تقلبت الامور ولم تـدم فسواء المحزون والمسرور

(١٨)

١ ـ ربع قلبي لما ذكـرت الديارا وتنورت بالنخيـلات نـارا

٢ ـ وازدهتنـي ذات السـنا ببروق من لظاها فما أطيق اصطبارا

٣ ـ والقريح الفـؤاد يزداد للنـار وميض السعير منها استعارا

(١٩)

١ ـ وان رجـائي في الاياب اليكـم وان أنا اظهرت العزاء قصير

٢ ـ وان كنت تبغين الـوداع فبالغي فدونك احوال ـ ارى ـ وشهور

(٢٠)

١ ـ تسـألني عن حـالتي أم عمـر

٢ ـ وهي ترى ما حـل بي من العبر

٣ ـ وما الـذي يسأل عنـه من خبر

٤ ـ وقد كفاه الكشف عن ذاك النظـر

٥ ـ وما تـكون حالتـي مـع الكبـر

٦ ـ اربد[1] مني الوجه وابيض الشـعر

٧ ـ وصار رأسي شهرة من الشهر[2]

---

(١٨) يتيمة الدهر ٥٦/٢

(١٩) احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسي ـ عصر سـيادة قرطبـة ـ ص٢٨٩ ، مستخرجة من كتاب بهجة المجالس لابن عبد البر ص ٢٥٤ ٠

(٢٠) احسان عباس : نفس المصدر ص٢٩٠ مستخرجة من «بهجة المجالس» ولم اعثر عليها في النسخة المطبوعة ٠

(١) اربد : تعبس وتغير ٠

(٢) الشهرة : ظهور الشيء في شنعة ٠ الفضيحة ٠

٨ - ويبست نضرة وجهي واقشعر

٩ - ونقص السمع بنقصان البصر

١٠- وصرت لا انهض الا بعد شر

١١- لو ضامني من ضامني لم أنتصر

١٢- فانظر الي واعتبر ثم اعتبر

١٣- فان للحليم في معتبر

(٢١)

١ - أنجز فديتك ما وعدت فان لي | في المطل والانجاز قولا حاضرا

٢ - واعلم بان من الحزامة للفتى | أن لا يرد بغير نجح شاعرا

(٢٢)

١ - فسبحان من اعطاك بطشا وقوة | وسبحان من ولى القضاء يخامرا

(٢٣)

١ - ولا والهوى ما الالفزار على النوى | يجوب الي الليل في البلد القفر

٢ - ولكنه طيف أقام مثاله | الي في نومي خواطر من فكري

(٢٤)

١ - وخيرها ابوها بين شيخ | كثير المال او حدث فقير

٢ - فقالت خطتا خسف وما ان | ارى من حظوة[1] للمستخير

---

(٢١) جذوة ص ٣٥٢ وبغية الملتمس ص ٤٨٦ .

(٢٢) الخشني ص ٩٥ .

(٢٣) التشبيهات ص ١٦٣ .

(٢٤) جذوة ص ٣٥٢ وبغية الملتمس ص٤٨٦ .

(١) في بغية الملتمس : خطوة .

٣ ـ ولكن ان عزمت فكـل شيء احب الي من وجه الكبير
٤ ـ لان المرء بعـد الفقر يثري وهذا لا يعود الى صغير

(٢٥)

١ ـ لعمري ما ملكت مقودي الصبا فأمطو للذات في السهل والوعر[1]
٢ ـ ولا أنا ممن ؤثر اللهو قلبـه فأمسي في سكر واصبح في سكر
٣ ـ ولا قارع باب اليهودي موهنـا وقد رجع النوام من شهوة الخمـر
٤ ـ وأوتغه الشيطان حتى أصـاره من الغي في بحر اضل من البحر[2]
٥ ـ أغدالسرى فيها اذا الشرب انكروا ورهني عند العلج ثوبي من الفجر
٦ ـ كأني لم اسـمع كتاب محمد وما جاء في التنزيل فيـه من الزجر
٧ ـ كفاني من كل الذي أعجبوا به قليلـة ماء تستقى لي من النهر
٨ ـ ففيها شرابي ان عطشت وكل ما يريـد عيالي للعجين وللقـدر
٩ ـ بخبز وبقل ليس لحما وانني عليـه كثير الحمد لله والشكر
١٠ـ فياصاحب اللحمان والخمر هل ترى بوجهي اذا عاينت وجهي من ضر
١١ـ وبالله لو عمرت تسـعين حجة الى مثلهـا ما اشتقت فيها الى خمر
١٢ـ ولا طربت نفسي الى مزهر ولا تحنن قلبي نحو عود ولا زمر
١٣ـ وقد حدثوني أن فيهـا مرارة وما حاجة الانسـان في الشر للمر
١٤ـ اخي عد ما قاسـيته وتقلبت عليك به الدنيا من الخير والشـر
١٥ـ فهل لك في الدنيا سوى الساعة التي تكون بها السـراء او حاضر الضـر

---

(٢٥) العقد الفريد ٣٥٢/٥ وقد ضبط اسمه مرة (الغزال) بتشديد الزاي، ومرة (الغزالي) .

(١) امطو : مطا يمطو مطوا اي اسرع في سيره .

(٢) اوتغه : أفسده . القاه في بليه . قاده الى التهلكة .

١٦- فما ساق منها لا يحس ولا يرى ... ومالم يكن منها عمي عن الفكر
١٧- فطوبى لعبد اخرج الله روحه ... اليه من الدنيا على عمل البر
١٨- ولكنني حدثت أن نفوسهم ... هنالك في جاه جليل وفي قدر
١٩- واجسادهم لايأكل الترب لحمها ... هنالك لا تبلى الى آخر الدهر

(٢٦)

١ - كتبت وشوق لا يفارق مهجتي ... ووجدي بكم مستحكم وتذكري
٢ - بقرطبة قلبي وجسمي ببلدة ... نأيت بها عن اهل ودي ومعشري
٣ - سقى الله من مزن السحائب ثرة ... دياركم اللاتي حوت كل جؤذر
٤ - بحق الهوى اقر السلام على التي ... أهيم بها عشقا الى يوم محشري
٥ - لئن غبت عنها فالهوى غير غائب ... مقيما بقلب الهائم المتفطر
٦ - كأن لم ابت في نوبها طول ليلة ... الى أن بداوجه الصباح المنور
٧ - وعانقت غصنا فيه رمان فضة ... وقبلت ثغراً ريقه ريق سكر
٨ - أأنسى ولا انسى عناقك خاليا ... وضمي ونقلي نظم در وجوهر
٩ - فواحزني أن فرق الدهر بيننا ... وكدر وصلا منك غير مكدر
١٠- لقد غررت نفسي بحبك ضلة ... ولو علمت عقبى الهوى لم تغرر
١١- بكيت فما أغنى البكا عند صحبتي ... وشوقي الى رئم من الانس احور
١٢- سلام سلام ألف الف مكررا ... ويا حاملا عني الرسالة كرر
١٣- الا يا نسيم الريح بلغ سلامنا ... وصف كل ما يلقى الغريب وخبر
١٤- وقل لشعاع الشمس بلغ تحيتي ... سميك واقرأها على آل جعفر

---

(٢٦) العقد الفريد ٣٥٣/٥ .

(٢٧)

١ - طالب الرزق الحلال لا يقر نهاره وليله على سفر
٢ - في الحر والبرد واوقات المطر وماله في ذاك نزر محتقر
٣ - ان الحلال وحده لا يختمر اين ترى مالا حلالا قد نمر
٤ - ما ان رأينا صافيا منه كثر

(٢٨)

١ - اني حلبت الدهر اصناف الدرر فمرةً حلو واحيانا مقر
٢ - وعلقما حينا واحيانا صبر وجل ما يسقيكه الدهر كدر
٣ - فلم اجد شيئا من الفقر أمر الا ترى اكثر من فيها يفر
٤ - مخافة الفقر الى نار سقر ؟

(٢٩)

١ - وكم ظاعن قد ظن أن ليس آيبا فآب وأودى حاضرون كثير
٢ - وان الذي اعظمته من تغربي عليّ - وان اعظمت ذاك - يسير
٣ - رأيت المنايا يدرك العصم عدوها فينزلها والطير منه تطير
٤ - وعلي امضي ثم ارجع سالما ويهلك بعدي آمنون حضور
٥ - جعلت ارجيها ايابي ومن غدا على مثل حالي لا يكاد يحور
٦ - وكيف أبالي والزمان قد انقضى وعظمي مهيض والمكان شطير
٧ - واني ، وان اظهرت مني تجلداً ، لذو كبد حرى عليك حسير

---

(٢٧) بهجة المجالس ص ١٤٤

(٢٨) بهجة المجالس ٢٠٨ وربما كانت هذه الابيات مع التي قبلها من قصيدة واحدة .

(٢٩) بهجة المجالس ٢٣٣ ولم يذكرها احسان عباس .

(٣٠)

١ ـ وان مقامي شطر يوم بمنزل   أخاف على نفسي به لكثير

٢ ـ وقد يهرب الانسان من خيفة الردى   فيدركه ما خاف حيث يسير

ع

(٣١)

١ ـ ادركت بالمصر ملوكا اربعة   وخامسا هذا الذي نحن معه

ق

(٣٢)

١ ـ سألت في النوم ابي آدماً   فقلت والقلب به وامق

٢ ـ ابنك بالله ابو حازم ؟   صلى عليك المالك الخالق

٣ ـ فقال لي : ان كان مني ومن   نساي فحوا أمكم طالق

ك

(٣٣)

١ ـ يعرف عقل المرء في اربع   مشيته اولها والحرك

٢ ـ ونور[1] عينيه والفاظه   بعد عليهن يدور الفلك

٣ ـ وربما اخلفن الا التي   آخرها منهن سمين لك

٤ ـ هذي دلالات على عقله   والعقل في اركانه كالملك

---

(٣٠) بهجة المجالس ٢٤٣ ولم يذكرهما احسان عباس · وربما كان هذان البيتان والبيتان رقم (١٩) من قصيدة واحدة ·

(٣١) نفح ٢/٢٥٥ ·

(٣٢) نفح ٢/٢٥٦ ·

(٣٣) العقد ٢/٢٤٣ منسوبة ل « آخر » وفي بهجة المجالس ص٥٤٦ البيتان الاولان فقط واحسان عباس ص ٢٨٩ (مستخرجة من كتاب : بهجة المجالس) ·

(١) في العقد : ودور

٥ – ان صح صح المرء من بعده ويهلك المرء اذا ما هلك
٦ – فأنظر الى مخرج تدبيره وعقله ليس الى ما ملك
٧ – فربما خلط اهل الحجا وقد يكون انوك في ذي النسك
٨ – فان امام سال عن فاضل فادلل على العاقل لا أم لك

ل

(٣٤)

١ – قال لي يحيي ، وصرنا بين موج كالجبال
٢ – وتوالتنا عصوف من جنوب[1] وشمال
٣ – شقت القلعين وانبت عرى تلك الحبال[2]
٤ – وتمطى ملك الموت الينا عن حيال
٥ – فرأينا الموت رأي الـ عين حالا بعد حال[3]
٦ – لم يكن للقوم فينا يا رفيقي رأس مال[4]

ومنها :[5]

٧ – وسليمى ذات زهد في زهيد من وصال
٨ – كلما قلت صليني حلبتني بالخيال
٩ – والكرى قد منعته مقلتي أخرى الليالى
١٠– وهي ادرى فلماذا دافعتني بمحال

(٣٤) جذوة ص ٣٥٢ وبغية الملتمس ص ٤٨٥ والمطرب ص ١٣٩ – ١٤٠ ونفح ٢/٢٥٩–٢٦٠ .

(١) هكذا في جذوة وبغية الملتمس ، وفي المطرب ونفح : رياح من دبور .
(٢) في بغية الملتمس : الجمال .
(٣) ورد هذا البيت في المطرب والنفح فقط .
(٤) هذا البيت ورد في بغية الملتمس هكذا : « لم يكن للقوم فيها يرغب... رأس مال » .
(٥) هذه الابيات لم ترد في الجذوة ولا في بغية الملتمس .

١١ـ أترى أنا اقتضينا[٦] بعد شيئا من نوال.

(٣٥)

١ ـ يا راجيا ود الغواني ضلة ففؤاده كلفا بهن موكل

٢ ـ لا تكلفن بوصلهن فانما الـ كلف المحب لهن من لا يعقل[١].

٣ ـ ان النساء لكالسروج حقيقة فالسرج سرجك ريثما لا تنزل

٤ ـ فاذا نزلت فان غيرك نازل ذاك المكان وفاعل ما تفعل

٥ ـ او منزل المجتاز اصبح غاديا عنه وينزل بعده من ينزل

٦ ـ او كالثمار مباحة اغصانها تدنو لأول من يمر فتؤكل

٧ ـ اعط الشبيبة ـ لا أبالك ـ حقها منها فان نعيمها متحول

٨ ـ واذا سلبت ثيابها لم تنتفع عند النساء بكل ما تستبدل[٢].

(٣٦)

١ ـ الناس خلق واحد متشابه لكنما تتخالف الاعمال

٢ ـ ويقال حق في الرجال وباطل أي امرىء الا وفيه مقال[١].

٣ ـ لسنا نرى من ليس فيه غميزة أي الرجال القائل الفعال[٢].

٤ ـ ولكل انسان بما في نفسه من عيبه عن غيره اشغال.

٥ ـ يستثقل اللمم[٣] الخفيف لغيره وعليه من امثال ذاك جبال.

---

(٦) هكذا في النفح ، وفي المطرب : أثراني اقتضيها ·

(٣٥) المطرب ١٤٦ـ١٤٧ ونفح ٢/١٥٩ ·

(١) البيت ساقط من النفح ·

(٢) في المطرب : يستبدل اي : يسال ·

(٣٦) المطرب ص ١٥١ ·

(١) صدر هذا البيت في النفح ٣/٤٣٨ : والمرء يعجب من صغيرة غيره ·

(٢) هذا البيت من النفح ولم يرد في المطرب ·

(٣) اللمم : صغائر الذنوب ·

٦ – وينام عن دنياه نومة قانع   بنعيم دنياه وذاك خيال
٧ – ورأيت السنة الرجال افاعيا   طورا تثور وتارة تغتال
٨ – فاذا سلمت من المقالة غير ما   تجني فات الاسعد المفضال

(٣٧)

١ – وأغيد لين الاطراف رخص   كحيل الطرف ذي عنق طويل
٢ – ترى ماء الشباب بوجنتيه   يلوح كرونق السيف الصقيل
٣ – من ابناء الغطارف قيصري الـ   عمومة حين ينسب والخؤول(١)
٤ – كأن أديمه نصفا بنصف   من الذهب الدلاص او الوذيل (٢)
٥ – وربتما اكرر فيه طرفي   فاحسب انه من عظم فيل (٣)
٦ – على قد سواء لا قصير   فتحقره ولا هو بالطويل
٧ – ولكن بين ذلك في اعتدال   كغصن البان في قرب المسيل
٨ – يحن الي مطرفا(٤) لشكلي   ويكثر لي الزيارة بالاصيل
٩ – أتى يوما الي بزق خمر   شمول الريح كالمسك الفتيل
١٠– ليشربها معي ويبيت عندي   فبت بيننا ود الخليل

---

(٣٧) المغرب ٢/٥٨ وليفي برفنسال : الاسلام في المغرب والاندلس ص ١٠٨–١١٠ وانظر : مجلة Byzantion (طبعة بروكسل) مجلد (١٢) سنة ١٩٣٧ ص ٢٤ ·

(١) هذا البيت وما بعده حتى رقم (٧) لم يردوا في المغرب ·

(٢) الدلاص : اللين البراق · الوذيل : القطعة من الفضة المجلوة ، او المرآة ·

(٣) أي من عظم ناب الفيل ، أي من عاج ·

(٤) في « الاسلام في المغرب والاندلس » : مضطربا · ومطرفا لشكلي : واجدا شكلي طريفا ، أي مستطرفا له ·

١١ـ وجاءت امه معه فكانا تأم الخشف (٥) والرشأ الكحيل(٦)

١٢ـ توصيني به وتقول : اخشى عليه البرد في الليل الطويل

١٣ـ فقلت حماقة مني ونوكا فديتك لست من أهل الشمول

١٤ـ فأية غرة سبحان ربي لو اني كنت من أهل العقول

(٣٨)

١ ـ يقول لي القاضي معاذ مشاورا وولى أمرا فيمايرى من ذوي الفضل(١)

٢ ـ فديتك(٢) ماذا تحسب(٣) المرءصانعا؟ فقلت : وماذا يصنع الدب بالنحل ؟

٣ ـ يدق خلاياها ويأكل شهدها ويترك للذبان (٤) ما كان من فضل

(٣٩)

وقال وقد هزه رجل للعطاء :

١ ـ قلت اذ كرر المقالة : يكفي أنت اولى بدرهمي ام عيالي ؟

٢ ـ لست ممن يكون يخدعه مثلك فاعلم ، بهذه الاقوال

٣ ـ ما أؤدي الزكاة الا كما يعصر زق معسل(٥) بالجبال

---

(٥) الخشف : بتثليث الخاء وسكون الشين : ولد الظبي أول ما يولد .

(٦) هذا البيت والذي بعده لم يردا في المغرب .

(٣٨) الخشني : كتاب القضاة بقرطبة ص٩٩ وابن الابار : التكملة ص٧٣٢

(١) في التكملة : وولى امرأ قد ظنه من ذوي الفضل . وفي رواية أخرى ورد نفس الشطر .

(٢) في التكملة : قعيدك . وفي رواية أخرى : فديتك . وجاء الشطر الثاني في رواية هكذا « فقلت وماذا يصنع الدب في النحل » .

(٣) في الخشني : يحسب .

(٤) في الخشني : وتبرك للذبان .

(٣٩) التشبيهات ص٢٥٤

(٥) معسل : فيه بقايا عسل .

(٤٠)

ودخل الغزال يوما على الامير عبدالرحمن بن الحكم (كانت ولايته من سنة ٢٠٦-٢٣٨هـ) فقال الامير :

جاء الغزال بحسنه وجماله

فقال الوزير للغزال : أجز ما بدأبه الامير . فقال الشاعر من قصيدة طويلة لم يصلنا منها الا هذه الابيات :

١ - قال الامير مداعبا بمقاله : جاء الغزال بحسنه وجماله
٢ - اين الجمال من امرىء اربى على متعدد السبعين من احواله
٣ - اين الجمال له،الجمال من امرىء القاه ريب الدهر في اغلاله ؟
٤ - واعاده من بعد جدته بلى ، وأحال رونق وجهه عن حاله

م

(٤١)

١ - اقر السلام على الف كلفت به قد رمت صبرا وطول الشوق لم يرم
٢ - ظبي تباعد عن قربي وعن نظري فالنفس والهة من شدة الالم
٣ - كنا كروحين في جسم غذاؤهما ماء المحبة من هام ومنسجم
٤ - الفين هذا بهذا مغرم كلف لا واحد في الهوى منا بمتهم
٥ - لله تلك الليالي والسرور بها كأنما ابصرتها العين في الحلم
٦ - ففرق الدهر شملا كان ملتئما منا وجمع شملا غير ملتئم
٧ - مازلت ارعى نجوم الليل طالعة ارجو السلو بها اذ غبت عن نجمي

---

(٤٠) البيان المغرب ٢/١٣٩

(٤١) العقد الفريد ٥/٣٥٣ - ٣٥٤

٨ ـ نجم من الحسن ما يجري به فلك كأنه الدر والياقوت في النظم
٩ ـ ذاك الذي حاز حسنا لا نظير له كالبدر نورا علا في منزل النعم
١٠ـ وقد تناظر والبرجيس في شرف وقارن الزهرة البيضاء في توم[١]
١١ـ فذاك يشبهه في حسن صورته وذا يزيد بحظ الشعر والقلم
١٢ـ اشكو الى الله ما القى بفرقته شكوى محب سقيم حافظ الذمم
١٣ـ لو كنت اشكو الى صم الهضاب اذا تفطرت للذي أبديه من ألم
١٤ـ يا غادرا لم يزل بالغدر مرتديا أين الوفاء ؟ أبن لي غير محتشم
١٥ـ ان غاب جسمك عن عيني وعن نظري فما يغيب عن الاسرار والوهم
١٦ـ اني سأبكيك ما ناحت مطوقة تبكي أليفا على فرع من النشم[٢]

(٤٢)

١ ـ فاذا ما نظرت في عرض النا س كأني اراهم في الظلام
٢ ـ وكأن الذي أصيب على الايا م شيء اصبته في المنام

(٤٣)

١ ـ اذا كنت ذا ثروة من غنى فأنت المسود في العالم
٢ ـ وحسبك من نسب صورة تخبر أنك من آدم

ن

(٤٤)

١ ـ ألست ترى أن الزمان طواني وبدل خلقي كله وبراني

---

(١) البرجيس : نجم المشتري أو المريخ ، والبرجيس (بضم الباء) : شجر شائك له أزهار وردية اللون ٠
(٢) النشم : شجر جبلي تتخذ منه القسي ٠
(٤٢) التشبيهات ص٢٦٦
(٤٣) بهجة المجالس ٢٠٨ قال : « وتروى لغيره ابن المعتز أو غيره » ، ولم يذكرها احسان عباس ٠
(٤٤) المطرب ص ١٥٠

٢ ـ تحيفني عضوا فعضوا فلم يدع سوى اسمي صحيحا وحده ولساني
٣ ـ ولو كانت الاسماء يدخلها البلى لقد بلي اسمي لامتداد زماني
٤ ـ وما لي لا ابلى لتسعين حجة وسبع اتت من بعدها سنتان
٥ ـ اذا عن لي شخص تخيل دونه شبيه ضباب او شبيه دخان
٦ ـ فيا راغبا في العيش ان كنت عاقلا فلا وعظ الا دون لحظ عيان

(٤٥)

١ ـ ان الفتاة وان بدا لك حبها فبقلبها داء عليك دفين
٢ ـ واذا ادعين هو الكبير فانما هو للكبير خديعة وقرون
٣ ـ واذا رأيت الشيخ يهوى كاعبا فعليه من درك القرون زبون

(٤٦)

١ ـ انا شيخ وقلت في الشيخ شيئا يعلمه كل ابله وذهين [كذا]
٢ ـ كل شيخ تراه يكثر من كسب الجواري فخذه لي بالقرون

(٤٧)

١ ـ لقد فسدت فما تلقى بها من ليس ذا شجن
٢ ـ وصار الحي منا يغـ ـبط الملفوف في الكفن

(٤٨)

١ ـ لست تلقى الفقيه الا غنيا ليت شعري من اين يستغنونا

---

(٤٥) احسان عباس ص٢٨٩ مستخرجة من كتاب « بهجة المجالس » لابن عبدالبر ، ولم اعثر عليها في النسخة المطبوعة .

(٤٦) نفسه ص٢٨٩ ولم أعثر عليهما في النسخة المطبوعة من « بهجة المجالس » .

(٤٧) نفسه ص٢٩٠ ولم اعثر عليهما في النسخة المطبوعة من « بهجة المجالس » .

(٤٨) عنان ص٢٤٩ ولم يذكر مصدره .

٢ـ تقطع البر والبحار طلاب الرزق والقوم ها هنا قاعدونا

٣ـ ان للقوم مضربا غاب عنا لم يصب قصد وجهه الراكبونا

(٤٩)

١ـ ياليت شعري اي شيء محصل يرى شخص من قدمات وهو دفين

٢ـ أهو هو أم خلق شبيه بما رأى فقل للقلوب النائمات عيون

٣ـ وكيف يرى والعين قد مات نورها وواقعه شبه الوقار سكون

٤ـ لئن كانت الارواح من بعد بيتها[1] بهن الى ما خلفهن حنين

(٥٠)

١ـ وان أعطيت سلطانا فحاذر صولة الزمن

٢ـ أخو السلطان موصوف بحسن الرأي والفطن

٣ـ فساعة ما يزاوله رماه الناس باللعن

٤ـ ويصبح رأيه المحمود منسوبا الى الأفن

٦ـ وتسترخي مفاصله وتكسى كسوة الحزن

٧ـ كأن بشاشة السلطان حين تزول لم تكن

---

(٤٩) نفسه ص ٢٥٠ ولم يذكر مصدره ٠

(١) ربما كان الاصوب (من بعد بينها) اي فراقها ٠ وواضح ان المعنى لم يكمل في هذا البيت وبه حاجة الى ما بعده ٠

(٥٠) بهجة المجالس ٣٤٨ ـ ٣٤٩ ولم يذكرها احسان عباس في كتابه المذكور ٠

مراجـع الكتاب

أ ـ مراجع بالعربية

الآمـــدي : المؤتلف والمختلف (القاهرة ١٩٦١).

ابن الابار : التكملة لكتاب الصلة . نشر كوديرا في المكتبـة الاندلسـيـة (ح ٥ـ٦ مدريد ١٨٨٧ ـ ٩٠) ونشرت قطعة اخرى منـه بعنوان : ملحق « التكملة » نشرها الاركون وكونثالث بالينثيا في كتاب Miscelanea ، مدريد ١٩١٥ ونشر كتاب التكملة في سلسلة بعنوان « من تراث الاندلس » رقم (٥) نشره وصححه السيد عزت العطار الحسيني . القاهرة ١٩٥٥ .

ـــــ الحلة السيراء . تحقيق د. حسين مؤنس جزءان . القاهـــرة ١٩٦٣ .

ـــــ اعتاب الكتاب . تحقيق : د. صالح الاشتر ، ١٩٦١ .

احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسي ـ عصر سيادة قرطبة . دار الثقافة ـ بيروت ١٩٦٠ .

ـــــ تاريـخ الادب الاندلسي ـ عصـر الطوائف والمرابطـين . دار الثقافة ـ بيروت ١٩٦٢ .

احمـد امين : قصة الادب في العالم . الجزء الثاني ـ القســم الاول . القاهرة ١٩٤٥ والقاهرة ١٩٦٠ .

ـــــ حي بن يقظان (ذخائر العرب ـ٨ـ).

احمـد ضيف : بلاغة العرب في الاندلس (الطبعة الثانية) القاهرة ١٩٣٨ .

احمد هيكل : الادب الاندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة . الطبعة الثانية القاهرة ١٩٦٢ .

اخبار مجموعة = مجهول

الاصفهانـــي : الاغاني . القاهرة ١٩٠٤ جـ٣ .

اعلام النساء = عمر رضا كحالة .

الاغانـــي = الاصفهاني

انسان العيون : مخطوطة معهد الدراسات الاسلامية – جامعة بغداد رقم ٢٤٨ وهي قطعة من « تاريخ دول الاعيان شرح قصيدة نظم الجمان في ذكر من سلف من أهل الزمان » لشهاب الدين احمد بن محمد بن عمر المقدسي المعروف بابن ابي عذيبة ، المتوفي سنة ٨٥٦هـ ٠

الاهواني = عبدالعزيز الاهواني

بالينثيا ، انخل كونثالث : تاريخ الفكر الاندلسي ٠ ترجمة د٠ حسين مؤنس – القاهرة ١٩٥٥ ٠

بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية – الجزء الثاني – دار العلم للملايين – بيروت ١٩٦٠ – ١٩٦٢ ٠

______ : تاريخ الادب العربي ٠ ترجمة عبدالحليم النجار جـ٢ دار المعارف بمصر ١٩٦١

ابن بسام : الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ٠ القسم الاول المجلد الاول ٠ القاهرة – ١٩٣٩

بشير يموت : شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام ٠ بيروت ١٩٣٤

البستاني = بطرس البستاني

بطرس البستاني : ادباء العرب في الاندلس وعصر الانبعاث ٠ الطبعة السادسة ٠ بيروت ١٩٦٨ ٠

بغية الملتمس = الضبي

البيان المغرب = ابن عذاري

تاريخ الفكر الاندلسي = بالينثيا ، انخل كونثالث ٠

التشبيهات = ابن الكتاني ٠

التكملة : ابن الابار : التكملة ٠

الثعالبي : يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر ٠ تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ٠ القاهرة ١٩٥٦ ٠

جودت الركابي : في الادب الاندلسي ٠ دار المعارف بمصر ١٩٦٠

حبيب الراوي : شكل الارض ، دراسة لتطور الفكرة عند العرب . قبس من المجلد التاسع من مجلة المجمع العلمي العراقي ١٩٦٢ .

ابن حجر : تهذيب التهذيب .

حسين مؤنس : فجر الاندلس ، دراسة في تاريخ الاندلس من الفتح الاسلامي الى قيام الدولة الاموية (٧١١ – ٧٥٦ م) القاهرة ١٩٥٩ .

حسين مؤنس : شيوخ العصر في الاندلس . (المكتبة الثقافية رقم ١٤٦) القاهرة ١٩٦٥ .

حكمة علي الاوسي وبتول العلاف : مفردات اسبانية عربية الاصل . مطبعة الحكومة – بغداد ١٩٦٢ .

الحميدي : جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس . تحقيق : محمد بن تاويت الطنجي . القاهرة ١٣٧١هـ .

ابن حيان ، ابو مروان حيان بن خلف المعروف بابن حيان : القسم الثالث من كتاب المقتبس في تاريخ رجال الاندلس . نشره الاب ملشور م. انطونيه . باريس ١٩٣٧ .

خالد الصوفي : تأثير اللغة العربية في اللغة الاسبانية مجلة المعرفة العدد السابع – دمشق – ايلول ١٩٦٢ .

الخالديان : المختار من شعر بشار (مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر) القاهرة – بدون تاريخ .

الخشني : كتاب القضاة بقرطبة . نشره مع ترجمة اسبانية : ريبيرا . مدريد ١٩١٤ .

ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون . مطبعة مصطفى محمد بمصر . بدون تاريخ .

خوزيه اوربانو كاستيللو وفيليب ريكيخو كاريو : اصل اللغة الاسبانية وحيويتها بين اللغات الحديثة . مقال في مجلة « اللغات » يصدرها معهد اللغات العالي في جامعة بغداد . العدد الاول ١٩٦٤ .

دار الطراز = ابن سناء الملك .

ابن دحيه : المطرب من اشعار أهل المغرب · تحقيق : ابراهيم الابياري وآخرين ـ القاهرة ١٩٥٤ ·

دوزي : تاريخ مسلمي اسبانيا · الجزء الاول : الحروب الاهلية · ترجمة : د· حسن حبشي · دار المعارف ـ القاهرة ١٩٦٣ ·

ـــــ : ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الاسلام · ترجمة : كامل كيلاني · القاهرة ١٩٣٣ ·

الذهبي : سير اعلام النبلاء · الجزء الاول تحقيق : د· صلاح الدين المنجد ، ذخائر العرب (١٩) والجزء الثالث تحقيق : ابراهيم الابياري القاهرة ١٩٥٧ والجزء الخامس ·

ـــــ : العبر في خبر من غبر · تحقيق : صلاح الدين المنجد وفؤاد سيد · الكويت ١٩٦١ ·

ـــــ : تذكرة الحفاظ · الطبعة الثالثة ـ حيدر آباد الدكن ١٩٥٥ ·

ـــــ : المشتبه في الرجال اسمائهم وانسابهم · القاهرة ١٩٦٢ ·

الذيل والتكملة = محمد بن محمد بن عبدالملك الانصاري الاوسي المراكشي ·

الرافعي : تاريخ آداب العرب مطبعة الاستقامة ـ القاهرة ١٩٥٣ ·

رايات = ابن سعيد ·

ابن رشيق : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده · حققه محمد محيى الدين عبدالحميد القاهرة ١٩٥٥ ·

زاد المسافر = صفوان بن ادريس ·

ساطع الحصري : آراء واحاديث في اللغة والادب · بيروت ١٩٥٨ ·

ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب · جزآن · تحقيق : د· شوقي ضيف · دار المعارف بمصر ١٩٥٣ـ١٩٥٥ ·

ـــــ : المقتطف من ازاهر الطرف ـ الخميلة الثانية عشرة المشتملة على ملح الموشحات والازجال · تحقيق : د· عبدالعزيز الاهواني · نشر في كتاب : اعمال مهرجان ابن خلدون المنعقد في القاهرة من ٢ الى ٦ يناير ١٩٦٢ـ القاهرة ١٩٦٢ ·

ـــــ : رايات المبرزين وغايات المميزين (تحقيق : غرسيه غومس) مدريد ١٩٤٢ ·

ابن سناء الملك : دار الطراز في عمل الموشحات · تحقيق : د· جودة الركابي· دمشق ١٩٤٩ ·

السيوطي : طبقات المفسرين · (ليدن) ١٨٣٩ ·

شاعرات العرب = بشير يموت

ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات · تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد · القاهرة ١٩٥١ ·

شوقي ضيف : العصر العباسي الاول – دار المعارف · بمصر – ·

السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة بقرطبة ·

صاعد الاندلسي : طبقات الامم · مطبعة محمد محمد مطر بمصر (بدون تاريخ)

صفوان بن ادريس : زاد المسافر · نشره أ· محداد – بيروت ١٩٣٩ ·

صلاح المنجد : المنتقى من دراسات المستشرقين – القاهرة ١٩٥٥ ج (١)

الضبي : بغية الملتمس في تاريخ رجال الاندلس – مدريد ١٨٨٥م ·

طه المدور : بين الديانات والحضارات – بيروت ١٩٥٦

ابن ظافر : بدائع البدائه ·

العلوم والاداب والفنون على عهد الموحدين = محمد المنوني ·

عباس محمود العقاد : أثر المغرب في الحضارة الاوربية – دار المعارف بمصر ١٩٦٥

عبدالرحمن بدوي : دور العرب في تكوين الفكر الاوربي – بيروت ١٩٦٥

عبدالعزيز الاهواني : الزجل في الاندلس – القاهرة ١٩٥٧

——— امثال العامة في الاندلس · في مجموعة دراسات بعنوان « الى طه حسين في عيد ميلاده السبعين » – دار المعارف بمصر ١٩٦٢

عبدالعزيز الدوري : دراسة في سيرة النبي (ص) ومؤلفها ابن اسحاق · مطبوعات المجمع العلمي العراقي : البحوث والمحاضرات · سنة ١٩٦٦

عبدالواحد المراكشي : المعجب في تلخيص اخبار المغرب · تحقيق : محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي · القاهرة ١٩٤٩ ·

ابن عذاري المراكشي : البيان المغرب (بيروت ـ مطبعة المناهل) ٤٨ـ١٩٥٠ جـ(٢)وتحقيق كولان وليفي بروفنسال ـ اوفست دار الثقافة ـ بيروت جـ(٢) ·

عمر رضا كحاله : معجم اعلام النساء في عالمي العرب والاسلام ـ دمشق ١٩٥٩

عنـــــان = محمد عبدالله عنان ·

ابـن غالب : نص اندلسي جديد · قطعة من كتاب فرحة الانفس لابن غالب عن كور الاندلس ومدنها بعد الاربعمائة · تحقيق : د· لطفي عبدالبديع (فصلة من مجلة معهد المخطوطات ـ المجلد الاول ـ الجزء الثاني نوفمبر ١٩٥٥) ·

غرسيه غومس : الشعر الاندلسي بحث في تطوره وخصائصه · ترجمة د· حسين مؤنس ـ القاهرة ١٩٥٦ ·

فارمر هـ·ج : تاريخ الموسيقى العربية · الالف كتاب رقم (٧) القاهرة ١٩٥٦

ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس · نشره كوديرا ـ مدريد ١٨٩١م

فن التوشيح = مصطفى عوض الكريم ·

فؤاد رجائي = الموشحات الاندلسية ·

ابن قزمان : ديوان ابن قزمان · نشره نيكل بحروف لاتينيـة · مدريــد سنة ١٩٣٣

ابن القوطية : تاريخ افتتاح الاندلس · نشره كايانكوس · سنة ١٨٦٨م وترجمه الى الاسبانية ريبيرا مع مقدمة ، في مدريد ١٩٢٦

ابن الكتاني : كتاب التشبيهات من اشـعار أهـل الاندلس · تحقيق : د· احسان عباس · بيروت ١٩٦٦

كراتشكوفسكي : دراسات في تاريخ الادب العربي · ترجمة عن الروسية ، دار النشر (علم) ، موسكو ١٩٦٥

ليفي بروفنسال : اسبانيا الاسلامية ، انظر : L. Provençal

ــــــ : الاسلام في المغرب والاندلس · ترجمة : د· السيد محمـــود عبدالعزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي · القاهرة ١٩٥٦

ـــــ : سلسلة محاضرات عــامــة في أدب الاندلس وتاريخهــا . ترجمها : محمد عبدالهادي شعيرة . القاهرة ١٩٥١

ـــــ : حضارة العرب في الاندلس . ترجمة : ذوقـان قـرقـوط . منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت .

مجهـول : اخبار مجموعة . نشره مع ترجمة اسبانية وتعليق : لافوينتي اي الكنترا . مدريد ١٨٦٧

محمد عبدالله عنان : سفارة اندلسية الى ملك النورمانيين في القرن الثـالث الهجري . مقال في مجلة (الرسالة) المصرية العــدد (١٣٢) سنة ١٩٣٦

ـــــ : دولة الاسلام في الاندلس من الفتح الى بداية عهد النـاصـر . العصر الاول ـ القسم الاول (الطبعة الثالثة) القاهرة ١٩٦٠

ـــــ : الآثار الاندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغــال . (الطبعة الثانية) القاهرة ١٩٦١ و ط . القاهرة ١٩٦٢

محمد بن محمد بن عبدالملك الانصاري الاوسي المراكشي : الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة . السفر الاول ـ القســم الاول ـ تحقيق : محمد بن شـريفه . دار الثقافـة ـ بيروت . بـدون تاريخ . والسفر الخامس ـ القسم الاول والثاني ـ تحقيق : د. احسان عباس . دار الثقافة ـ بيروت ١٩٦٥

محمد المنوني : العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين . تطوان ١٩٥٠

محمود أحمد الحفني : زرياب ، ابو الحسن على بن نافع موسيقار الاندلس . القاهرة ، بدون تاريخ ، (اعلام العرب ـ ٥٤ ـ) .

مختار الصحاح للامام محمد بن ابي بكر الرازي . دمشق ١٣٥٨هـ

المشتبه في الرجال = الذهبي .

مصطفى عوض الكريم : فن التوشيح . بيروت ١٩٥٩

ـــــ : الموشحات والازجال . دار المعارف بمصر ١٩٦٥

المغرب = ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب .

المقـري : نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرهـا لســان الدين بن الخطيب . تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد .

الناشر : دار الكتاب العربي ـ بيروت . عشــــــرة أجزاء .
وتحقيق : د. احسان عباس ـ دار صــــادر ـ بيروت ١٩٦٨
سبعة أجزاء وجزء ثامن للفهارس العامة .
ـــــ : أزهار الرياض في أخبار عياض ج(٢) . مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر . القاهرة ١٩٤٠

مؤنس = حسين مؤنس .

الموسوعة العربية الميسرة : باشراف محمد سعيد غربال . القاهرة ١٩٦٥

المطــــرب = ابن دحيـة

النبــاهي : تاريخ قضاة الاندلس ، أو : كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا . نشره : المكتب التجاري للطباعة والنشـــــر والتوزيع . بيروت ـ بدون تاريخ .

نفـح = المقري : نفح الطيب .

نيـــكل : مختارات من الشعر الاندلسي . دار العـــلم للملايين ـ بيروت ١٩٤٩

هدارة ، محمد مصطفى : اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري . القاهرة ١٩٦٣

أبو الوليد الحميري : البديع في وصف الربيع . نشـره : هنري بيريس ـ الرباط ١٩٤٠م

يـاقـوت : معجم البلدان . طبعة مصورة في طهران سنة ١٩٦٥ عن طبعـة وستنفيلد ـ لايبزك ١٨٦٦

ـــــ معجم الادباء (ط. مرجليوث) مطبعة هندية بالموسكي بمصـر سنة ١٩٢٣ ـ ١٩٢٥

يوهان فك : العربية ، دراسات في اللغة واللهجات والاساليب . نقـله الى العربية : د. عبدالحليم النجار . القاهرة ١٩٥١

ب ـ مراجع بغير العربية

Agra Cadarso, Joaqîn María de, **Mistoria de la literatura española.** Segunda ed. Madrid, 1957.

Asín Palacios, Miguel, **El islam Cristianizado.** Madrid, 1931.

—— **Contribución a la toponimia árabe de España.** 2a ed. Madrid—Granada, 1944.

Atkinson, William C., **A history of Spain and Portugal.** London, 1961.

Codera, Francisco, **Estudios críticos de historia árabe española.** Madrid, 1917.

Dozy, R. P., **Historia de los musulmanes de España.** Traducción del francés y prólogo por Magdalena Fuentes. Obras maestras. Barcelona, 1954.

Dozy, R. P. et W. H. Engelmann, **Glossaire des mots espagnols et portugais derivés de l'arabe.** Seconde edition, Amsterdam, MLMXV.

García Gómez, Emilio, **Poesîa arábigoandaluza, Breve síntesis histórica.** Madrid, 1952.

—— **Un cuento árabe fuente común de Abentofáil y de Gracián.** Revista de archivos,......, Madrid, 1926.

García López, José. **Literatura española. Barcelona, 1959.**

González Palencia, Angel, **Historia de la España musulmana.** Segunda ed. Barcelona, 1929.

—— **Historia de la literatura arábigoespañola.** Colección Labor no. 164—165. 2a ed. Madrid, 1945.

—— **Influencia de la civilización árabe.** Madrid, 1931.

—— **Ibn Tufayl el filósofo autodidacto.** Madrid, 1948.

—— **El Islam y Occidente.**

Lévi-Provençal, E., **España musulmana hasta la caída del califato de Córdoba (711-1031 de J. C.)** Traducción e introducción por E. García Gómez. 2a ed., T. IV, V. Madrid, 1957.

—— **La civilización arabe en España.** Buenos Aires, 1953.

Menéndez y Pelayo, M., **Origenes de la novela.** 2a ed., Madrid, 1962, T., I.

Menéndez Pidal, R., **España, eslabón entre la cristianidad y el Islam.** Colección Austral no. 1280, Madrid, 1956.

—— **Poesia árabe y poesía europea.** Colección Austral no. 190 Madrid, 1955.

Pons Boigues, F., **Ensayo biobibliográfico sobre los historiadores y geógrafos arabigo-españoles.** Madrid, 1898.

Ribera, Julian, **Historia de la música árabe medieval y su influencia en la española.** Madrid, 1927.

—— **Disertaciónes y opúsculos.** T. I, II. Madrid, 1928.

Schack, A. Federico de, **Poesia y arte de los árabes en España y Sicilia.** Traducción por Juan Valera. Madrid, 1932.

كشـــاف عـــام

ملاحظة :

أ ـ أهملنا كلمات : ابن وابو وبنو .

ب ـ لم نذكر ما جاء في الهوامش من اسماء الاعلام والاماكن والكتب .

ج ـ بعض الكلمات مثل : الاندلس والاسلام لكثرة ترددها أهملنا ذكرها في هذا الكشاف .

(ب)

(س)

(ش)

(ص)

فهرست الموضوعات

الصفحة

الفصل الخامس

الفصل السادس

الصفحة

استدراكات

الصفحة	السطر	الخطا	الصواب
٥	٣	منار	منارة
٢٥	٣	قبول	قبل
٢٧	١٥	الطببعي	الطبيعي
٣١	١	كنوا	كانوا
٣٢	١٧	لاختلافهما	لاختلافها
٣٣	٥	الجسمايية	الجسمانية
٣٣	٧	أضفي	أضفى
٣٩	٢٢	انظر في هذا فصل «الشعر الاندلسي في القرنين الثاني والثالث للهجرة »	انظر في هذا الفصل السادس « الشعر »
٤١	٩	السنين	السنين
٤٤	٢١	المشرفية	المشرقية
٥٤	٦	حبرهم	خبرهم
٥٧	١٢	زيد	يزيد
٥٩	٨	كات	كانت
٦٩	٥	(٥٨)ن٠م ص٨٦ـ٨٧	(٥٨) ابن عذاري٢/٨٦ـ٨٧
٧٢	١٦	اليبرة	البيرة
٩٠	٩	عبدالرحمن ابن معاوية	عبدالرحمن بن معاوية
١٠٨	١٤	بالتشائم	بالتشاؤم
١٠٨	١٧	بد	بدا
١١٤	٧	عبا بن ابن	عباس بن

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١١٦	٦	وكان تمام	وكان جده تمام
١١٨	٨	(ن٠م ص٤٩ـ٥٠)	(المقتبس ٤٩ – ٥٠)
١١٨	١١	ابن مالك	ابن ملك
١٣٣	١٦	المعتمد	المعتمر
١٣٨	٧	الذين	اللذين
١٤٦	١٩	سماء	اسماء
١٥١	١	عندما	عندنا
١٥١	١٩	خوان ندريس	خوان اندريس
١٥٣	١٥	ارسطوا	ارسطو
١٥٦	١٥	ونشرها بطرسبرج	ونشرها في بطرسبرج
١٦٢	١	حرج	خرج
١٦٣	٥	(٣٦)	(٤٦)

ملاحظة :

١ – في صفحة ٦٦ السطر الثامن تحذف الاسطر المبتدئة : « ويقول ابن القوطية انه ٠٠٠ الخ » وتوضع بعد نهاية الهامش رقم (٢١) مباشرة في نفس الصفحة ٠

٢ – فاتتنا الاشارة الى ان البحث الخاص بالشاعر يحيى الغزال في ص٩٦ – ١١٢ قد نشر في : (مجلة المجمع العلمي العراقي – المجلد الحادي والعشرون – ١٩٧١) بعنوان : يحيى بن الحكم الغزال : سفير الاندلس وشاعرها الواقعي ٠

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٢٤٥ سنة ١٩٧١

ESSAYS ON ARABIC - SPANISH LITERATURE

BETWEEN THE 8TH. & 9TH. CENTURIES

BY

H. A. AL-AWSI, PH. D.
Assistant Professor
Of
Arabic Literature
In The
University Of Baghdad

BAGHDAD, 1971

Salman Al-Adhami Press - Baghdad

١٩٧١ (١٠٠٠)